الدبلوماسى

السنة الثامنة والعشرون - العدد 285
نوفمبر 2019 الثمن 10 جنيهات

اختراق دبلوماسى لمفاوضات سد النهضة

بنك فيصل الإسلامي المصري

رائد العمل المصرفي الإسلامي

خدمة سداد المستحقات الحكومية إلكترونياً

بالتعاون مع شركة

e-finance

- يتيح البنك لعملائه وغيرهم من المواطنين إمكانية سداد الضرائب والرسوم الجمركية وكل ما يمكن سداده من خلال منظومة الدفع الإلكتروني.
- تجنب مخاطر نقل الأموال أو فقد الشيكات الشخصية أو المصرفية.
- التأثير الفوري لسداد كافة المدفوعات الحكومية.
- السداد النقدي أو الخصم من حسابات العملاء.
- التعامل من خلال شبكة فروع البنك التي تغطي معظم محافظات الجمهورية.

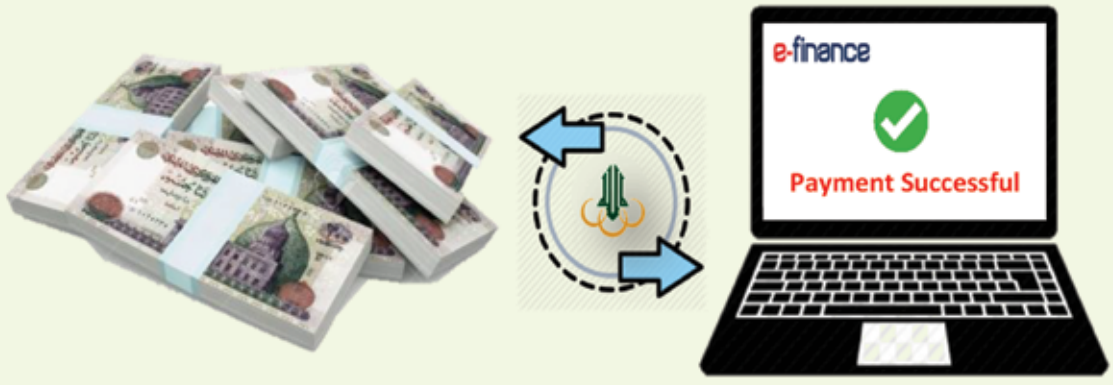

.. تـــراث عـــريـــق
ومستقـبل مشرق

19851

www.faisalbank.com.eg

مجلة شهرية منوعة
تصدر منذ مارس 1992 عن
النادى الدبلوماسى المصرى

أسسها السفير مصطفى العيسوى

رئيس مجلس إدارة النادى الدبلوماسى
سفير أبوبكر حفنى محمود

رئيس التحرير
سفير رضا الطايفى

المستشار القانونى
رجائى عطية

مستشار التحرير
عادل عبد الصمد

المستشار الفنى
جمال عبد النبى

سكرتير تحرير تنفيذى
شادى غالى

أسرة تحرير العدد

سفير أشرف عقل
سفير د. يوسف الشرقاوى
سكرتير أول أحمد أبو المجد
سكرتير ثان هند منذر

توجه المراسلات إلى رئيس تحرير
مجلة «الدبلوماسى»:
مبنى وزارة الخارجية المصرية
ماسبيرو الدور 28 - غرفة 2820
تليفاكس 27735457 202+

diplomatmagazine92@gmail.com

جميع الآراء الواردة بالمقالات تعبر عن أصحابها
دون أدنى مسئولية على المجلة، والخرائط المنشورة
توضيحية إلا إذا ذكر غير ذلك

فى هذا العدد

ماذا يحدث فى هونج كونج؟.....بقلم السفير رضا الطايفى	2
الحقيبة الدبلوماسية.....	4
اختراق دبلوماسى لمفاوضات سد النهضة.... د.أحمد سيد أحمد	10
كيف نسوّق مصر ..... سفير جمال الدين البيومى	12
قمة روسيا / إفريقيا ... فرص وتحديات..... سفير د. عزت سعد	16
سفير أربعة عهود فى مصر لدى السلطان التركى... سفير عبد الرحمن صلاح	22
الانتخابات التونسية وتدشين مرحلة جديدة .... سفير رخا أحمد حسن	28
تداعيات الفقر والجهل ..... رجائى عطية	32
ماهى ملتك؟..... سفير أسامة توفيق بدر	35
عن دور النخب فى المجتمعات... سفير د وليد محمود عبد الناصر	36
بانوراما إفريقيا ..... سفير عبدالفتاح عزالدين	38
الازمة الإيرانية الأمريكية وسوريا إلى أين ؟ (5) ... سفير د. يوسف الشرقاوى	42
مؤتمر الأمم المتحدة لنزع السلاح... سفير سامح أبو العينين	45
تناقض موقف العالم من التدخل التركى فى مناطق الاكراد..... السفيرة د.عبير بسيونى	46
ذلك الطفل بالداخل..... سفير د. هادى التونسى	49
الخطاب السياسى ..... ميسا جيوسى	50
النسخة الثانية من بايدك 2019..... د. أحمد خميس	53
نزع السلاح - نظرة من خارج الصندوق.... سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى	54
سد النهضة الاثيوبى وتاثيره السلبى على مصر و السودان.... سفير د .عادل السالوسى	58
الانتخابات الفلسطينية القادمة ..... سفير محمود كريم	64
تجدّد الحديث عن مكتبة الإسكندرية 1/3... د. يوسف نوفل	66
ألهوية ألمصرية وأيامها ألمجيدة .....عادل عبدالصمد	68
تأملات ..... سفير أشرف عقل	71
رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين... تقدمها ناديه الريس	72
فنون تشكيلية..... سفير فخرى عثمان	74
المستقبل آسيوى (2) ..... سفير د. محمد نعمان جلال	76
نفسك أمانة لديك..... سفير د فتحى مرعى	79
لا تهزمى الحب.....شعر: أحمد فضل شبلول	80

ماذا يحدث فى هونج كونج؟

هونج كونج أعجوبة الأعاجيب الاقتصادية والمالية والتجارية فى العالم.. واحدة من أبناء الجيل الأول للنمور الآسيوية مع كل من كوريا الجنوبية وتايوان وسنغافورة.. الميناء العطر، شذى الورد أو الهواء المعطر كما يحلو للصينيين تسميتها، هونج كونج - كما وصفها أنيس منصور فى كتابه «حول العالم فى 200 يوم» - هى ست الحسن والجمال، هى ملكة البحار والمحيطات معاً.. هى شهرزاد التى تنتظر كل شهريار زائر إليها من كل بقاع الدنيا لكى يلقى إليها بمحفظته المليئة بالمال.. هونج كونج كما عايشتها بمراكزها التجارية الضخمة وأسواقها المنتشرة فى كل مكان ليلاً ونهاراً بمثابة المغناطيس قادرة على جذب وسحب كل ما فى حافظة نقودك من عملات مهما كان عددها ومهما بلغت قدرتك على المقاومة.

رئيس التحرير
السفير رضا الطايفى
taifyreda@yahoo.com

وصفها زعيم سنغافورة الراحل «لى كوان يو» أنها بمثابة الكعكة التى يجب أن تدرك الصين وفقاً للمثل الشعبى الصينى «أنه لا يمكن الاحتفاظ بها وأكلها فى نفس الوقت»، حيث يرى مؤسس سنغافورة أن هونج كونج إذا أصبحت مثل أى مدينة أو مقاطعة أو إقليم صينى آخر، فلن تكون ذات قيمة استثنائية للصين حيث إن ما يجعلها مفيدة للصين هو قوة مؤسساتها وخبراتها الإدارية وأسواقها المالية والتجارية المتطورة وسيادة حكم القانون فيها، إلى جانب شفافية التشريعات والأنظمة بها، وكونها ملعباً مفتوحاً للجميع على قدم المساواة، إضافة إلى نمط حياتها «الكوزموبوليتانى» والطبيعة الخاصة بسكانها الذين استطاعوا بقدراتهم ومواهبهم وتنوعهم تحويل هونج كونج إلى واحدة من أكثر المناطق ديناميكية وحيوية فى العالم.

* سبق لبريطانيا أن استولت على هذه الجزيرة المعجزة عام 1842 بموجب معاهدة «نانجينج» التى وقعتها مع الصين بعد انتصارها عليها فى حرب الأفيون الأولى، وقد ظلت هونج كونج منذ ذلك التاريخ مستعمرة بريطانية خاضعة للتاج البريطانى حتى يوليو عام 1997 حيث أصرت الصين على استعادة سيادتها عليها إضافة إلى شبه جزيرة كولون والأراضى الجديدة بعد سلسلة من المفاوضات الشاقة التى فاقت العامين (منذ سبتمبر 1982 حتى ديسمبر 1984) مع الحكومة البريطانية التى مارست فيها الأخيرة كل المناورات والمهارات والضغوط التفاوضية، إلا أنها - أمام صلابة وعناد المفاوض الصينى - اضطرت إلى توقيع «الإعلان الصينى - البريطانى المشترك» فى بكين بتاريخ 19 ديسمبر 1984، الذى دخل حيز التنفيذ بعد تصديق الطرفين عليه فى 27 مايو 1985، والذى ينص على استعادة الصين لسيادتها على هونج كونج وشبه جزيرة كولون والأراضى الجديدة اعتباراً من يوليو 1997 مع منح الإقليم حكماً ذاتياً فى ظل دستور مصغر mini constitution يعطى لهونج كونج وضعاً خاصاً يحافظ على طبيعتها الاقتصادية ونظامها الرأسمالى القائم لمدة خمسين عاماً حتى 2047.

ولقد عاصرت جانباً من هذه المفاوضات خلال فترة عملى «نائب قنصل» بالقنصلية العامة لجمهورية مصر العربية فى هونج كونج، التى كانت بمثابة قنصلية عامة لكل العرب باعتبارها - حتى ذلك التاريخ - القنصلية العامة العربية الوحيدة فى هونج كونج. وعايشت مدى حسرة البريطانيين على فقدانهم واحدة من آخر بقايا التاج البريطانى فيما وراء البحار، ورأيت مدى حرص المفاوض البريطانى حتى آخر لحظة على الاحتفاظ بهونج كونج إلى أن فقد كل أمل فى ذلك بعد المقابلة العاصفة فى بكين بين الزعيم الصينى «دينج شياو بينج» والمرأة الحديدية رئيسة وزراء بريطانيا «مارجريت تاتشر» التى انتهت بتهديد صينى «بأن هونج كونج ليست فوكلاند «falkland islands وبأن الصين ليست الأرجنتين»، فكانت هذه العبارة بمثابة الضربة القاضية التى عجلت بنجاح المفاوضات وتسليم بريطانيا بحق الصين فى استعادة سيادتها على كل إقليم هونج كونج، وإن كان المفاوض البريطانى لم يخرج حينها من المفاوضات خالى الوفاض حيث انتزع تنازلاً صينياً يسمح لهونج كونج بالاحتفاظ بوضعها الاقتصادى والمالى والإدارى لمدة خمسين عاماً، وهو تنازل - فى تقديرى - لم يكن هناك مفر منه فى ذلك التوقيت، حيث لم تشأ الصين إثارة مخاوف سكان الإقليم أو أن يهتز وضع هونج كونج الاقتصادى والمالى بنزوح

المستثمرين والاستثمارات إلى خارج الإقليم - والذى كانت تعول عليه الصين كثيراً وهى بصدد العمل على إنجاح تجربتها الوليدة فى ذلك التوقيت «دولة واحدة ونظامان».

ورغم حرص القيادة الصينية على الإبقاء على هونج كونج مستقرة ومزدهرة إلا أن الإقليم يواجه من آن لآخر ومنذ عودته للسيادة الصينية بعض القلاقل والاضطرابات فى ضوء حالة من الشك والتوجس المتبادل بين شريحة من السكان وبين إدارة الوطن الأم حيث يتطلع السكان لمزيد من الضمانات والإجراءات الديمقراطية ضماناً لاستمرار استقرار وازدهار الإقليم، فى حين يعمل قادة بكين ويحرصون على أن تستمر هونج كونج مزدهرة ومصدر ازدهار للصين دون أن تتسبب لهم فى أية أضرار أو قلاقل سياسية، حيث تتوجس الصين منذ البدايات المبكرة لعودة الإقليم إليها أن الغرب يعول كثيراً على هونج كونج لإحداث تحولات سياسية داخل الصين قد يكون منها ما يسمى «دمقرطة الصين» أو على الأقل نقل عدوى نظامها الديمقراطى المنفتح إلى الأقاليم الصينية المجاورة أو تلك التى تسكنها أقليات عرقية أو دينية. ومن بين هذه الاضطرابات: الانتفاضة التى شهدتها هونج كونج فى يوليو 2003 احتجاجاً على قانون اعتبره السكان يفرض مزيداً من الوصاية الصينية على الجزيرة، وتلك التى وقعت فى إبريل 2004 اعتراضاً على قانون اختيار رئيس الإقليم وانتخاب أعضاء المجلس التشريعى والتى رفع خلالها المتظاهرون شعار «أعطوا السلطة للشعب» وهو ما فسرته الصين بأنه بمثابة تحريض ضد إدارة الإقليم ودعوة للانفصال عن الوطن الأم. ثم مظاهرات سبتمبر 2014 والتى رفعت شعار «احتلوا الوسط» على غرار مظاهرات» احتلوا وول استريت» فى الولايات المتحدة والتى أطلق عليها بعض النشطاء المناهضين للصين «ثورة المظلات» حيث اضطر المتظاهرون لاستخدام المظلات لحمايتهم من رذاذ قنابل الغاز المسيل للدموع الذى استخدمته الشرطة لفض اعتصام المتظاهرين، وهى المظاهرات التى اندلعت احتجاجاً على قرار صينى يقضى بانتخاب السكان لرئيس حكومتهم من خلال لجنة مكونة من 1200 عضو، اعتبره نشطاء الإقليم بأنه يفرغ مبدأ «صوت واحد لشخص واحد» من مضمونه ويأتى برئيس حكومة موال للصين باعتبار أن معظم أعضاء اللجنة من الموالين للصين. على أن أكبر موجة احتجاجات تشهدها هونج كونج فى تاريخها ومنذ عودة سيادتها إلى الصين هى تلك القائمة حالياً والتى قادتها «جبهة حقوق الإنسان المدنية» وبدأت فى 9 يونيو 2019 ومازالت مستمرة وآخذة فى التصعيد وذلك اعتراضاً على مشروع قانون يسمح بتسليم بعض المشتبه فيهم إلى الصين لمحاكمتهم فى الوطن الأم، وأمام تزايد أعداد المتظاهرين مما أدى إلى تعطيل حركة الطيران فى مطار هونج كونج وإلقاء الأزمة بظلالها السلبية على الوضع الاقتصادى للإقليم أعلنت حكومة هونج كونج تعليق مشروع القرار أملاً فى تهدئة الموقف، إلا أن المظاهرات استمرت ولجأ المتظاهرون إلى العنف والتخريب مما اضطر الحكومة إلى أن تعلن فى بداية سبتمبر - أى بعد ثلاثة شهور من بداية الأحداث - تراجعها وإلغاء مشروع القانون المتسبب فى المشكلة بشكل نهائى، وأمام هذا التراجع الحكومى ارتفع سقف مطالب المتظاهرين ليشمل المطالبة بإقالة « كارى لام» الرئيس التنفيذى لهونج كونج، العفو عن جميع المحتجزين، التوقف عن وصف الاحتجاجات بأعمال الشغب، التحقيق فى انتهاكات الشرطة.

وفى مظهر آخر من التصعيد توجه المتظاهرون إلى القنصليات الأمريكية والبريطانية فى هونج كونج مطالبين بالانفصال عن الصين وبتدخل الحكومتين فى الأزمة، وهى النداءات التى تلقفتها الحكومتان الأمريكية والبريطانية

ماذا يحدث فى هونج كونج؟

بإصدار تصريحات بدت متعاطفة مع مطالب المتظاهرين، حيث حذر وزير خارجية بريطانيا من العواقب الوخيمة فى حال عدم احترام الإعلان البريطانى - الصينى المشترك باعتباره اتفاقية قانونية ملزمة دولياً منددا بالعنف ومطالباً بالحوار بين الحكومة والمتظاهرين، فى حين عبر وزيرا خارجية كل من الولايات المتحدة وألمانيا عن اعتراضهما على مشروع قانون تسليم المطلوبين المتسبب فى الأزمة، فى حين دعا الاتحاد الأوروبى جميع الأطراف للتحلى بضبط النفس. وهو ما اعتبرته الصين تدخلاً فى شأن داخلى صينى حيث عبرت عن احتجاجها على اتصالات واشنطن وبعض النشطاء فى هونج كونج والذين وصفتهم الصين بالانفصاليين كما طالبت الخارجية الصينية كلاً من الولايات المتحدة وبريطانيا بعدم التدخل فى الأزمة باعتبارها شأناً داخلياً صينياً.

* تدير القيادة الصينية الأزمة بحسابات دقيقة وبكثير من ضبط النفس حتى الآن فى التعامل مع المتظاهرين، الذين تجاوزوا الخطوط الحمراء فى بعض الأحيان - سواء باللجوء إلى العنف والتخريب أو الدعوة إلى الانفصال، أو استدعاء التدخل الأجنبى - إدراكاً منها بأن الصعود الاقتصادى الصينى وإحياء طريق الحرير (الحزام والطريق) يقلق قوى أجنبية وخاصة فى منطقة آسيا والباسيفيك وبأن مشهد ما يحدث فى هونج كونج من تصعيد وما يرتبط به من تصريحات أجنبية لا يمكن فصله عن المناوشات السياسية حول بحر جنوب الصين، والمواقف والتصريحات الأمريكية وغيرها حول الأنشطة الصينية فى المنطقة التى تراها الصين حقاً أصيلاً لها، وحول مشكلة تايوان وتزويد حكومة تايبيه بأسلحة أمريكية متطورة والحرب التجارية الأمريكية ضد الصين، وكذا سياسة الاحتواء الأمريكى للصين وإعادة الانتشار الأمريكى فى آسيا والباسيفيك وإقامة قيادة أمريكية موحدة فى المحيطين الهادى والهندى (الإندوباسيفيكى). ويقيناً فإن الصين لن تستدرج إلى إعادة استدعاء مشهد القبضة الحديدية 1989 فى ميدان نياناتمين لفض المظاهرات فى هونج كونج، إلا أنها لن تترك الأحداث تستمر وتتصاعد إلى ما لانهاية لما قد يكون لذلك من تداعيات سلبية ليس فقط على وضع هونج كونج المالى والاقتصادى ولكن أيضاً على الداخل الصينى ذاته، علماً بأن الإعلان الصينى - البريطانى المشترك يعطيها حق الدفاع عن هونج كونج إلى جانب إدارة شئونها الخارجية حيث إن حكومة بكين ليست مستعدة للتراجع عن مبدأ «الصين واحدة» أو التسامح مع أية محاولة تستهدف تقسيم الصين وعودة عقارب الساعة إلى الوراء بفصل أى إقليم عن الوطن الأم خاصة وأنها تتطلع وتستعد وتعمل على التئام الشمل الصينى باستعادة تايوان وضمها إلى أحضان الوطن الأم. ولقد كان الرئيس الصينى «شى جين بينج» قاطعاً حينما هدد مؤخرا بأن «كل من يحاول فصل أى إقليم عن الصين سوف يهلك وسيتم تحطيم جسده وسحق عظامه». وهو نفس المعنى الذى أكدته الصين فى «الكتاب الأبيض» للدفاع الوطنى فى العصر الجديد الصادر عن جيش التحرير الشعبى الصينى فى يوليو 2019 «تعارض الصين بحزم أى محاولات أو إجراءات لتقسيم البلاد وأى تدخل أجنبى لتحقيق هذه الغاية. وأن لدى الصين العزم القوى والقدرة على حماية السيادة الوطنية والسلامة الإقليمية، ولن تسمح أبداً بأى انفصال لأى جزء من أراضيها من قبل أى شخص أو أية منظمة أو أى حزب سياسى بأية وسيلة وفى أى وقت. نحن لا نهدد باستخدام القوة، ونحتفظ بخيار اتخاذ جميع التدابير اللازمة».

* هونج كونج إذن إقليم صينى بحكم الجغرافيا والتاريخ والتركيبة الديموغرافية إلا أنه يختلف من حيث وضعه الإدارى عن سائر الأقاليم الصينية الأخرى على الأقل حتى عام 2047، وفى تقديرى أن الحراك السياسى فى هونج كونج سوف يستمر وربما يزداد ويتصاعد كلما اقترب عام 2047، ويظل الرهان على الزمن قائماً، فلعل الطفرات الاقتصادية التى تشهدها الصين يصحبها حراك اجتماعى وسياسى بحلول هذا التاريخ يهيئ المناخ لتطويع إقليم هونج كونج واندماجه فى النظام السياسى والاقتصادى الصينى.

حقيبة الوزير

تضمنت حقيبة السيد سامح شكرى وزير الخارجية نشاطا مكثفا منه:

وزير الخارجية سامح شكرى يلتقى بالسيناتور الجمهورى « ليندسى جراهام » فى واشنطن

استمراراً لمقابلات وزير الخارجية مع الأعضاء البارزين بالكونجرس الأمريكى أثناء زيارته لواشنطن، اجتمع الوزير سامح شكرى، بالسيناتور الجمهورى «ليندسى جراهام» رئيس اللجنة القضائية ورئيس اللجنة الفرعية لاعتمادات العمليات الخارجية وعضو لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ.

وفى تصريح للمستشار أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أوضح أن الوزير شكرى والسيناتور جراهام تناولا مجمل جوانب العلاقات الإستراتيجية بين الدولتين، والتى تتطلب مواصلة الدعم الأمريكى لمصر لتمكينها من مجابهة التحديات الأمنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، وبما يخدم المصالح الإستراتيجية للبلدين فى إطار تحقيق الأمن والاستقرار.

وأضاف حافظ أن السيناتور جراهام استمع لشرح الوزير شكرى حول التطورات الإقليمية والرؤية المصرية لمعالجة الأزمات المختلفة التى تواجه منطقة الشرق الأوسط، والدور الذى تقوم به مصر لتعزيز الاستقرار والتوصل إلى حلول سياسية لسائر ملفات المنطقة، وكذا سبل مواجهة الدور التركى فى زعزعة أمن واستقرار المنطقة.

اجتماعات واشنطن حول سد النهضة الإثيوبى

صرح سامح شكرى وزير الخارجية، فى أعقاب الاجتماعات التى عُقدت فى واشنطن حول سد النهضة الإثيوبى برعاية أمريكية مُقَدَرة وبمشاركة رئيس البنك الدولى، أن الاجتماعات قد أسفرت عن نتائج إيجابية من شأنها أن تضبط مسار المفاوضات وتضع له جدولاً زمنياً واضحاً ومحدداً، حيث تقرر أن يتم عقد أربعة اجتماعات عاجلة للدول الثلاث على مستوى وزراء الموارد المائية وبمشاركة ممثلى الولايات المتحدة والبنك الدولى تنتهى بالتوصل إلى اتفاق حول ملء وتشغيل سد النهضة خلال شهرين بحلول 15 يناير 2020، على أن يتخلل هذه الاجتماعات لقاءان فى واشنطن بدعوة من وزير الخزانة الأمريكى ستيفن منوشين لتقييم التقدم المحرز فى هذه المفاوضات.

وقد أعرب وزير الخارجية عن تقدير الرئيس عبدالفتاح السيسى العميق لرعاية الرئيس دونالد ترامب لهذه المفاوضات واستقباله للوزراء الثلاثة والدور البناء والمحورى الذى يضطلع به الرئيس ترامب والولايات المتحدة، وبما يعكس عمق العلاقات الإستراتيجية التى تربط بين مصر والولايات المتحدة، الأمر الذى من شأنه أن يسهم فى التوصل لاتفاق حول ملء وتشغيل سد النهضة وبما يعزز من تحقيق الاستقرار والتنمية فى منطقة الشرق الإفريقى.

وثمّن وزير الخارجية الدور البناء لوزير الخزانة الأمريكى والاهتمام الذى أولاه لهذا الموضوع وترؤسه للاجتماع الذى عقد مع وزراء الدول الثلاث. وأكد وزير الخارجية خلال الاجتماعات المكثفة التى عقدت على أن مصر تسعى للتوصل إلى اتفاق متوازن يمكّن إثيوبيا من تحقيق الغرض من سد النهضة، وهو توليد الكهرباء، دون المساس بمصالح مصر المائية وحقوقها .

وزير الخارجية يلتقى فى واشنطن بكبير مُستشارى الرئيس الأمريكى

التقى وزير الخارجية سامح شكرى، فى العاصمة الأمريكية واشنطن، «جاريد كوشنر» كبير مُستشارى الرئيس الأمريكى، وذلك لبحث سُبل دفع العلاقات المُتميزة بين مصر والولايات المتحدة الأمريكية إلى آفاق أرحب، ودعم آليات التعاون الثنائى فى كافة المجالات، بما يتوافق مع طبيعة العلاقات الإستراتيجية بين البلدين ويسهم فى تعزيزها وتعميقها لتحقيق المصالح المشتركة للدولتين.

وصرح المُستشار أحمد حافظ المُتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شكرى أكد خلال اللقاء على قوة ومتانة العلاقات الإستراتيجية الراسخة التى تربط بين مصر والولايات المتحدة، والأهمية التى توليها مصر لاستمرار التنسيق والتشاور بين البلدين حول سبل ترسيخ السلام والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط، لا سيما فى ظل حالة عدم الاستقرار والأزمات المتعددة التى تعانى منها المنطقة.

وأوضح حافظ أن اللقاء تناول كذلك عدداً من القضايا الإقليمية محل الاهتمام المشترك، وعلى رأسها القضية الفلسطينية، حيث استعرض وزير الخارجية الجهود المصرية الهادفة إلى استئناف عملية المصالحة الفلسطينية، والحفاظ على الهدوء فى قطاع غزة مع العمل على تخفيف المعاناة وتحسين الظروف المعيشية فى القطاع.

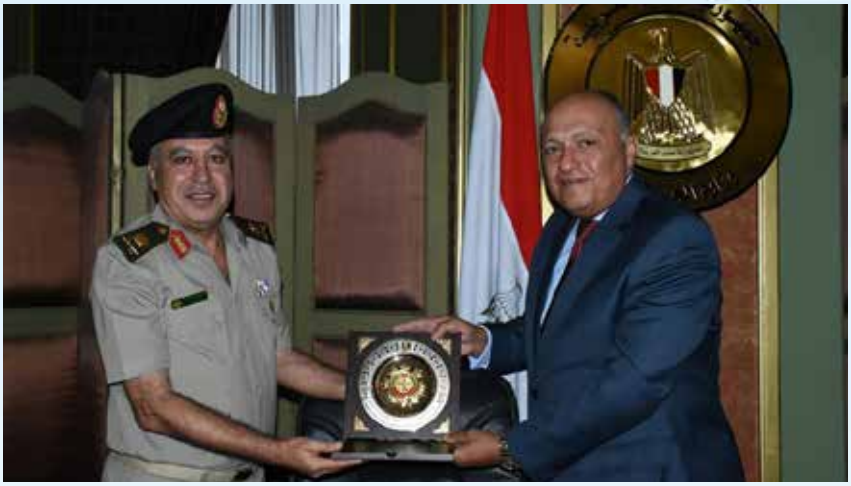

وزير الخارجية يلتقى الدفعة 49 من دارسى دورة الدفاع الوطنى لأكاديمية ناصر العسكرية

استقبل وزير الخارجية سامح شكرى، الدفعة 49 من دارسى دورة الدفاع الوطنى لأكاديمية ناصر العسكرية، بحضور اللواء أركان حرب الدكتور بهجت محمد فريد مدير كلية الدفاع الوطنى، وبمشاركة عدد من أعضاء هيئة التدريس والمشاركين من المصريين والوافدين من الدول الشقيقة من السعودية والإمارات والكويت والأردن وسلطنة عمان ولبنان وفلسطين واليمن والسودان وكينيا وتنزانيا وباكستان.

وصرح المستشار أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أن الوزير شكرى ثمّن خلال اللقاء الدور المهم الذى تضطلع به أكاديمية ناصر العسكرية فى تأهيل وتنمية قدرات وخبرات خريجى الأكاديمية من الكوادر العسكرية والمدنية لخدمة أوطانها فى المجالات المختلفة ومواجهة التحديات، فضلاً عن الجهود التى تبذلها من أجل توثيق الروابط مع الأكاديميات والهيئات العلمية المماثلة على الصعيدين العربى والدولى.

وأضاف حافظ أن الوزير شكرى استعرض خلال اللقاء محددات السياسة الخارجية المصرية، مؤكداً أن موقع مصر الجغرافى يحتم ارتباط أمنها القومى بالعديد من الدوائر الخارجية، وهو الأمر الذى يتطلب دوماً انتهاج سياسة خارجية نشطة لتأمين المصالح الوطنية. وفى هذا السياق، استعرض الوزير شكرى ملامح وتوجهات السياسة الخارجية المصرية تجاه الملفات المختلفة، وخاصة الأوضاع فى منطقة الشرق الأوسط وجهود مكافحة الإرهاب، فضلاً عن أولويات الرئاسة المصرية للاتحاد الإفريقى، وكذا آخر مستجدات ملف سد النهضة الإثيوبى.

شكرى يلتقى مع وكيلة سكرتير عام الأمم المتحدة للشئون السياسية وبناء السلام

التقى وزير الخارجية سامح شكرى مع «روزمارى دى كارلو»، وكيل سكرتير عام الأمم المتحدة للشئون السياسية وبناء السلام، وذلك على هامش مشاركته فى القمة الثامنة عشرة لرؤساء الدول والحكومات الأعضاء فى حركة عدم الانحياز المنعقدة فى باكو. وفى تصريح للمستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أوضح أن وزير الخارجية أشار خلال اللقاء إلى الموقف المصرى الداعم لدور الأمم المتحدة فى مواجهة التحديات التى تواجه العالم اليوم، خاصة تلك المتعلقة بالتنمية المستدامة، وحماية البيئة، ومكافحة الإرهاب، والحفاظ على الأمن والسلم الدوليين. كما أكد التزام مصر بتعزيز التعاون مع المنظمة.

وذكر حافظ أن الوزير شكرى تطرق خلال المقابلة إلى أهمية اللقاءات المتعددة التى جمعت بين الرئيس عبدالفتاح السيسى والأمين العام للأمم المتحدة خلال العام الجارى، ودورها فى تعميق التفاهم المتبادل بشأن الأمور والتحديات المُلحة التى تواجه المنظمة والعالم، كما ساهمت كذلك فى تأكيد الأولوية التى توليها مصر لتحقيق الاستقرار فى أماكن النزاعات والأزمات فى منطقة الشرق الأوسط وإفريقيا، بما فى ذلك فى ليبيا وسوريا واليمن والعراق ولبنان ومناطق القرن الإفريقى والساحل والبحيرات العظمى.

وزير الخارجية يشارك فى الجلسة الافتتاحية لاجتماع مجموعة النواة لمؤتمر ميونخ للأمن

شارك وزير الخارجية سامح شكرى، فى الجلسة الافتتاحية لاجتماع مجموعة النواة لمؤتمر ميونخ للأمن والذى يعقد بالقاهرة للمرة الأولى، وذلك بحضور «ولفجانج إيشينجر» رئيس مؤتمر ميونخ للأمن ووزراء الخارجية والدفاع لعدد من الدول العربية والإفريقية، فضلاً عن عدد من السفراء الأجانب وممثلى السفارات والمنظمات الإقليمية والدولية المعتمدين بمصر، حيث تناولت الجلسة الرؤية الإفريقية إزاء الحفاظ على السلم وتعزيز الاستقرار.

وصرح المستشار «أحمد حافظ»، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أن الوزير استعرض خلال كلمته التحديات الرئيسية التى تواجهها القارة الإفريقية، وعلى رأسها ظاهرتى الإرهاب والتطرف، بجانب الجريمة المنظمة والاتجار فى البشر وتهريب الأسلحة، فضلاً عن التداعيات السلبية لظاهرة تغير المناخ. كذلك تأكيداً على الأولوية التى توليها مصر لمبدأ الحلول الإفريقية للأزمات الإفريقية فى مستعرض حديثه حول الجهود التى يبذلها الاتحاد الإفريقى، الذى تتولى مصر رئاسته حالياً، فى مجال حفظ السلم والأمن لتفعيل مبادرة «إسكات البنادق فى إفريقيا بحلول عام 2020».

وزير الخارجية يتناول الأمن المائى وسد النهضة أمام البرلمان العربى

ألقى وزير الخارجية سامح شكرى، كلمة أمام البرلمان العربى فى جلسته العامة التى خُصِصَت لمناقشة قضية الأمن المائى العربى، وقد حضر الجلسة الدكتور/ مشعل بن فهم رئيس البرلمان العربى فضلاً عن النوب أعضاء البرلمان العربى.

أكد وزير الخارجية خلال كلمته على ما يحتله موضوع الأمن المائى العربى من أهمية خاصة فى ضوء محدودية الموارد المائية وندرتها فى الوطن العربى، حيث تقع 16 دولة عربية ضمن فئة الدول ذات الندرة المائية، وهى الدول التى يقل فيها متوسط نصيب الفرد من المياه عن 1000 متر مكعب سنوياً وفقاً للمعايير الدولية، منوهاً إلى العديد من العناصر الأخرى التى تفاقم من الآثار السلبية لندرة المياه كالزيادة السكانية وتنامى الاحتياجات المائية.

كما استعرض الوزير شكرى التحديات المائية التى تواجه مصر، حيث يبلغ النصيب المائى للفرد فيها سنوياً 570 متراً مكعباً، ومن المتوقع أن يصل إلى 500 متر مكعب بحلول عام 2020، وهو ما يجعل مصر فى مصاف الدول التى تعانى من الفقر المائى الشديد، الأمر الذى دفع الدولة المصرية إلى تكثيف جهودها لمعالجة أزمة الأمن المائى عبر تبنى أفضل السياسات فى مجال ترشيد المياه وإعادة استخدام الموارد المائية من نهر النيل، المصدر شبه الأوحد للمياه فى مصر، وتخصيص موارد مالية ضخمة لتنفيذ هذه السياسات.

وزير الخارجية سامح شكرى يلقى محاضرة فى النمسا حول السياسة الخارجية المصرية

ألقى وزير الخارجية سامح شكرى، محاضرة فى «رابطة السياسة الخارجية والأمم المتحدة فى النمسا» حول سياسة مصر الخارجية، وذلك بناءً على الدعوة التى وجهها إليه «ولفنجانج شوسيل» المستشار الفيدرالى الأسبق للنمسا، وشارك فيها كبار المسئولين النمساويين فى كل من المستشارية ووزارة الخارجية والبرلمان النمساوى، فضلاً عن مديرى المنظمات الدولية فى فيينا، وعدد من السفراء المعتمدين لدى النمسا.

وصرح المستشار أحمد حافظ، المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، أن الوزير شكرى استعرض خلال المحاضرة رؤية مصر للتحديات الرئيسية التى تواجه منطقة الشرق الأوسط، أخذاً فى الاعتبار ما تشهده المنطقة من أزمات متعددة، موضحاً أن السياسة الخارجية المصرية تدعم الآمال والتطلعات المشروعة للشعوب فى إطار الحفاظ على استقرار الدول ووحدة وسلامة أراضيها ومؤسساتها. كما أبرز أن ثوابت السياسة المصرية تقوم على عدم التدخل فى شئون الدول الأخرى، مع العمل على مد يد التعاون مع كافة الشركاء فى العالم.

كما تطرق الوزير شكرى خلال المحاضرة إلى عدد من القضايا الرئيسية للسياسة الخارجية المصرية وعرض الموقف المصرى بشأنها، وعلى رأسها الأزمة السورية وما تشهده من تطورات اتصالاً بالعدوان التركى على سوريا.

وزير الخارجية يتناول الأوضاع الإقليمية، والرؤية المصرية لمواجهة أبرز التحديات على الساحة الدولية

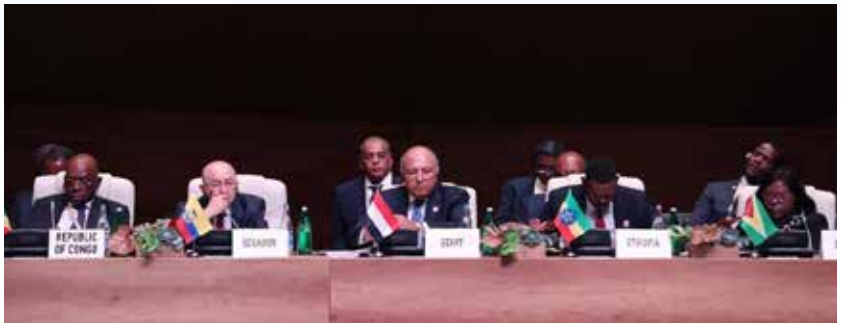

شارك وزير الخارجية سامح شكرى فى القمة الثامنة عشرة لرؤساء الدول والحكومات الأعضاء فى حركة عدم الانحياز المنعقدة فى باكو، تحت عنوان «التمسُك بمبادئ باندونج لضمان استجابة مشتركة ملائمة لتحديات العالم المعاصر».

وصرح المستشار أحمد حافظ المتحدث الرسمى باسم وزارة الخارجية، بأن الوزير شكرى أكد خلال البيان الذى ألقاه أمام القمة أن مصر تولى اهتماماً متنامياً بدور حركة عدم الانحياز، خاصة وأن مصر من الدول المؤسسة للحركة وتحرص على الدفاع عن أولوياتها وأهدافها، كما أضاف أن القراءة المتأنية لمبادئ باندونج التى تأسست عليها حركة عدم الانحياز توضح أن الحركة منذ تأسيسها رافضة لانتهاك سيادة الدول، والتدخل فى شئونها الداخلية، وملتزمة بمبادئ الأمم المتحدة والتعاون الدولى، ويجب استحضار هذه المبادئ مرة أخرى، والتكاتف لوضعها محل الالتزام والتنفيذ.

وأضاف المتحدث باسم الخارجية أن بيان الوزير شكرى تطرق كذلك إلى ما تشهده منطقة الشرق الأوسط فى المرحلة الراهنة من تحديات، حيث أكد ضرورة التصدى لأى مساع لتقسيم الدول أو هدم مؤسساتها، ورفض محاولات إذكاء الولاءات الطائفية أو المذهبية، والالتزام بمقومات الدولة الوطنية الحديثة التى تقوم على مبادئ المواطنة والمساواة وسيادة القانون واحترام حقوق الإنسان وخيارات الشعوب وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول ورفض الاحتلال الأجنبى وضرورة المحاسبة على الجرائم الجسيمة بما فى ذلك جرائم الإبادة الجماعية وجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية ودعم الإرهاب.

نشاط السفارات

بوروندى

استقبلت السفيرة د.عبير بسيونى رضوان، سفيرة مصر لدى بوروندى، خبيريّ الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية العاملين فى المستشفى المصري- البوروندى فى منطقة بوروري، والذى أقامته مصر عام ٢٠٠٧ ليعد أول وأكبر مستشفى عام بالمنطقة. وبحثت السفيرة المصرية خلال اللقاء سُبل تطوير عمل ودور المستشفى المصرى، وتعزيز دورها فى نقل وتقديم الخبرات المصرية وتنظيم دورات تدريبية للكوادر البوروندية، حيث نظم أطباء الوكالة المصرية من قبل ثلاث دورات تدريبية فى إبريل وسبتمبر وديسمبر ٢٠١٧ للجانب البوروندى.

-وفى حضور السفيرة د. عبير بسيونى رضوان، وقع الأستاذ الدكتور Sixte Vigny NIMURABA رئيس المفوضية الوطنية المستقلة لحقوق الإنسان CNIDH مع ممثلة السيد NSHIMIRIMANA Desire المدير العام لشركة البرمجيات DipComm عقد تطوير الموقع الإلكترونى للمفوضية البوروندية لحقوق الإنسان وتمكينها من التواصل بأساليب تكنولوجية حديثة والممول من الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية فى إطار التعاون الثنائى بين مصر وبوروندى .

- كما شاركت السفيرة د. عبير بسيونى رضوان فى المؤتمر الدولى «القادة من السيدات» فى بوجمبورا خلال الفترة من ٢٤ إلى ٢٦ أكتوبر ٢٠١٩ ممثلة للمرأة المصرية ونيابة عن السيدة د. مايا مرسى رئيسة المجلس القومى المصرى للمرأة.

- كما عقدت السفيرة د. عبير بسيونى رضوان، مؤتمراً صحفياً بمقر وزارة الخارجية البوروندية فى بوجمبورا قامت خلاله بتسليم ممثل الحكومة البوروندية السفير Jeremie BANIGWANINZIGO المفتش العام بوزارة الخارجية البوروندية، تسليماً رسمياً، شحنة المساعدات المصرية اللوجيستية الجديدة التى تفضل السيد الوزير سامح شكرى، وزير خارجية جمهورية مصر العربية، بالموافقة على تقديمها للمفوضية/ اللجنة الوطنية المستقلة للانتخابات CENI عبر الوكالة المصرية للشراكة من أجل التنمية.

أستقبلت السفيرة أول طالبيّن بوروندييّن يحصلان على منحة كلية الطب بجامعة عين شمس لدول حوض النيل والدول الأفريقية، حيث هنأت السفيرة المصرية الطالبيّن وقامت بتعريفهما بجامعة عين شمس التى تحتضن إحدى أعرق كليات الطب على مستوى الدول العربية والأفريقية. كما قامت بتسليمهما تذكرتى السفر الخاصة بهما لكى يتسنى لهما بدء الدراسة خلال العام الأكاديمى الحالى ٢٠٢٠/٢٠١٩

سول

ألقى الدكتور حازم فهمى، سفير مصر فى كوريا الجنوبية، يوم ٣٠ أكتوبر ٢٠١٩، محاضرة بعنوان «تاريخ مصر المعاصر»، وذلك تلبية لدعوة من قبل الجمعية الكورية العربية لإلقاء محاضرة لطلاب مهتمين بتاريخ وسياسة مصر.

وقد تطرق سفير مصر فى سول لأبرز محطات التاريخ المصرى المعاصر ابتداءً من عصر محمد على، مؤسس الدولة الحديثة، إلى وقتنا الحالى، مُشيراً لأهم الملامح السياسية والثقافية والاجتماعية لتلك الفترة، وذلك بمشاركة نحو 100 طالب كورى بمدرسة «جويانج» العالمية الثانوية فى مدينة «جيونج جي» المتخصصة فى التعليم الدولى والدراسات الأجنبية.

هذا، وقد استُقبلت المحاضرة بحفاوة كبيرة من الطلاب وتفاعل امتد إلى مناقشة مراحل مختلفة من تاريخ مصر وأهم العادات والتقاليد الخاصة بالمجتمع المصرى، فضلاً عن الاستفسار عن مواقف مصر الخارجية وسياستها تجاه عدد من القضايا.

أرمينيا

شارك السفير بهاء دسوقى، سفير جمهورية مصر العربية لدى أرمينيا، فى افتتاح فعاليات الأسبوع الثقافى المصرى فى أرمينيا، والذى بدأ يوم ١٥ أكتوبر الماضى، حيث تضمن حفل الافتتاح تقديم عدد من الفقرات الفنية المصرية بمشاركة كل من فرقة رضا للفنون الشعبية والفنانة أنوشكا.

وحضر الافتتاح كل من نائب وزير الثقافة ونائب وزير الخارجية الأرمينيين، وأعضاء السلك الدبلوماسى الأجنبى المُعتمد فى العاصمة الأرمينية يريفان، فضلاً عن عدد كبير من المواطنين الأرمن. هذا، ونالت فعاليات الأسبوع المصرى إعجاب وترحيب الجمهور.

نشاط السفارات

بلجراد

نظم السفير «عمرو الجويلي»، سفير جمهورية مصر العربية لدى صربيا، بصفته النائب الأول لرئيس مجموعة السفراء الناطقين بالفرنسية فى بلجراد، أول لقاء للبرلمانيين الناطقين بالفرنسية مع سفراء الدول الأعضاء فى المنظمة الدولية للفرانكفونية فى صربيا، وذلك بحفل استقبال بدار السكن المصرية وبحضور الدكتور على عبد العال رئيس مجلس النواب، والوفد البرلمانى المصرى المشارك فى أعمال الدورة الـ١٤١ لجمعية الاتحاد البرلمانى الدولى التى عقدت فى بلجراد. وأشاد أمين عام الاتحاد البرلمانى الدولى «مارتن شوجونج» فى كلمته أمام الحضور بدور الدكتور على عبد العال فى تعزيز التعاون مع البرلمانيين الناطقين بالفرنسية والذى توج بالتوقيع على مذكرة تفاهم بين الاتحاد والجمعية البرلمانية الفرانكفونية فى ١٦ أكتوبر الماضى على هامش أعمال الجمعية.

هذا وقد التقى الدكتور على عبد العال رئيس مجلس النواب مع رئيسة الجمعية الوطنية الصربية «مايا جويكوفتش» على هامش أعمال الدورة الـ 282 للجنة التنفيذية والدورة الـ 141 لجمعية الاتحاد البرلمانى الدولى التى عقدت فى بلجراد فى الفترة من ١١ إلى ١٧ أكتوبر. وصرح السفير «عمرو الجويلى» سفير مصر لدى صربيا، بأن اللقاء تناول تعزيز التعاون البرلمانى والتنسيق فى إطار الاجتماعات الدولية، بما فى ذلك دعم المبادرات المصرية فى المنتديات متعددة الأطراف.

– على هامش مشاركة مصر كضيف شرف فى الدورة الـ٦٤ للمعرض الدولى للكتاب فى صربيا، عقدت الدكتورة «إيناس عبد الدايم» وزيرة الثقافة، وبمشاركة السفير المصرى فى صربيا «عمرو الجويلي»، عدداً من اللقاءات المتنوعة مع كبار المسئولين الحكوميين والدوائر الثقافية الصربية.

وصرح السفير الجويلى أن زيارة الدكتورة «إيناس عبد الدايم» عززت الزخم الحالى فى العلاقات الثقافية بين البلدين، وهو الأمر الذى كان محور الاجتماع الثنائى مع وزير الثقافة والإعلام الصربى «فلادان فوكوسافليفيتش»، حيث تم الاتفاق على تنظيم برنامج للأنشطة المستقبلية فى مجال السينما والفنون الجميلة والمكتبات العامة والموسيقى.

– انتخبت مجموعة رؤساء البعثات الدبلوماسية للدول الأعضاء والمراقبين فى المنظمة الدولية للفرانكفونية فى بلجراد السفير «عمرو الجويلي»، سفير مصر لدى صربيا، رئيساً للمجموعة لمدة عام.

الرياض

بمناسبة تعيينه سفيراً لجمهورية مصر العربية فى الرياض، قدم السفير أحمد فاروق يوم 23 أكتوبر 2019 أوراق اعتماده إلى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود.

ونقل السفير فاروق خلال اللقاء تحيات السيد رئيس الجمهورية إلى خادم الحرمين الشريفين، كما أكد اعتزاز القاهرة بما تشهده العلاقات الثنائية بين البلدين من تطور مستمر.

هذا، وطلب خادم الحرمين الشريفين نقل تحياته إلى السيد رئيس الجمهورية، مؤكداً على حرص الرياض على التعاون الحثيث مع القاهرة فى مختلف المسائل الثنائية، والقضايا الإقليمية والعربية محل الاهتمام المشترك.

جنوب سودان

التقى السفير/ محمد قدح، بالسيدة «اووت دينق أشويل» وزيرة الخارجية الجنوب سودانية، وذلك فى مستهل مهمته كسفير مصر لدى جنوب السودان.

تناولت المقابلة مع الوزيرة الجنوب سودانية عدداً من الملفات الثنائية محل الاهتمام المشترك، حيث نقل «قدح» تطلعه إلى تعزيز التعاون بين البلدين بهدف الارتقاء بالعلاقات الثنائية وتطويرها فى مختلف المجالات.

كذلك، تطرق اللقاء إلى نتائج الاجتماع الذى عُقِدَ بين السيد رئيس الجمهورية والرئيس «سالفا كير» على هامش القمة الروسية الإفريقية فى سوتشى يوم 23 أكتوبر الماضى، حيث أكد السفير المصرى على ما عكسه هذا الاجتماع من توافق بين القيادتين السياسيتين على تطوير العلاقات الثنائية، وكذا تلاقى وجهات نظرهما حول عدد من الملفات والقضايا الإقليمية محل الاهتمام المشترك.

اختراق دبلوماسى لمفاوضات سد النهضة

اكتسب اجتماع واشـــنطن حول ســـد النهضة والذى ضم وزراء الرى والخارجية فى مصر وإثيوبيا والســـودان تحت رعاية الولايات المتحدة وبمشاركة البنك الدولى. أهمية كبيرة وشكل اختراقاً مهماً فى مفاوضات سد النهضة المتعثرة منذ سنوات عديدة ووصلت إلى طريق مسدود فى الأشهر الأخيرة نتيجة لاستمرار تعنت الموقف الإثيوبى وعدم التوصل إلى حل بشأن القضايا العالقة حول بناء سد النهضة.

على مدار سنوات عديدة. لم يحدث تقدم جوهرى بشـــأن الســـد. خاصة منذ توقيع اتفاقيـــة المبادئ بين الدول الثلاث فـــى 2015 والتـــى تنص على ضرورة حل وتســـوية القضايا العالقة بين الأطراف الثلاثة حول ســـد النهضة عن طريق الحـــوار والتفاوض خاصة فيما يتعلق بمعالجة المخاوف المصرية بشأن السد والتى تتمثل بشكل أساسى فى التصميمات الهندسية لسد النهضة ونظام الأمان فيه خاصة وأن الدراسات المختلفة تشير إلى أنه مبنى على طبقة صخرية تجعلـــه معرضاً للانهيار وهو ما قـــد يمثل تداعيات ســـلبية خطيرة على السودان ومصر وغرق العديد من المدن والقرى. ويتمثل التحفظ الثانى فى مطالبة مصـــر بمد فترة ملء خزان ســـد النهضة ما بين 7 و10 ســـنوات وذلك لمنع تأثر حصة مصر من المياه التى تتدفق إليهـــا ومقدارها 55 مليار متر مكعب مما يؤثر ســـلباً على الحياة فى مصر وعلى قطـــاع الزراعة وتبوير أكثر من مليون ونصـــف مليون فدان. فى المقابل تتمسك إثيوبيا بفترة ثلاث ســـنوات لملء الخزان خلف السد وهو ما دفع المفاوضات للوصول إلى طريق مسدود.

ولذلـــك طالبت مصر بالاســـتعانة بدراسات اللجان الفنية والمكتب الفنى الأجنبى بشـــأن تصميمات السد ونظام الأمان وكذلك ارتفاع الســـد وســـنوات ملء الخزان خاصة فيما يتعلق بسنوات الجفاف والتى تؤثر بشـــدة على حجم المياه المتدفقة عبر النهر. لكن الجانب الإثيوبى لم يلتفت إلى تلك الدراســـات وســـار فى مسار بناء الســـد باعتباره

د.أحمد سيد أحمد

خبير العلاقات الدولية فى الأهرام

ahmedsaidahmed@hotmail.com

أمراً واقعاً حيـــث انتهى تقريباً من بناء 70٪ من السد تمهيداً للانتهاء منه بعد عامين والبدء فـــى مرحلة ملء الخزان وهو ما ســـيؤثر بالسلب على مصر فى حالة عدم التوصل إلى اتفاق بين الدول الثلاث حول القضايـــا العالقة وهو ما دفع الرئيس السيســـى للقول من على منبر الجمعية العامـــة للأمم المتحدة فى نيويورك فى دورتهـــا الأخيرة بأن قضية مياه النيل مســـألة حياة ووجود للمصريين وأنه لن يتم القبول بسياسة الأمر الواقع.

القانون الدولى فى صالح الموقف المصرى:

يستند الموقف المصرى من قضية ســـد النهضة إلى مرتكـــزات وثوابت قانونية وتاريخية. فمصر تســـتند إلى قواعد القانون الدولـــى للأنهار والتى تنظم مسألة إنشاء السدود على الأنهار الدولية التى تشترك فيها أكثر من دولة وفقاً لقواعد ومبادئء راسخة تتمثل فى الحقوق التاريخية المكتسبة ومبدأ عدم الإضرار والتنســـيق المسبق والتعاون. وهو ما لم يراعِه الجانب الإثيوبى حيث لم تخطر أديس أبابا مصر قبل البدء فى بناء السد فى عام 2011 كما أن سياسة المضى فى بناء السد وملء الخزان فى ثلاث سنوات ستؤدى إلى أضرار كبيرة لمصر. كما تستند مصر إلى الاتفاقيات الدولية حول نهر النيل وأبرزها اتفاقيتا 1929 و1959 واللتان تنصان على أن حصة مصر من مياه النيل هى 55 مليار متر مكعب وحصة الســـودان 18 مليار متر مكعب. وبالتالى تدخل هذه المياه فى إطار الحقوق التاريخية المكتسبة. ومن ثم لا يجـــوز لإثيوبيا الدفع بإعادة توزيع حصص مياه النيـــل لاعتبارات عديدة منها الاعتبارات السابقة وحقوق مصر التاريخيـــة إضافة إلى أن إثيوبيا لديها مصادر أخرى للمياه مثل الأمطار والأنهار الأخـــرى ولا تحتاج لمياه النيل سوى لإنتاج الكهرباء عبر السد وتحقيق التنمية. وهو ما اعترفت به مصر لإثيوبيا فى حقها فى إقامة السد لإنتاج الكهرباء وتنفيذ خطط التنميـــة لكن مع مراعاة عدم الإضرار بحصة مصر المائية حيث إن نهر النيل هو شريان الحياة فى مصر خاصـــة وأن مصر تعانى من فقر مائى كبير فى ظل تزايد عدد الســـكان لأكثر من مائة مليون نسمة وتزايد استهلاكها من الزراعة والمجالات الأخرى. كما تدفع مصر بوجود معاهدة حل المنازعات مع إثيوبيـــا بالطرق الســـلمية عام 1986 واتفاق التفاهم والتعاون فى عام 1993 وذلك لمعالجة أى خلافات بينهما بشأن الســـدود عبر الحوار والتوافق. وفى المقابل تدفع إثيوبيا بأن من حقها إقامة الســـد لإنتاج الكهرباء وتحقيق التنمية وأنها بمفردها تقرر سنوات ملء الخزان

باعتباره قراراً سيادياً. فى حين أنه كسد دولى تحكمه قواعد دولية وليس مسألة السيادة.

ولذلك مع تعثر اجتماعات وزراء الرى والخارجية فى الدول الثلاث عبر جولات مختلفة وتأجيل إثيوبيا أكثر من مرة للدراسات الفنية الخاصة بالمكتب الفنى بينما تستغل الوقت فى إقامة السد. طالبت مصر بدخول وسيط دولى فى المفاوضات وهو ما يتوافق مع المادة العاشرة من اتفاقية المبادئ عام 2015. والتى تنص على أنه فى حال تعثر مفاوضات سد النهضة يتم اللجوء إلى وسيط دولى. لكن إثيوبيا رفضت هذا الاقتراح وهو ما أثار الشكوك حول جدية الموقف الإثيوبى فى حل القضايا العالقة بشأن سد النهضة.

اختراق دبلوماسى لجمود المفاوضات:

مع وصول المفاوضات إلى طريق مسدود برزت العديد من التطورات المهمة على صعيد الدبلوماسية والتى تمثل خرقاً لحالة التعثر فى المفاوضات وبرزت أولاً فى لقاء الرئيس عبدالفتاح السيسى برئيس الوزراء الإثيوبى آبى أحمد فى سوتشى على هامش القمة الروسية الإفريقية التى استضافتها روسيا خلال يومى الثالث والعشرين والرابع والعشرين من أكتوبر الماضى. واتفق الزعيمان على عودة عمل اللجان الفنية فوراً بشأن سد النهضة. كما عرض الرئيس الروسى بوتين الدخول على خط الوساطة بين مصر وإثيوبيا. ثم جاء التطور المهم والبارز من جانب الولايات المتحدة التى استضافت اجتماعاً للدول الثلاث شمل وزراء الخارجية والرى فى واشنطن واتفقوا على عقد أربعة اجتماعات بشأن سد النهضة للتوصل إلى حل للقضايا العالقة بحلول منتصف يناير المقبل. وعقد اجتماعين مرة أخرى فى واشنطن فى الثالث عشر من ديسمبر والتاسع من يناير وذلك بمشاركة الولايات المتحدة والبنك الدولى كمراقبين. وهو ما أعطى الآمال بإمكانية حدوث حلحلة فى المفاوضات المتعثرة بشأن سد النهضة وحل الأزمة بشكل توافقى.

هذه الآمال يدعمها دخول الولايات المتحدة على خط المفاوضات مما يجعلها تحت رقابة دولية ويخرجها من نطاقها الثلاثى الضيق بين الدول الثلاث إلى نطاق دولى خاصة مع مشاركة البنك الدولى كمراقب. كما أن الولايات المتحدة لديها علاقات قوية مع الأطراف الثلاثة مما يساعد فى الضغط على الجانب الإثيوبى لإبداء المرونة اللازمة لحل القضايا العالقة خاصة فيما يتعلق بسنوات ملء الخزان خلف السد والتى تطالب مصر بأن تكون بين 7 و10 سنوات حتى لا تتضرر حصتها السنوية من مياه النيل. كما أن الولايات المتحدة لن تراهن على رعاية تلك المفاوضات ثم تتركها للفشل لأنه سيضر بسمعة أمريكا وبقدرتها على إحداث اختراق دبلوماسى.

ولا شك أن اجتماعات واشنطن ولقاء الرئيس السيسى ورئيس الوزراء آبى أحمد فى سوتشى ودعم روسيا للمفاوضات يمثل اختراقاً مهماً لحالة التعثر التى تعانى منها المفاوضات منذ سنوات لكن نجاح مسار التفاوض مازال مرهوناً بمدى مرونة واستجابة الجانب الإثيوبى وتغيير موقفه والاحتكام إلى اللجان الفنية ودراسات المكتب الفنى لمعالجة التحفظات المصرية خاصة فيما يتعلق بنظام أمان السد وسنوات ملء الخزان. لكن فى حالة تعثر المفاوضات فإنه سيتم اللجوء إلى وسيط دولى كما تضمن ذلك اجتماع واشنطن. كما أن لمصر العديد من الخيارات فى حالة تعثر المفاوضات ومنها اللجوء للتحكيم الدولى والتحرك على مستوى الأمم المتحدة. خاصة مجلس الأمن والجمعية العامة. باعتبار أن نزاعات الأنهار ترتبط بحفظ السلم والأمن الدوليين وأن القانون الدولى فى صالح الموقف المصرى.

والأمر المؤكد أن قضية مياه النيل مسألة حياة ووجود ولن تقبل مصر بسياسة فرض الأمر الواقع وستسلك كل الخيارات الدبلوماسية والقانونية. لضمان ألا تتأثر بنقصان حصتها المائية مع بناء سد النهضة. كما أن المنهج المصرى يقوم على التعاون والتكامل ودعم حق إثيوبيا فى التنمية وإنتاج الكهرباء. كما أن مصر حريصة على عدم اختزال العلاقات بين دول حوض النيل خاصة مع إثيوبيا على قضية سد النهضة. لكن أن تتوسع تلك العلاقات لتشمل مجالات عديدة فى كل القطاعات بما يجعل نهر النيل مصدراً للتكامل والتعاون وليس مصدراً للصراع والتوتر. وبالتالى فإن الرهان الأكبر هو على الدبلوماسية والحوار لكسر حالة الجمود وحل القضايا العالقة بين مصر والسودان وإثيوبيا.

كيف نسوِّق مصر

فرض موقع مصر وتاريخها أن يكون لها دور نشط فى مجال حيوى واسع. يشمل منطقتها العربية وقارتها الإفريقية وجارتها الأوروبية. بل امتد هذا الدور ليصل إلى اليابان والصين شرقاً، وإلى الولايات المتحدة والمكسيك وأمريكا اللاتينية غرباً.

سفير جمال الدين البيومي

gbayoumi@hotmail.com

وأدى ذلك إلى اتساع أفق واختيارات السياسة الخارجية المصرية. وكلما نجحت تلك السياسة فى النأى بنفسها عن الانحياز، وتمسكت بإقامة علاقات تعاون ممتدة مع أغلب دول العالم، حافظت على استقلالها ونموها الذاتى. رغم مرور فترات من معاناة الاحتلال بشتى مصادره - التركية والفرنسية والبريطانية - تخطاها التاريخ المصرى بسرعة نسبية لو أخذنا فى الاعتبار أننا بصدد تاريخ ممتد لسبعة آلاف سنة.

وتشابهت اختيارات مصر الحديثة والمستقلة، سواء فى عصر محمد على باشا أو عصر جمال عبدالناصر. فاختارت غالباً الانفتاح على العالم، وأصبحت القاهرة من بين أكثر عواصم الدنيا استضافة للبعثات الأجنبية. ومن أكثر دول العالم انتشاراً لتمثيلها الدبلوماسى. والوجه الأكثر قبولاً فى أغلب بقاع الأرض. وجاء العائد بفائض مدفوعات لصالح مصر دائماً. ودارت اختيارات مصر عبر خارطة واسعة تشمل العالم كله على المستوى العالمى والإقليمى والثنائى.

واللافت للنظر أن اختيارات مصر نبعت من منطلق، وطنى وانتماء إقليمى، واستلهام لمصالح الأسرة الدولية. وأن من عارضوا هذه الاختيارات أو انتقدوها، أدركوا وجاهتها بعد سنوات، وربما لحقوا بها بعد فوات الفرصة. ومن أمثلة ذلك:

- عندما اعترفت مصر/ عبد الناصر بنظام الصين الشعبية، عارضتها الولايات المتحدة والغرب. بل حاربتنا بعض تلك الدول. ثم إذا بالصين تصبح أكبر مصدر فى العالم اعتباراً من سنة 2009، والشريك التجارى الأول للولايات المتحدة، الذى لا غنى عنه. لأنها صارت - فى ذات الوقت- ثانى أكبر سوق مستورد فى العالم.

- وعندما اعترفت مصر بثورة «فيديل كاسترو» الكوبية، صارت الولايات المتحدة تعاقبنا على كل تعامل مع كوبا. وتتغير الأوضاع أخيراً، ليزور كوبا الرئيس الأمريكى «أوباما».

- انتقد الاتحاد السوفييتى والكتلة الشرقية انضمام مصر للاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات GATT سنة 1970 وإذا بالمتغيرات الدولية تكتسح الكثير من مفاهيم هذا الجزء من العالم. فتنضم الصين للمنظمة سنة 2005. وانضمت روسيا لها فى سنة 2013 بعد مصر بنحو 43 سنة.

- وفى لقاء بمؤسسة الأهرام، داعبت سفير روسيا الراحل، بأن بلده هو الذى تخلى عن مصر عندما اختارت مسيرة السلام، وراهنت روسيا بالخطأ على الرؤساء حافظ الأسد، وصدام حسين، وعلى عبد الله صالح، ومعمر القذافى. وصرنا نسأل: أين بلغوا ببلدانهم؟ وأين بلغت سياسة مصر بنا؟

- وكثيراً ما نقارن بين ما أدت إليه سياسة مصر حرباً وسلماً، من المحافظة على كامل ترابها الوطنى، ووحدة شعبها المتواصلة، وبين من عارضوها وجمدوا عضويتها فى جامعة الدول العربية. والأمثلة لا تنتهى.

ولكى ندرك كيف تختار مصر أولوياتها، فإننا ننظر حولنا، وندرك كيف يقوم البناء العالمى الواسع، والتجمعات الإقليمية، ووضع الجوار المباشر لمصر. فكل ذلك يسهم فى تحديد الرؤية واختيار الطريق.

النظام العالمى:

أسفرت أوضاع العالم بعد الحرب العالمية الثانية عن توافق بين دول الحلفاء المنتصرة، لتأسيس نظام عالمى جديد، أنشأ نظام الأمم المتحدة UN System، وشمل فى شقه الاقتصادى مؤسستى صندوق النقد الدولى IMF والبنك الدولى للإنشاء والتعمير IBRD. ولاحقاً عقدت الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات GATT سنة 1947 التى تحولت إلى منظمة للتجارة العالمية WTO فى عام 1995. كما تفرعت عن نظام الأمم المتحدة فى شقه الاقتصادى والمالى والتجارى والتنموى، العديد من المنظمات.

ويعتبر البنك الدولى للإنشاء والتعمير WB إحدى الوكالات المتخصصة التى تعنى بالتنمية. حيث أوكلت له مهمة مساندة جهود إعادة إعمار ما دمرته الحرب الثانية فى دول أوروبا أساساً، ثم امتدت جهوده وخبراته لباقى دول العالم.

كما أن صندوق النقد الدولى IMF يقوم بدور بنك للبنوك المركزية فى العالم، ويتولى مساندة نظام مالى ومصرفى يحافظ على توازن سياسات الصرف واستقرار العلاقة بين العملات وتجنيبها الهزات التى تؤثر على استقرار المعاملات ومصالح المودعين.

أما الاتفاقية العامة للتجارة

والتعريفات GATT وورثتها WTO، فتعمل على تيسير سبل التجارة الدولية وانسيابها بصورة تستهدف تحقيق التوازن بين مصالح مختلف أطراف المجتمع الدولى. وصارت تضم اختصاصات أكثر وأكبر. ولم تعد هناك دولة يعتد بها فى النظام التجارى العالمى، لم تصبح عضواً فى المنظمة، أو تسعى لعضويتها.

وقد تعاظم دور التجارة الخارجية فى التنمية والاستقرار، نتيجة للتحرير ولتطور وسائل النقل والمواصلات والاتصالات. فلعبت التجارة دور قاطرة النمو وجذب الاستثمارات وتوفير التوظف ومكافحة الفقر. ويكفى أن التجارة الدولية كسبت فى السنوات الأخيرة مئات المليارات من الدولارات الإضافية، نتيجة لجهود تحرير التجارة العالمية والإقليمية. ومع ذلك فكثيراً ما تتعرض حرية التجارة للجدل فى مواجهة مطالب حماية الصناعة المحلية، التى يعارضها من يخشون أن تنقلب إلى حماية مستمرة تجعل مستقبل الإنتاج رهناً للحماية وليس لما توفره معايير الكفاءة والجودة من ضمانات حقيقية للنجاح. وقد أثبتت التجربة أن أغلب الصناعات التى تتمتع بالحماية المبالغ فيها تعتاد هذا الوضع وتفقد الدافع للتطور، مما يؤدى لإهدار الموارد والقدرات الإنتاجية. ولذا يزداد القبول بالتدرج فى مواجهة المنافسة، وإعادة توزيع الموارد على القطاعات القادرة على التحدى.

التنمية بالتجارة الخارجية:

مع تراجع سياسات الحماية وإحلال الواردات، ازدهر نموذج التحرير والحد من معوقات التجارة ومن تدخل الدولة. وقد أوصى البنك الدولى الدول العربية باتباع الآتى - قياساً على تجارب دول شرق وجنوب شرق آسيا، ودول منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية OECD:

- توفير الشفافية فى اتخاذ القرارات الاقتصادية وزيادة القدرة على التنبؤ وكفاءة الإدارة كسباً للثقة واستقرار المعاملات.

- تشجيع المنافسة، وتبنى معايير الجودة، والاستثمار فى البنية الأساسية وتحريرها من القيود.

- ضبط أداء الأجهزة البيروقراطية وممارسات جماعات المصالح. فرغم التزام كثير من الدول العربية بمقررات منظمة التجارة العالمية، يسعى المنتفعون من الحمائية للحيلولة دون تنفيذ الالتزامات وإقامة العوائق البيروقراطية والفنية.

- انتهاز الدول العربية المتوسطية لفرصة التوصل إلى أهداف التنمية بتطبيق الإصلاح الهيكلى وتنفيذ التزامات جولة أوروجواى.

- الاستفادة من نفاذ الصادرات عن طريق اتفاقات المشاركة الأوروبية وإنشاء مناطق إقليمية للتجارة الحرة، وتشجيع التبادل التجارى فيما بين الدول العربية.

صندوق النقد الدولي

مؤسسات التمويل الدولية - ومشروطية الصندوق ؟

لمواجهة التحديات الاقتصادية طلبت مصر من الصندوق والبنك مساعدتها. وأعلن الصندوق عن استعداده لمساندة مصر ودعمها بقرض قيمته 12 مليار دولار. ويرى الخبراء أن الاتفاق مع الصندوق يعتبر فى حد ذاته شهادة بصلاحية أداء الاقتصاد. كما أن تكلفة الاقتراض منه هى الأقل مقارنة بالاقتراض من مصادر أخرى أو من الداخل. وعلى غير ما يقال فليس لدى الصندوق «روشتة» أو برنامج ثابت يفرضه على شركائه. فالواقع أن مصر هى التى اختارت برنامجها للإصلاح بمساعدة خبراء الصندوق. ووافق مجلس إدارة الصندوق على ذلك البرنامج. وقرر مساندة مصر بثلاث وسائل:

1- مواصلة تقديم المشورة على ضوء تجاربه فى دول ذات ظروف مشابهة.

2- تقديم قرض ميسر قيمته 12 مليار دولار تقسم على شرائح وفقاً للتقدم فى التنفيذ. وكان حصول مصر مؤخراً على الشريحة الأخيرة، يعنى أن البرنامج قد طبق بنجاح.

3- إصدار تقارير متابعة تعتبر بمثابة شهادة صلاحية لأداء الاقتصاد المصرى. وهو أمر يطمئن ويجذب من يتعامل مع مصر بالتجارة أو الاستثمار.

البعد الإقليمي

أدى تعميق علاقات التكتلات الإقليمية إلى تخطى مفاهيم وممارسات السيادة. فاتجهت التكتلات نحو التوسع والاندماج مع شركاء جدد وتعميق العلاقات وتقويتها بين الشركاء القدامى. كما يحدث فى الاتحاد الأوروبى EUالذى قطعت دوله شوطاً طويلاً فى توسيع عضويتها أفقياً (28

كيف نسوق مصر

دولة) وتعميق علاقاتها الرأسية عن طريق وسائل وآليات كثيرة من بينها:

- تنسيق السياسات الأمنية.
- والمشاركة فى السياسات الدفاعية (حلف الناتو/ القوة الأوروبية للتدخل السريع).
- توحيد وتنسيق السياسات المالية والنقدية ووسائل الدفع.
- السياسات التجارية الموحدة، وسياسات تشجيع قطاع الزراعة ودعمه.
- تفويض سلطة تحصيل الجمارك لآليات الاتحاد الجمركى.
- سياسات العمل والهجرة وحرية الانتقال، التى تدار مركزياً من بروكسل.
- التخلى عن ممارسة السيادة على الحدود بين دول الاتحاد التى أوكلت سلطة إصدار التأشيرات لآليات معاهدة «شينجن».
- العملة الموحدة «اليورو» لدول تركت لبنك مركزى واحد سلطة إصدار النقود.

الأبعاد الإقليمية لعلاقات مصر الاقتصادية الخارجية

العمل العربى المشترك

يتزايد الإدراك العربى بالحاجة إلى تنسيق مواقف الدول العربية وتقييم أوضاعها وتحالفاتها لتحقيق القاسم المشترك الأعلى لمصالحها، وذلك فى ضوء المعطيات التالية:

- ما زال أهم مستثمر فى العالم العربى هم العرب أنفسهم.
- إن أهم شركاء العالم العربى التجاريين هم: الاتحاد الأوروبى بنسبة 28٪ من التجارة العربية) فالولايات المتحدة الأمريكية (بنسبة 12٪).
- تعتبر التجارة البينية العربية أقل من الإمكانيات المتاحة بالفعل. حيث يبلغ متوسطها نحو 12٪ (وبلغت 19٪ بالنسبة لمصر فى عام 2011 وتحقق فائض لصالح مصر).

البعد الأوروبى للعلاقات المصرية - السياسة الأوروبية المتوسطية

يرتبط الاتحاد الأوروبى مع دول جنوب المتوسط باتفاقيات للمشاركة تشمل العلاقات السياسية والأمنية، والاقتصادية والمالية، والثقافية والاجتماعية. وتقيم منطقة للتجارة الحرة. ووقع مع ثمانى دول عربية هى: تونس والجزائر والمغرب ومصر والأردن وسوريا ولبنان والسلطة الفلسطينية اتفاقات تهدف لإقامة تجمع سياسى اقتصادى للتعاون فى مجالات:

- التعاون السياسى والأمنى،
- التعاون الاقتصادى والمالى،
- التعاون الاجتماعى والثقافى.

وقد أنشأت مصر والأردن وتونس والمغرب، منطقة للتجارة الحرة فيما بينها تستفيد من مزايا انفتاحها على السوق الأوروبى. وتسعى لضم سوريا ولبنان والسلطة الفلسطينية والجزائر لهذا التجمع.

مصر والولايات المتحدة:

وقّعت مصر والولايات المتحدة وإسرائيل يوم 14 ديسمبر 2004 بروتوكول تجارة يتيح لصادرات مصر - من مناطق صناعية مؤهلة ومحددة Qualifying Industrial Zones (QIZ)) - النفاذ إلى السوق الأمريكى بإعفاءات جمركية، بشرط أن تحتوى تلك المنتجات على مكونات إسرائيلية المنشأ بنسبة لا تقل عن 11.6٪، مع إمكانية استخدام مكونات أجنبية من خارج الدول الثلاثة المتعاقدة تصل إلى 65٪.

ويرى صناع المنسوجات المصريون، أن إنشاء مناطق صناعية مؤهلة بالصياغة الأمريكية الراهنة ينطوى على عدد من المحاذير على النحو التالى:

- تمثل صناعة الغزل والنسيج والملابس الجاهزة أحد أهم الصناعات المصرية. ويمكن وفقاً لقواعد منشأ المناطق الصناعية المؤهلة QIZ الاكتفاء بمكون مصرى يهبط إلى نسبة 11.6٪، والاستغناء عن المنسوجات المصرية فى

صناعة الملابس فى تلك المناطق.

– ربط صادرات مصر من الملابس والمنسوجات بالسوق الأمريكى بوساطة إسرائيلية، والتمييز بين المنتجين الذين لا يستطيعون العمل وفقاً لهذا النظام. بما يصل إلى أن المنتج ذا المكون المصرى بنسبة 100٪ لا يصدر للولايات المتحدة ما لم يدخل فيه مكون إسرائيلى بالنسبة المطلوبة.

كيف نسوق مصر

السياسات الوطنية المصاحبة لفتح الأسواق العالمية:

لا توفر عضوية مصر فى منظمة التجارة العالمية، أو اتفاقيات مناطق التجارة الحرة وحدها، إمكانية زيادة الصادرات، وجذب الاستثمارات. فهى أداة تساعد فى فتح الأسواق وحفز القدرة التنافسية. وينبغى على من يتولى تسويق التجارة والصادرات المصرية وجذب الاستثمارات، أن يدرك جيداً إمكانيات الأسواق الواسعة المفتوحة أمام المنتج المصرى. حيث تتمتع صادراتنا بإعفاء جمركى كامل فى دول الاتحاد الإفريقى (حالياً 1200 مليون) والمنطقة العربية (400 مليون) ودول الاتحاد الأوروبى (500 مليون). ومن المهم التأكيد على أن الأسواق المفتوحة أمام منتجات مصر دون عوائق تزيد على 2000 مليون مستهلك.

أما توفير الصادرات بالكميات والجودة المطلوبة، فتمثل واجباً وتحدياً كبيراً. إذا عرفنا أن الصناعة المصرية تصدر فقط 6٪ من ناتجها. أى أن أغلب صناعاتنا تركز على السوق المحلى (100 مليون) سواء من حيث الأذواق، أو طلباً للحماية ضد المنافسة، بسبب غيبة الجودة التنافسية. ويتطلب ذلك تبنى السياسات الوطنية الملائمة. ومن أهمها:

– مواصلة تحرير التجارة وخفض الرسوم الجمركية إلى المستويات العالمية.

– استكمال إصلاحات النظام الضريبى وتقريب معدلات الضرائب الوطنية من المستويات العالمية التى تكفل للإنتاج أوضاع المنافسة المقبولة.

– تطوير تشريعات العمل وتوفير المرونة لمواءمة حجم العمالة لظروف الإنتاج والتكنولوجيا، ولاختيار العناصر الأفضل مقابل فرص توظف أفضل.

– تطوير الأنظمة التشريعية ودعم الجهاز القضائى خاصة بالنسبة لفض المنازعات التجارية والتحكيم. حيث يعتبر بطء إجراءات التقاضى من معوقات الاستثمار.

– استمرار تحرير الخدمات ودعم القطاع الخاص للحد من الاحتكار فى القطاع المالى والبنية التحتية والسماح للمنشآت الخاصة بالمنافسة وزيادة الإنتاجية.

– تنمية الموارد البشرية ودعم السياسات الاجتماعية، وزيادة الموارد المخصصة للتعليم الأساسى والصحة والتدريب والتأهيل المهنى.

– تهيئة البيئة الاقتصادية والبنية الأساسية لاستقبال الاستثمارات الخاصة فى المجالات الحيوية (المصارف والاتصالات والطاقة والنقل، والصناعة والزراعة والإسكان.. إلخ).

وخلاصة القول:

ستظل مصالح مصر الاقتصادية متركزة حول المناطق العربية والأوروبية والأمريكية والإفريقية. ويجب أن تتركز الجهود على النحو التالى:

– مواصلة تحسين أداء آليات منطقة التجارة الحرة العربية الكبرى. وإزالة العوائق الجمركية وغير الجمركية والفنية أيضاً.

– التوصل لنظام يصل لتحقيق الحرية الرابعة للأسواق، وهى حرية انتقال الأفراد.

– تحسين فرص جذب الاستثمار من دول الخليج، وإمكانيات نفاذ الصادرات المصرية.

– تعظيم الاستفادة مما تتيحه المشاركة المصرية الأوروبية لفرص الصادرات، وجذب الاستثمارات، ونقل التكنولوجيا المصاحبة، ولبرامج المساعدات المالية.

– الإلحاح على الإدارة الأمريكية للدخول فى مفاوضات سريعة Fast Track لعقد اتفاق للتجارة الحرة على نمط ما عقدته أمريكا مع كل من المكسيك وإسرائيل والأردن والمغرب والبحرين وعمان.

– معالجة معوقات التجارة مع إفريقيا والدول العربية بخلاف العوائق الجمركية.

– توفير السبل والمناخ الملائم لقيام قاعدة إنتاجية كبرى فى مصر.

ويؤهل كل ذلك مصر كى تصبح مركزاً لأنشطة المنطقة الاقتصادية والتجارية والمالية والمصرفية والخدمية والسياحية.

قمة روسيا / إفريقيا ... فرص وتحديات

شهدت مدينة سوتشي الروسية على ساحل البحر الأسود أول قمة روسية/ إفريقية، في 23/ 24 أكتوبر الماضي، ترأس أعمالها الرئيسان عبدالفتاح السيسي، بوصفه الرئيس الحالي للاتحاد الإفريقي، والرئيس فلاديمير بوتين، حيث ألقى كل من الرئيسين كلمة أمام الجلسة العامة للقمة تناولا فيها مجالات وآليات التعاون بين الجانبين، وعقدت على هامش القمة نحو 30 فعالية اقتصادية وتجارية، بجانب فعاليات أخرى تعلقت بمناقشة قضايا الأمن ومعرض لإنجازات وقدرات البلدان المشاركة الاقتصادية والعلمية والبيئية والثقافية وغيرها. وقد حضر القمة من الجانب الإفريقي 43 رئيس دولة وحكومة، بينما تم تمثيل 11 دولة على مستوى وزارى.

سفير د. عزت سعد

saad.ezzat@gmail.com

واستهدفت القمة تدشين إطار متكامل لدفع العلاقات الروسية/ الإفريقية إلى آفاق أوسع للتعاون المشترك في مختلف المجالات، من خلال أجندة للقمة شملت: حالة وآفاق العلاقات بين روسيا وبلدان القارة وسبل تطويرها في كافة المجالات، كما شهدت تبادلاً متعمقاً للآراء بشأن وضع تدابير متفق عليها في مجال مواجهة الإرهاب والجريمة العابرة للحدود والتحديات والمخاطر الأخرى التي تهدد الأمن الإقليمي والعالمي. وتعكس الأجندة القضايا ذات الأولوية للجانبين الروسي والإفريقي، وبما يتسق مع أولويات الرئاسة المصرية للاتحاد الإفريقي كما أعلنتها القاهرة في فبراير الماضي، لاسيما فيما يتعلق بتعزيز السلم والأمن في القارة والتكامل الاقتصادي والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، وتعزيز التعاون مع الشركاء الإقليميين والدوليين للسلام وشركاء التنمية.

وقد أجرى الرئيس بوتين 13 لقاء ثنائياً على هامش القمة، بما في ذلك اللقاء مع الرئيس عبدالفتاح السيسي، الذي التقى برئيس الوزراء الإثيوبي آبي أحمد وآخرين على هامش القمة. كذلك جرى توقيع العديد من الوثائق في مجالات الاقتصاد والتجارة والاستثمار، بما فيها اتفاق إطار لتمويل التجارة الروسية مع إفريقيا وكذلك المشروعات المشتركة، وهي آلية ذكر الجانب الروسي أنها تعمل بالفعل مع 10 دول إفريقية، سيتم توسيعها لتشمل دولاً أكثر حسب الحاجة.

ويؤكد العديد من الكتاب والسياسيين الروس أن انسحاب روسيا من إفريقيا أوائل التسعينات كان خطأً إستراتيجياً كبيراً. وخلال السنوات القليلة الماضية، ورغم أن بوتين لم يزر إفريقيا جنوب الصحراء سوى ثلاث زيارات فقط كلها لجنوب إفريقيا- إحدى دول مجموعة بريكس الخمس- إلا أن موسكو سعت إلى تعزيز وجودها في إفريقيا بشكل كبير، حيث وقعت اتفاقات جديدة مع العديد من الدول تغطي مجالات متنوعة من التعاون المشترك، بما فيها التعاون في مجال التكنولوجيا العسكرية والأمن ومكافحة الإرهاب والاستخدامات السلمية للطاقة النووية.

ومما لاشك فيه أن روسيا تعد وجهاً مقبولاً في إفريقيا، ليس فقط لأنه لم تكن لديها مستعمرات فيها، حيث عمل الاتحاد السوفيتي بنشاط من أجل إنهاء استعمار القارة، بل وأيضاً في ضوء المبادئ التي تحكم سياسة روسيا الخارجية لاسيما مبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية والبعد عن المشروطية السياسية، والتسوية السلمية للمنازعات الدولية في إطار التنظيم الدولي المعاصر سواء أكان إقليمياً أو عالمياً.

الإستراتيجية الروسية نحو إفريقيا:

في ظل إدراك روسيا بأن إمكاناتها المالية والاقتصادية أقل لتنفيذ سياستها في القارة بالمقارنة بالصين مثلاً، فهي لا تسعى إلى التنافس مع القوى الأخرى في القارة، ربما باستثناء مبيعات السلاح والاستخدامات السلمية للطاقة النووية. وفي هذا السياق، يدرك الروس أنه منذ انسحابهم من إفريقيا عززت الدول الغربية والصين مواقفها هناك، وبالتالي يجب أن تقدم الإستراتيجية الروسية الجديدة تجاه إفريقيا قيمة سياسية واقتصادية وثقافية مضافة للبرامج الجاري تنفيذها في القارة بالتعاون مع الشركاء الآخرين، بما يحقق المصالح المشتركة للجانبين.

ومنذ قيام روسيا بسداد ديونها الخارجية في بدايات الألفية الثالثة واستعادة قوتها الاقتصادية واستئناف دورها على المسرح العالمي، بدأت في الانتباه لعلاقاتها الإفريقية إيماناً منها بأهميتها، وبأن قيامها بدور

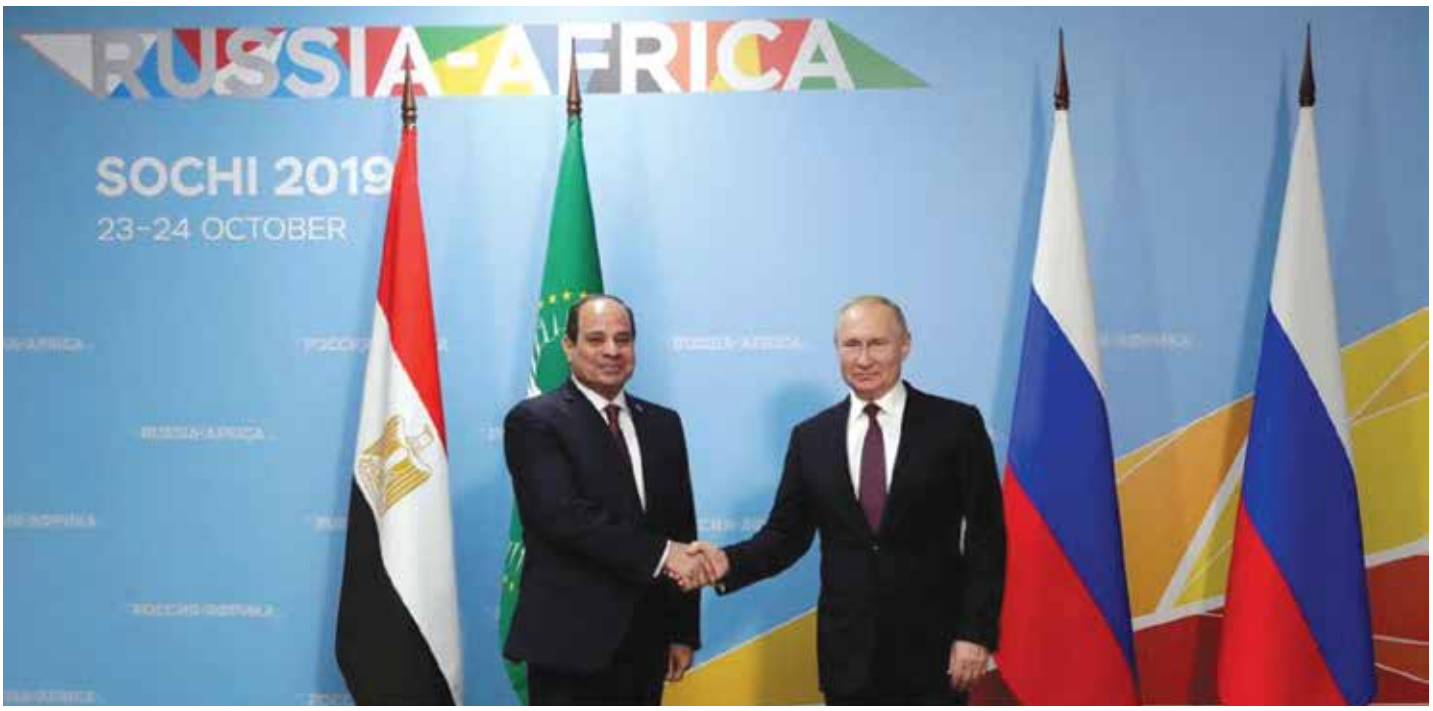

دولي لن يستقيم بدون علاقات فعالة بدول القارة السمراء. وفي هذا السياق قامت موسكو بتعيين مبعوث رئاسي خاص لروسيا لدى إفريقيا هو أليكسي فاسيلييف مدير معهد إفريقيا التابع للأكاديمية الروسية للعلوم. والواقع أنه بجانب الاعتبارات الجيوسياسية وراء التوجه الروسي نحو إفريقيا كجزء من إستراتيجيتها العالمية، كقوة كبرى، هناك عوامل أخرى وراء هذا التوجه أهمها:

- اندماج الاقتصاد الروسي والاقتصادات الإفريقية في الاقتصاد العالمي، خاصة بعد انضمام موسكو للمنظمة العالمية للتجارة عام 2012.

- رغبة روسيا في تنويع أسواقها الخارجية وعدم الاكتفاء بالأسواق التقليدية.

- تطابق مصلحة روسيا وإفريقيا في العمل على ضمان سيطرة كل منهما على ما لديهما من موارد طبيعية، والتي تقدر بنحو 60% من المواد الخام عالمياً، وذلك في مواجهة الدول المتقدمة التي تسعى لأن تصبح الموارد الطبيعية، أينما وجدت، ملكية مشتركة للإنسانية لخدمة مصالحها الاقتصادية الذاتية، حيث لا تمتلك الدول المتقدمة سوى نسبة 20% من تلك الموارد الطبيعية في الوقت الذي تنتج فيه 80% من السلع المصنعة في العالم.

- ارتباطاً بما تقدم، ووفقاً لتقديرات روسية عديدة، بدأت روسيا تسجل تراجعاً في مخزون الموارد الطبيعية في المناجم، حيث بدأت 35 من أهم المعادن الروسية تتناقص، ومنها المنجنيز والكروم والبوكسيت والزنك. وتبدو عملية اكتشاف مناجم جديدة فيما وراء جبال الأورال مكلفة للغاية وتستغرق وقتاً كبيراً. وقد دفع ذلك العديد من كبريات الشركات الروسية لتكثيف نشاطها في إفريقيا، وإن كان ذلك بخطى بطيئة.

ومما لا شك فيه أن العقوبات الغربية على روسيا بعد الأزمة الأوكرانية عام 2014 هي عامل مهم دفع موسكو صوب إفريقيا لتخفيف الضغوط الغربية عليها ارتباطاً بالعقوبات، وذلك كما سيلي البيان.

وقد بدأ هذا التوجه الروسي نحو إفريقيا عام 2006 / 2007، حيث شهد التبادل التجاري بين الجانبين نمواً بلغ نحو 50% (من الجانب الروسي)، كما كان قد وصل حجم استثمارات الشركات الروسية المعلنة في القارة نحو 10 مليارات دولار.

في السياق عاليه، بدأت روسيا في تقديم برامج مساعدات تنمية (غير رسمية) لصالح بعض الدول الإفريقية، وقامت بشطب ديون مستحقة لها على دول إفريقية إبان فترة الاتحاد السوفيتي بقيمة 20 مليار دولار، كما تم شطب ديون بقيمة 5.47 مليار دولار لاحقاً (على كل من بنين وإثيوبيا ومدغشقر وموزمبيق وتنزانيا وزامبيا وغيرها).

ومنذ إعلان موسكو عن استضافة قمة إفريقية والإعلام الغربي لا يكف عن الحديث، وبقدر كبير من المبالغة، عن تحركات موسكو لزيادة نفوذها وتعزيز حضورها في القارة الإفريقية عبر إستراتيجيات من قبيل «إبرام صفقات عسكرية» وإعداد جيل جديد من «القادة والعملاء السريين». وقد ذهبت بعض التقارير إلى حد الادعاء بأن روسيا، وتحديداً الرئيس بوتين، عازم على «طرد الولايات المتحدة والقوى الاستعمارية السابقة – بريطانيا وفرنسا– من القارة والتصدي للانتفاضات الموالية للغرب».

والواقع أن اهتمام موسكو بإفريقيا هو تحرك جديد يأتي في سياق أوسع بسبب العقوبات الغربية الموقعة على

قمة روسيا / إفريقيا... فرص وتحديات

روسيا منذ عام 2014 في أعقاب الأزمة الأوكرانية وضم شبه جزيرة القرم، مما دفعها إلى التوجه شـــرقاً نحو الصين بصفة أساســـية ودول أخرى في آسيا والشرق الأوسط مثل مصر وتركيا والهند ودول الخليج وغيرها، ثم الآن جنوباً من أجل كسب مواقع جيوسياسية وفرص جديدة في قارة باتت ســـاحة للتنافس فيما بين القوى الكبرى. وتدرك روسيا، شـــأنها شـــأن القوى الكبرى المهتمة بإفريقيـــا، أن الاهتمام الأجنبي بالقارة يمر اليوم بالموجة الثالثة من «التدافع والتنافس الكبير» علـــى القارة (كانت الموجـــة الأولى الاســـتعمار الأوروبي في القرن التاســـع عشر، والثانية إبان الحرب الباردة حيث جرى التنافس على ولاء الدول المستقلة حديثاً)، وذلك لعدد من الأســـباب من بينها تزايد نصيبها من سكان العالم، حيث إنه بحلول عام 2025، تتوقـــع الأمم المتحدة أن يفوق عدد الأفارقة عدد الشعب الصيني. ومن ثم، اتخذت الحكومات والشـــراكات من جميـــع أنحاء العالم خطـــوات لتعزيز العلاقات الدبلوماســـية والإستراتيجية والتجارية مع البلـــدان الإفريقية. ومن شأن ذلك خلق فرص واسعة للأفارقة، شـــريطة نجاحهم في التعامل مع هذه الموجة الجديدة بحكمة. وللتدليل على هذا التدافع، تـــم افتتاح أكثر من 320 ســـفارة أجنبية على الأرض الإفريقية في الفترة مـــن 2010 و2016، وهو ما يمثل أكبر طفرة فـــي عمليات بناء الســـفارات في أي مكان على الإطلاق، وفتحت تركيا وحدها 26 سفارة، وفي العام الماضي أعلنـــت الهند عن فتح 18 ســـفارة جديدة هناك. أيضاً تشهد العلاقات العسكرية تطورات ملحوظة، حيث باتت الصين الآن أكبر بائع سلاح لإفريقيا جنـــوب الصحـــراء، ولديها روابط تكنولوجية دفاعية مع 45 دولة إفريقية. ومن جانبها وقعت روسيا 19 صفقة عســـكرية مع دول إفريقيا منذ عام 2014، فيما تقـــوم بعض الدول العربية الخليجية ببناء قواعد في القرن الإفريقي وتوظيف المرتزقة الأفارقة.

وبدورها تشهد العلاقات التجارية تطوراً هي الأخـــرى، ففي عام 2006 كان أكبر ثلاثة شركاء تجاريين لإفريقيا هم أمريـــكا والصين وفرنســـا، على الترتيـــب. وبحلول عام 2018 صعدت الصيـــن للمرتبة الأولـــى حيث زادت تجارتهـــا مع إفريقيـــا 40 مرة خلال العقدين الماضييـــن لتصل إلى 140 مليار دولار عام 2017، تليها الهند ثم الولايات المتحدة فـــي المرتبة الثالثة حيث انخفضت تجارتهـــا مع إفريقيا من 120 مليار دولار عام 2012 إلى ما يزيد قليلاً علـــى 50 مليار دولار اليوم، فيما جاءت فرنسا في المرتبة السابعة. وخلال الفتـــرة ذاتها، تضاعفت تجارة إفريقيا أكثـــر من ثلاث مرات مع تركيا وإندونيسيا، وأكثر من أربعة أضعاف مع روســـيا، من 5.7 مليار دولار عام 2009 إلى 20.4 مليـــار عام 2018، أي ما يعادل نصف قيمة المبادلات مع فرنسا وأقل بعشر مرات من المبادلات مع الصين. وقد أكد الرئيس بوتين خلال القمـــة أن هدف بلاده هـــو «مضاعفة المبـــادلات التجارية مـــع القارة في الســـنوات الخمس القادمة كحد أدنى» لافتاً الانتباه إلى أن صادرات روســـيا من المواد الغذائية تبلغ 25 مليار دولار ســـنوياً وأن هذه الصادرات لا تقتصر على السلاح.

وقد كشف المسئولون الأمريكيون، خلال القمـــة التجاريـــة الأمريكية/الإفريقية الثانية عشـــرة (مابوتو– 12 يونيو 2019) عن اســـتثمارات بقيمة 60 مليار دولار في البلدان المنخفضة والمتوسطة الدخل، مع التركيز بصفة خاصة على إفريقيا. وجاء الإعلان بعد نحو ستة أشهر من عرض جون بولتون مستشار الأمن القومي الأمريكي السابق «إســـتراتيجية إفريقيا الجديدة» لإدارة ترامب. ووفقاً للوثيقة «يقوم منافســـو القوة العظمى، الصين وروسيا، بتوسيع نفوذيهما المالي والسياسي بسرعة في جميع أنحاء إفريقيا... والاســـتثمار في المنطقة لاكتســـاب ميزة تنافسية على الولايات المتحدة».

وتجدر الإشـــارة إلـــى أن تجارة إفريقيا مـــع الاتحـــاد الأوروبي نمت بنسبة 41%. ولاتزال الشركات الصينية والأمريكية والبريطانية والفرنسية، هي أكبر مصادر الاستثمار الأجنبي المباشر فـــي إفريقيا. كما حرصت الشـــركات الهندية والســـنغافورية على الانضمام إلى «المعركة».

ويوجد لروســـيا حضور عسكري ومهمة حفظ ســـلام فـــي جمهورية إفريقيا الوســـطى كما وقعت اتفاقات تعاون عســـكري مع حوالي 20 دولة إفريقية خلال السنوات القليلة الماضية، ونجحت في توثيق تعاونها مع السودان

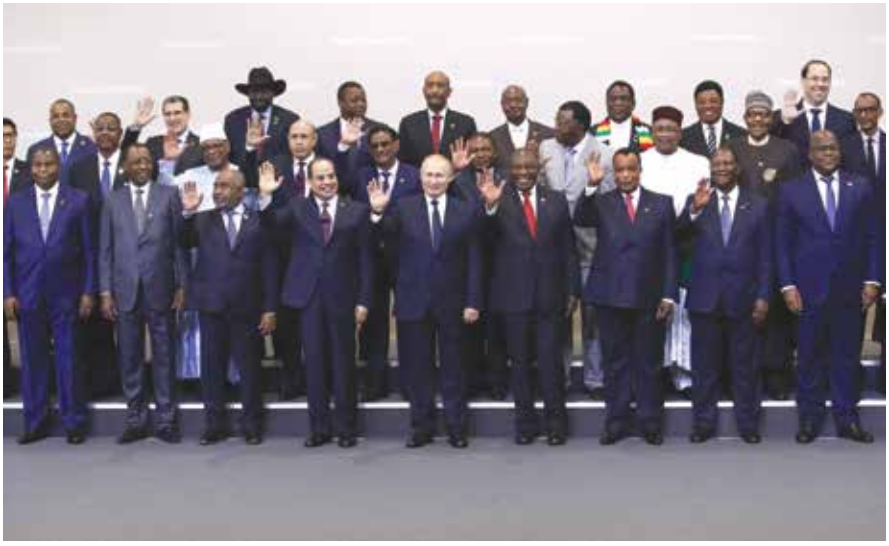

ومدغشـــقر وليبيا وزيمبابوي وجنوب إفريقيا ثم جنوب السودان، وجمهورية الكونغو الديمقراطية وتشـــاد وزامبيا. وهناك اهتمام روســـي خاص بتطوير علاقات التعاون الثقافي مع دول القارة والدعوة إلى تطويـــر الذاتية الإفريقية. وفي هذا السياق، أنشأت روسيا بعض المنصات الإعلامية منها موقع إلكتروني «صوت إفريقيا اليومي» ومقره المغرب وخدمة أخبار باللغة الفرنسية «بانوراما إفريقيـــا» ومقرها عاصمة مدغشـــقر أنتاناناريفو، كما تخطط لإنشـــاء قناة تليفزيونية على غرار «روســـيا اليوم» موجهـــة لإفريقيا للتعريف بروســـيا وحضارتها وسياستها الخارجية وقيمها الحضارية... إلخ. وتســـتهدف موسكو من ذلك تغيير الصورة النمطية لروسيا في أذهان شعوب القارة.

ومـــما لاشـــك فيـــه أن المنطقة الصناعية الروســـية التـــي اتفق على إنشائها شرق بورســـعيد توفر فرصة كبيـــرة لروســـيا كبوابـــة للصادرات الروســـية لإفريقيا، خاصة بعد دخول اتفاقية التجارة الحرة القارية الإفريقية حيز النفاذ فـــي 7 يوليو 2019، والتي تعد عامل جـــذب كبير لرؤوس الأموال الأجنبية، لاسيما وأن الأسواق الإفريقية مصنفة كأكثر الأســـواق المتعطشـــة لدخول منتجات وخدمات جديدة على عكس الدول المتقدمة، علماً بأنه لا يوجد لروسيا سوى أربع بعثات تجارية فقط في إفريقيـــا (مصر والجزائر والمغرب وجنوب إفريقيا).

وتجدر الإشـــارة إلـــى أن القمة الروســـية/ الإفريقية تجيء في الوقت الذي يســـعى فيه الاتحاد الإفريقي إلى تنسيق علاقات دولية أفضل مع القارات والبلدان الأخرى. وفي هذا السياق، اتخذ الاتحاد قراراً على المســـتوى الوزاري خلال قمتـــه الثانية والثلاثين المنعقدة في أديـــس أبابا مؤخراً لمراجعة جميع «الشراكات الإستراتيجية» ووضع مبادئ توجيهيـــة حول كيفيـــة تعامل القارة مع هؤلاء الشركاء. ويتزامن القرار مع إصلاحات الاتحاد الإفريقي المســـتمرة والتي تهدف إلى ضمـــان أن تتحدث إفريقيا بصوت واحـــد عالمياً. وهناك حديث عـــن إعداد إســـتراتيجية لهذه الشراكات أو لسياسة خارجية مشتركة للقارة للتفاعل مع هذه الشراكات. ففي بيئة عالمية سريعة التغيير يتعين على البلدان الإفريقيـــة أن تبت في المبادئ التي تحكم شـــراكاتها مع بقية العالم، حيث تأتي المبـــادرات دائماً من الدول صاحبة الشراكات.

أهم نتائج القمة:

في مؤتمر صحفي أشـــار دينيس مانتوروف وزير التجـــارة والصناعة الروســـي إلى أنه من بين أهم ما انتهت إليه القمة الاتفاق بين الشركات الروسية ونظيراتهـــا الإفريقية علـــى تطوير التعاون في مجالات خمسة إستراتيجية هي: تحديث البنية الأساسية الصناعية الحاليـــة والتي تشـــمل تزويد الجانب الإفريقي بالمعدات المعدنية والتعدينية – تطوير نظام النقل واللوجيستيات بما في ذلك إمداد إفريقيا بفلنكات السكك الحديديـــة والطائـــرات والمروحيات المتعددة الطـــرازات والأهداف، وتضم الأمن والسيطرة لهذه الأنواع من وسائل النقل – مشـــاركة الجانب الروسي في إنشـــاء البنية التحتية في مجال الطاقة (الغاز والنفط) وقـــدرات التوليد، بما فيها الطاقة الهيدروليكيـــة والنووية ومشـــروعات أخرى كبرى في مجالات مصادر الطاقة المتجـــددة – التعاون في مجـــال الأمن الغذائـــي في مجال الدواء والصناعات الدوائية والمشاركة في التنمية التكنولوجية لنظام الرعاية الصحية والإمدادات الدوائية لكل دول القارة.

وأضـــاف الوزير أنه تـــم تحديد نقطتين للحضور الروسي (الاقتصادي والتجاري) في القارة:

مصر في الشمال وجنوب إفريقيا في الجنوب، مضيفـــاً أنه بالتعاون مع الشركاء الأفارقة يمكن بناء طريق سريع يربط شـــمال القارة بجنوبها، وضمان نمو اقتصادي وصناعي مناسب.

وبطبيعـــة الحال هنـــاك عقبات كثيرة أو بالأحرى تحديات أمام تطوير العلاقات الإفريقية الروسية لعل أبرزها ما يراه الجانب الروســـي من مخاطر عديدة أمام الاستثمار في إفريقيا سواء أكانت سياسية أو لوجيستية أو أمنية أو تمويلية.

كذلـــك هنـــاك نقص شـــديد في المعلومات مـــن كل جانب تجاه الآخر، وبالتالي فقد تـــم التأكيد على ضرورة اســـتمرار الدول في دعم المشـــاريع المطلوب تنفيذها على الجانبين كشرط لنجاح هذه المشاريع. وفي هذا السياق، فقد أوضح الجانب الروســـي أنه أعد مجموعة مـــن التدابير بما فيها مجالات التعاون الممكنة ومســـاعدة الشركات الروســـية على إقامة علاقات عمل مع البعثات التجارية الروسية في الخارج.

وتجدر الإشارة إلى أنه على هامش منتدى التعاون الاقتصادي تم التوقيع على اتفاق بإنشاء إطار لتمويل التجارة الروسية مع القارة وتمويل المشروعات المشتركة، وتعمل هذه الآلية في الوقت الحالي مع حوالي 10 دول إفريقية، سيتم توسيعها لتشمل دولاً أكثر حسب الحاجة، وذلك بما يسمح بوضع ما ذكره الرئيس بوتين، فيما يتعلق بمضاعفة تجارة روسيا مع إفريقيا خلال السنوات الخمس القادمة، موضع التنفيذ.

وقد صدر عن القمة بيان ختامي، أكد الآتي بصفة خاصة:

- ثوابت السياسة الخارجية لروسيا والدول الإفريقية، والتزام الجانبين بمبادئ وأهداف الأمم المتحدة ومبادئ القانون الدولي، لاسيما مبادئ المساواة في السيادة والسلامة الإقليمية وعدم التدخل في الشأن الداخلي. كما أكد البيان على الهوية الوطنية والتنوع الحضاري.

- كشفت القمة عن تطابق أو تماثل مقاربات الجانبين بشأن العديد من القضايا الإقليمية والدولية، والدعم الروسي لأجندة 2063 التي تم إقرارها في يناير 2015 في القمة الرابعة والعشرين للاتحاد الإفريقي.

- نص البيان على إنشاء آلية لشراكة الحوار، أو منتدى روسي إفريقي للشراكة لتنسيق تنمية العلاقات بين الجانبين، واعتبار القمة بمثابة الجهاز الأعلى لهذا المنتدى على أن تعقد القمة كل ثلاث سنوات.

- عقد مشاورات ثنائية بين وزراء خارجية روسيا والترويكا الإفريقية (الرئاسة الحالية والسابقة والتالية)، فيما بين عقد القمم.

- حول التعاون السياسي، أشار البيان إلى أهمية تطوير حوار منصف يأخذ في الاعتبار مصالح روسيا والدول الإفريقية على أساس نظام عالمي متعدد الأطراف. كما أكد البيان رفض إعادة النظر في مبادئ وقواعد القانون الدولي المعترف بها عالمياً وميثاق الأمم المتحدة، وكذلك الممارسة الخاصة باعتماد تدابير بالإرادة المنفردة وفرض مقاربات تقوض المصالح المشتركة للمجتمع الدولي بصفة عامة، والتعاون الوثيق في تنفيذ أهداف ومبادئ الأمم المتحدة، وضمان أن تقوم بدور فعال في الشئون الدولية، خاصة فيما يتعلق بحفظ السلم والأمن الدوليين. وتنسيق الجهود لإصلاح الأمم المتحدة، بما في ذلك مجلس الأمن وزيادة قدراته في مواجهة التحديات والتهديدات العالمية القائمة والجديدة.

وفي هذا السياق، أكد البيان أهمية تعزيز الحوكمة العالمية والنظر في إصلاح مجلس الأمن، أخذاً في الاعتبار الحقائق الجيوسياسية، بهدف جعله جهازاً أكثر تمثيلية من خلال ضمان مشاركة أكبر للدول الإفريقية.

- عقد مبادرات منتظمة وأخرى استثنائية بين البعثة الدائمة لروسيا الاتحادية لدى الأمم المتحدة والبعثات الدائمة للدول الإفريقية لدى المنظمة، والاستمرار في تقوية الاتصالات والتنسيق بين روسيا وأعضاء مجلس الأمن غير الدائمين من الدول الإفريقية، بهدف تعزيز المصالح المشتركة.

- تطوير التعاون مع المنظمات الدولية الأخرى وتقديم دعم متبادل أكبر عند إجراء انتخابات لأجهزة هذه المنظمات وصنع القرارات بشأن قضايا ذات أهمية خاصة لروسيا والدول الإفريقية.

- أكد البيان الختامي عزم الجانبين تعزيز شراكة أعمق بين مجموعة البريكس وإفريقيا، والتعاون بين دول المجموعة والدول الإفريقية لتعزيز الآليات الجماعية للحوكمة العالمية في إطار نظام متعدد الأقطاب للعلاقات الدولية، مع قيام البلدان النامية والاقتصاديات البازغة بلعب دور رئيسي وتسهيل تنميتها الاجتماعية/ الاقتصادية المستدامة في إطار الثورة الصناعية الرابعة.

- أكد البيان أهمية تكثيف الاتصالات البرلمانية الروسية الإفريقية.

- خصص البيان الفقرات من 23 إلى 30 منه للتعاون التجاري والاقتصادي مشيراً في ذلك إلى بذل الجهود المشتركة لتعزيز التجارة والاستثمارات والتنمية المستدامة، ومواجهة كل مظاهر التصرف من جانب واحد والحمائية والتمييز ودعم نظام التجارة العالمية على أساس قواعد المنظمة العالمية للتجارة، ودعم رجال الأعمال الروس والأفارقة في جهودهم من أجل استكشاف آفاق التعاون على أساس المصالح المشتركة. ووفقاً للبيان فقد أعربت روسيا الاتحادية عن رغبتها في التعاون مع الدول الإفريقية في مجالات التجارة

دينيس مانتوروف وزير التجارة والصناعة الروسي

والصناعة وتسهيل الاستثمارات، وكذلك التعاون بين الجانبين في مجالات تنمية البنية التحتية والتصنيع، بما في ذلك بين روسيا والمجموعات الاقتصادية دون الإقليمية في القارة مثل كوميسا في شرق القارة وإيكواس في الغرب والسادك في منطقة الجنوب ومجموعة الساحل والصحراء... إلخ.

أفرد البيان فقرة خاصة (27) حول تسهيل التجارة والتعاون الاقتصادي بين الاتحاد الاقتصادي الأوروآسيوي والدول الإفريقية، وأيضاً للتعاون في مجال الطاقة، بما في ذلك تنويع مصادرها واستخدام مصادر الطاقة المتجددة وتنفيذ المشاريع المشتركة في مجال الطاقة النووية المدنية، وهو قطاع تتفوق فيه روسيا ولديها بالفعل تعاقدات في مجال بناء محطات للطاقة النووية مع بعض دول القارة بما فيها مصر.

- تحت بند «التعاون القانوني»، أكد البيان على المفهوم الروسي الإفريقي للحوكمة العالمية (الفقرات من 31 إلى 37)، مشيراً في ذلك إلى التزام الجانبين بمبادئ القانون الدولي، على النحو الوارد في ميثاق الأمم المتحدة وإعلان مبادئ القانون الدولي بشأن العلاقات الودية والتعاون فيما بين الدول، وفقاً لميثاق الأمم المتحدة، الصادر في 24 أكتوبر 1970.

وأشار البيان إلى مبدأ المساواة في السيادة كأساس لاستقرار العلاقات الدولية، ومبدأ حظر استخدام القوة أو التهديد باستخدامها بالمخالفة للميثاق، وإدانة كافة التدخلات العسكرية من جانب واحد، والاحترام الكامل لمبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول والرفض القاطع لتطبيق القوانين الوطنية من جانب الدول بالمخالفة لأحكام القانون الدولي، وذلك كمثال على انتهاك مبدأ عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول. كذلك أكد البيان مبدأ التسوية السلمية للمنازعات الدولية، وتنفيذ الالتزامات الدولية وفقاً لمبدأ حسن النية.

ولم يفت البيان الإشارة إلى التأكيد على مبدأ الحقوق المتساوية وحق الشعوب في تقرير مصيرها، والذي بات الأساس القانوني لعملية تصفية الاستعمار.

- أفرد البيان فقرات مطولة للتعاون العلمي والفني والإنساني وفي مجال المعلومات (الفقرات من 38 إلى 44) وأيضاً التعاون في مجال حماية البيئة (الفقرات من 45 إلى 47).

والخلاصة هي أن قمة روسيا إفريقيا هي بداية لشراكة أتصور أن كل دول القارة ترحب بها، خاصة وأنه لا يوجد لموسكو ماض استعماري في إفريقيا، بل العكس هو الصحيح في ضوء دعم الاتحاد السوفيتي السابق لحركات التحرر فيها، فضلاً عن التوافق الروسي / الإفريقي بشأن قواعد الحوكمة العالمية بصفة عامة، على نحو ما عكسه البيان الختامي الصادر عن القمة.

ومع ذلك، ورغم ما حققته روسيا من إنجازات خلال السنوات القليلة الماضية على صعيد علاقاتها بدول القارة، إلا أن توجهها صوب القارة السمراء لن يكون سهلاً في ضوء المنافسة الشرسة بين القوى الكبرى على موارد القارة والصعوبات الاقتصادية التي تواجهها، لاسيما في ضوء ضعف منافسة الصناعات الروسية وسيطرة قطاع الطاقة على الاقتصاد الروسي وخضوع القطاعات الرئيسية فيه للاحتكارات، وغياب برامج حوافز مالية للتصدير- عدا السلاح- وتوجيه الاستثمارات إلى إفريقيا، علماً بأن استثمارات القوى الكبرى في القارة، خاصة الصين والهند ودول الاتحاد الأوروبي، تتجاوز كثيراً استثمارات روسيا الحالية والمنتظرة. ومما يزيد من صعوبة مهمة روسيا في إفريقيا، خاصة بالنسبة للتعاون الاقتصادي والتجاري، أن أغلب الشراكات مع القارة تحكمها أطر مؤسسية، بعضها يرجع إلى أكثر من عقدين أو ثلاثة.

سفير أربعة عهود فى مصر لدى السلطان التركى

حين عدت وزوجتى ورفيقة مسيرتى ثريا الخضراوى إلى أنقرة، فى الأسبوع الأخير من نوفمبر 2013، لجمع حاجياتنا وشحنها للقاهرة كانت تنتابنا مشاعر متصارعة ومتناقضة. فلأول مرة طوال فترة عملى الدبلوماسى التى زادت عن ثلاثة عقود أغادر دولة الاعتماد التى أخدم فيها قبل نهاية مدتى بسبب أزمة حادة فى العلاقات مع بلادى ولأول مرة يكون أمامنا فقط أربعة أيام لشحن أمتعتنا ولإنهاء متعلقات فترة عمل امتدت لأكثر من ثلاث سنوات. واخترنا الاكتفاء بقبول ثلاث حفلات توديع فى الليالى الثلاث التى كانت باقية لنا فى أنقرة قبل مغادرتها صباح اليوم الرابع.

سفير عبد الرحمن صلاح

Abderahman_salah@yahoo.com

وكان الاحتفال الأول لتوديعنا من السفراء العرب والمسلمين فى دار سكن وضيافة سفير فلسطين نبيل معلوف والسيدة حرمه وهما من أنشط وأكرم وأذكى الدبلوماسيين العرب الذين التقينا بهم فى عملنا الدبلوماسى. وطبعاً تحول الحفل الذى كان مقصوراً على السفراء العرب والمسلمين وزوجاتهم إلى فرصة سانحة لى لعرض كافة المحاولات التى قمت بها للحفاظ على حد أدنى من العلاقات بين البلدين وشرحت أن معظم كبار المسئولين الأتراك الذين التقيت بهم بمن فيهم الرئيس عبدالله جول ووزير الخارجية أحمد داود أوغلو كانوا يشاركوننى هذه الرغبة ولكن أحداً منهم لم يجرؤ أو ينجح فى تغيير رأى أردوغان أو حتى إقناعه بالصمت الإعلامى الذى اقترحته والامتناع عن التحريض ضد القيادة الجديدة فى مصر والكف عن استضافة الهاربين من قيادات الإخوان ووقف دعم محاولاتهم من أجل شن حملة دولية ضد مصر.

ولما ذكر لى سفراء قطر وليبيا والسودان إن داود أوغلو ذكر لهم ما يناقض روايتى وادعى لهم أنه مازال يقوم بمحاولات للوصول لحل سياسى فى مصر التى قررت تخفيض العلاقات وطرد السفير التركى هناك، وادعى لهم أنه أبلغنى بجهوده فى منتصف يوليو حين التقى بى فى مطار أنقرة قبل سفرى للقاهرة. فما كان منى إلا أن اتصلت بزميلى فى السفارة محمد عاطف وطلبت منه أن يرسل لى فوراً إلكترونياً صورة لمحضر اجتماعى ذلك مع داود أوغلو، وخلافاً للعرف الدبلوماسى قمت بإطلاعهم على أهم ما دار بينى وبين وزير الخارجية التركى، واليوم أنشر هنا موجزاً لأهم ما دار خلال مقابلتى مع أحمد داود أوغلو وزير الخارجية التركى فى مطار أنقرة فى 19 يوليو 2013 لاعتقادى بأهمية تسجيل وقائع ذلك الاجتماع المهم للتاريخ ولمطالعة الأجيال الأصغر من الدبلوماسيين والباحثين.

1.بادر الوزير التركى بتوضيح أن كافة البيانات الصادرة من قبل الجانب التركى تعليقاً على تطورات الأوضاع فى مصر بعد 30 يونيو تأتى لتأييد إرادة الشعب المصرى واحترامها، مؤكداً على أن تركيا تعنى فى مواقفها بالشعب المصرى بأكمله، وأن موقفها لا يعتمد على تأييد أى طرف سياسى بما فى ذلك الإخوان المسلمين أو السلفيين أو حركة تمرد.

2.أضاف الوزير التركى أن هناك ثلاثة أسباب لعدم ترحيب تركيا بالتدخل العسكرى فى السياسة فى مصر هى:

•إيمان تركيا بأن مصر كدولة كبيرة مهمة فلابد أن يكون أى قرار يتخذ فيها للشعب المصرى كله وليس لمؤسسة واحدة.

•تركيا لديها تجارب مماثلة فى تاريخها أدت لنتائج أليمة، مشيراً إلى ما تعرض له شخصياً وكل من رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء من آثار سلبية نتيجة الانقلابات العسكرية فى تركيا. مع الإشارة إلى أن أى سياسى تركى لا يمكنه الترحيب بالانقلابات العسكرية، وأن هذا موقف مبدئى كان سيتم اتخاذه من قبل تركيا حتى فى حالة ما إذا كان د. البرادعى (المدنى العلماني) هو من فى الحكم وليس د. مرسى.

•مصر تعد بمثابة العمود الفقرى فى المنطقة، وهناك تخوف من أن يؤدى ما حدث فيها إلى تأثير دومينو سلبى فى باقى دول المنطقة حيث إنه إذا ما تم الترحيب بهذا التدخل العسكرى فى مصر فإن المؤسسات العسكرية فى المنطقة ستمنح لنفسها نفس الحق.

3.وأشار الوزير أن هناك مسئولية كبيرة ملقاة على عاتقى وعاتق نظيرى السفير التركى فى القاهرة، للحفاظ على العلاقات القوية بين البلدين خلال تلك المرحلة الحرجة المقبلة.

4.قمت من جانبى بتوضيح أننى فى إطار ما ذكره الوزير التركى بشأن مسئوليتى عن الحفاظ على العلاقات، وكما فعلت عام 2011، من واقع حرصى على العلاقات المصرية التركية، فإننى أرغب فى توضيح بعض الحقائق والملاحظات التى من شأنها التأثير سلبياً على تلك العلاقات على المدى الطويل.

5.أشرت إلى أن الأغلبية من الشعب المصرى خرجت فى مظاهرات بدءاً من يوم 28 يونيو 2013 تفوق مظاهرات ثورة 25 يناير 2011، للمطالبة بالتغيير فى ضوء الأداء السيئ لإدارة الرئيس

إردوغان مع فتح الله جولن خلال تحالفهما السياسى وقبل إتجاه جولن لانتقاد العديد من سياسات أردوغان منذ عام 2010 وخاصة انفراده بالقرار واللجوء لتحركات لمعاداة الغرب واسرائيل كوسيلة لزيادة شعبيته، وتصاعد الخلاف بين الحليفين السابقين إلى حد إتهام أردوغان لجولن وأنصاره بتدبير محاولة إنقلاب عام 2016 الفاشلة فى تركيا ضده وطالب الولايات المتحدة التى تأوى جولن لعقدين من الزمان بتسليمه لتركيا.

صورة لإردوغان فى يناير 2015 وسط حرسه الجمهورى الذي ألبسه زى الجنود العثمانيين من كل ولايات الإمبراطورية العثمانية، وقد أحجم عن تكرار ذلك المشهد بعد أن لقى سخرية واسعة من داخل وخارج تركيا.

مرسى والذى حاول عدد من المسئولين الأتراك ومن بينهم وزير الخارجية داود أوغلو نفسه توجيه النصح لها فى هذا الشأن، فضلاً عن الاستحواذ السياسى الذى مارسه فصيل واحد خلال العام الماضى. وأن الجيش المصرى كما فعل فى 2011 وبعد التأكد من مساندة أغلبية الشعب المصرى لتلك المطالب وتصاعد احتمالات وقوع مصادمات دموية ما بين المتظاهرين ومؤيدى مرسى، قرر التدخل والانحياز لمطالب الشعب المصرى.

6.وأضفت أن الرأى العام المصرى ينظر بمرارة للموقف التركى من تلك التطورات خاصة فى ضوء التصريحات شديدة السلبية التى صدرت عن مسئولين أتراك اعتماداً على معلومات مغلوطة وغير مدققة، ويعقد المقارنات ما بين موقف تركيا من ثورة 2011، وموقفها مما يعتبره أغلبية الشعب المصرى ثورة أخرى فى 2013 لا تختلف عن 2011 سوى أنها ضد الإخوان المسلمين هذه المرة، وأن نتيجة تلك المقارنة هى ترسخ الاعتقاد لدى الشعب المصرى بأن تركيا فى الواقع تنحاز إلى جماعة الإخوان المسلمين ضد غالبية الشعب المصرى بما يؤثر بشكل سلبى للغاية على صورة تركيا فى مصر، ويمثل خطراً حقيقياً على مستقبل العلاقات المصرية التركية بل وقد يمتد إلى صورة تركيا فى الكثير من الدول العربية.

7.علق الوزير التركى بأنه من الصعب قياس الأغلبية والأقلية اعتماداً على تقدير الأعداد فى المظاهرات، وأنه حتى فى حالة إقرار أن الملايين من الشعب المصرى نزلت فى مظاهرات ضد الرئيس مرسى، فإن هناك ملايين مماثلة وقد تكون أكبر تتواجد فى الشوارع المصرية الآن احتجاجاً على هذا التدخل العسكرى.

8.وأضاف الوزير أنه لم يصدر أى تصريح من أى من المسئولين الأتراك فيه إساءة أو محاولة للتدخل فى الشأن المصرى، وأوضح أنه يحرص خلال مقابلته معى على عدم استخدام وصف «الانقلاب العسكري» تقديراً لى، لكن ما صدر من تصريحات رسمية تركية كانت فى إطار توضيح الموقف التركى، كما أن هناك تصريحات من دول أخرى ساندت فيها هذا التدخل العسكرى فى مصر، ولم تعتبرها الإدارة المصرية تدخلاً فى الشئون الداخلية، مشيراً إلى أن تلك الدول لم تقدم مساعدات لمصر خلال حكم مرسى فيما تسارع الآن بتقديم مساعدات لمصر.

9.أوضحت من جانبى أن أى تقييم موضوعى ومبنى على الحقائق على الأرض يشير بوضوح إلى أن أغلبية الشعب خرجت للاحتجاج على سياسات مرسى، خاصة فى ضوء عناده فيما يتعلق بالوصول إلى تفاهمات سياسية سواء من خلال تنظيم استفتاء على بقائه فى الحكم أو إعلان الانتخابات المبكرة، وأننى أعلم أن الوزير التركى شخصياً طرح مبادرة للأخذ بحل الاستفتاء على بقاء مرسى وهو ما قوبل بالرفض من قبل جماعة الإخوان المسلمين ومن مرسى نفسه.

10.وأضفت أنه فيما يتعلق بالدول الأخرى فلم تصدر تصريحات لتأييد ما حدث فى مصر، بل كانت فى إطار احترام قرار الشعب المصرى وهو الطرف الوحيد الذى لديه الحق فى إقرار الوسيلة التى يتم التعامل بها فيما يتعلق بالعملية السياسية فى مصر. وأضفت أن أخطر مشكلة يمثلها الموقف التركى هو أنه يساعد على زيادة الاستقطاب فى المنطقة حيث تعتبر العديد من الدول العربية أن الموقف التركى يأتى فى إطار مساندة فصيل سياسى بعينه وهو ما سيدفعها لاتخاذ موقف مضاد. وأوضحت أنه فيما يتعلق بالدول الخليجية واتهامها بأنها لم تقدم مساعدات لمصر خلال حكم مرسى والتى أشار إليها الوزير التركى كما تمت الإشارة إليها أيضاً فى تصريحات لعدة مسئولين أتراك منهم رئيس الوزراء أردوغان، فإن بعض تلك الدول قامت بتقديم مساعدات مالية مهمة لمصر فى أعقاب ثورة 25 يناير.

11.وأشرت أنه فى ضوء استمرار الموقف التركى، فإن الإدارة المصرية تواجه ضغوطاً شعبية وإعلامية متزايدة لاتخاذ موقف فى هذا الشأن، بل إن بعض تجمعات رجال الأعمال بدأت

سفير أربعة عهود فى مصر لدى السلطان التركى

فى المطالبة بمقاطعة البضائع التركية وتجميد العمل بالاتفاقيات التجارية بين البلدين. وإننى فى هـذا الصدد أقترح مبادرة شخصية من جانبى لتهدئة الأوضاع وحصر الأضرار التى قد تصيب العلاقات أن يتم اللجوء لفترة صمت من قبل المسئولين الأتراك عن التعليق على التطورات فى مصر بما يكفل إتاحة الفرصة لحدوث تطورات إيجابية فى مصر وأن تقوم تركيا بتقييمها والتعليق عليها بإيجابية، وأعدت التأكيد على أهمية الحفاظ على صورة تركيا لدى الرأى العام المصرى.

12.عقّب الوزير أنه من الصعب أن يتم الالتزام بالصمت فى ضوء استمرار حبس د. محمد مرسى الذى يعد أول رئيس مدنى منتخب فى مصر، بل وحتى عدم الإفصاح عن مكان احتجازه، وكذلك استمرار حبس قيادات جماعة الإخوان المسلمين وحزب الحرية والعدالة، حيث إن ذلك يشير إلى أن هناك اتجاهاً لإقصاء هذا الفصيل من العملية السياسية فى مصر بما يخالف مبادئ الديمقراطية وحقوق الإنسان.

13.أوضحت من جانبى أن تركيا طالما ما عارضت تعليق الدول الأخرى حول أوضاعها الداخلية خاصة فيما يتعلق بحقوق الإنسان، أو حبس الصحفيين أو التعامل مع المظاهرات، ومن ثم فإن إصرار تركيا على التعليق على الشئون الداخلية المصرية يعد أمراً مستغرباً، إلا أنه فى ضوء العلاقات الوثيقة ما بين البلدين فإننى أؤكد أنه لا توجد نية لإقصاء أى طرف من العملية السياسية، أو اتخاذ إجراءات استثنائية تجاه أى شخص أو طرف، مشيراً إلى أن السلطات المصرية كانت قد أعلنت أن تحديد إقامة د.مرسى يأتى فى إطار الإجراءات القانونية والقضائية المتخذة ضده من السلطة القضائية، مع التأكيد على حسن معاملته والحفاظ على سلامته الشخصية وأنه سوف تتم محاكمته أمام القضاء المصرى.

غلاف مجلة التايم بعنوان «أردوغان والإضطرابات التركية: سلطان أم ديمقراطي» وتظهر صورته بزى السلطان العثمانى ممسكا بقناع واق ضد الغاز الذى كان يستخدمه ضد مظاهرات مواطنيه للإعتراض على إنفراده بالسلطة واساءة استخدامه للأغلبية البرلمانية التى تؤيده.

14.وأضفت أن مبادرتى الشخصية ترتكز على إتاحة الفرصة والاقتصار على تبادل الاتصال والرسائل من خلال القنوات الدبلوماسية للمساعدة فى الحفاظ على العلاقات وعدم التورط فى تصريحات من الصعب معالجة آثارها، كتلك الخاصة بادعاء رفض رئيس الوزراء التركى لطلب من د. محمد البرادعى نائب رئيس الجمهورية الاتصال به، وأوضحت أننى أعلم أن مبادرة تحقيق الاتصال جاءت من قبل السفير التركى فى القاهرة وأن د. البرادعى أبدى عدم ممانعته فى إتمام الاتصال، مشيراً إلى أنه بغض النظر عن صحة ما صرح به رئيس الوزراء التركى فإن تناول هذا الموضوع بالشكل الذى تم به علانية وإهانة مسئول مصرى كبير، سوف يُلحق ضرراً كبيراً على العلاقات فى المستقبل.

15.شدد الوزير على حرص تركيا على العلاقات مع مصر، وأن الموقف التركى لم يتم اتخاذه تحيزاً لأحد الأطراف السياسية بل فى إطار ما سبق أن ذكره، وأن تركيا تأمل فى سرعة إجراء انتخابات ديمقراطية فى مصر بمشاركة كافة الأطراف، بما سيتيح مزيداً من توثيق العلاقات ما بين الدولتين.

16.فى أعقاب انتهاء المقابلة والتى عُقدت فى مطار أنقرة قبيل توجه وزير الخارجية التركى لإسطنبول واستمرت لأكثر من ساعة، انتحى داود أوغلو بى جانباً حيث أوضح أنه سيكون من الصعب إقناع رئيس الوزراء التركى بالتوقف عن التعليق علناً على الأوضاع فى مصر، فى ظل استمرار احتجاز د. محمد مرسى وعدم الإعلان عن مكانه، خاصة للعلاقة الوثيقة التى تجمع بينهما، مضيفاً أنه يسعى للتخفيف من حدة تصريحات رئيس الوزراء حتى أنه قام بشطب عدة فقرات من كلمته أمام حفل الإفطار السنوى الذى نظمه حزب العدالة والتنمية للسفراء أمس الخميس، إلا أنه بالرغم من ذلك قام أردوغان بإعادة إضافتها.

17.أشرت من جانبى أن وضع شرط الإفراج عن د. محمد مرسى لتهدئة نبرة الخطاب التركى، يعد أمراً غير مقبول بل وبمثابة انغماس تركى فى الشأن السياسى المصرى، موضحاً أننى قررت الاعتذار عن حضور إفطار الحزب أمس تجنباً لقيام رئيس الوزراء بتضمين كلمته لما يمكن اعتباره تدخلاً فى الشأن المصرى أو إساءة للإدارة المصرية الحالية مما كان سيدفعنى لمغادرة حفل الإفطار اعتراضاً على ذلك وهو ما كان سيمثل تصعيداً أرغب كما ترغب الإدارة المصرية فى تجنبه، وقد أكد وزير الخارجية التركى أن هذا القرار بعدم المشاركة كان حكيماً ويعد تلافياً بالتأكيد للتصعيد.

18.وأوضح وزير الخارجية أنه لم يقصد وضع شرط لتهدئة الخطاب التركى، بل رغب فقط فى توضيح المصاعب التى يواجهها فى التعامل مع هذا الشأن، مشيراً إلى أن اتخاذ قرار بالإفراج عن مرسى وقيادات جماعة الإخوان المسلمين يمكن أن يمثل فرصة لوساطة تركية فى الأزمة السياسية فى مصر. وفيما يتعلق بموضوع الاتصال ما بين نائب رئيس الجمهورية المصرى، ورئيس الوزراء التركى، أشار وزير الخارجية التركى إلى ترجيحه بأن العرض على أردوغان قد تم بشكل خاطئ فهم منه أنها مبادرة من البرادعى، وهو ما عقبت عليه بأنه فى كافة الأحوال فإن تصريحات

أردوغان العلنية فى هذا الشأن لا تمثل الأسلوب الأمثل أو الحريص للحفاظ على العلاقات المصرية التركية.

19.أوضحت من جانبى أننى على يقين من أن كافة الأطراف المصرية لا ترغب فى أية وساطة خارجية بعد أن أصر الإخوان على رفض أى حلول وسط، موضحاً أن مبادرتى بانتهاج فترة صمت لضمان عدم تأثر العلاقات الثنائية، خاصة فى ضوء أن المحاولات التركية لدى الدول الأوروبية بل ولدى الأمم المتحدة ومجلس الأمن للتصعيد ضد مصر، قد بلغت القاهرة بكافة تفاصيلها، إلا أنه على الرغم من ذلك فقد انتهجت الإدارة المصرية منهج عدم التصعيد حفاظاً على العلاقات. وأضفت أنه فى حالة استمرار الخطاب التركى المتشدد وما سيصاحبه من ضغوط شعبية على الإدارة المصرية فقد تجد نفسها مضطرة لاتخاذ موقف ضد تركيا.

20.أعاد الوزير التركى التأكيد على حرص بلاده على العلاقات ما بين البلدين، بل واستمرار كافة أشكال التعاون بما فى ذلك حزمة المساعدات المالية التى قدمتها تركيا لمصر، بما فى ذلك الخط الائتمانى بقيمة مليار دولار، والتعاون فى مجال التصنيع العسكرى المشترك، ومختلف أوجه التعاون الأخرى.

وعودة للعشاء العربى والإسلامى لتوديعنا فى أنقرة، فقد أكدت للسفراء العرب أن مصر صبرت لمدة حوالى خمسة شهور على تجاوزات وسباب أردوغان ضد قياداتها الجديدة ودعمه لمحاولات استصدار إدانة دولية من مجلس الأمن لمصر وفرض عقوبات عليها ومطالبته للدول الأوروبية أن تفعل نفس الشيء وإيوائه لقيادات من الإخوان المسلمين متهمين بالقتل فى مصر بل ونقل بياناتهم وأحاديثهم عبر وسائل الإعلام التركية الناطقة بالعربية سواء وكالة الأناضول للأنباء أو تليفزيون TRT باللغة العربية والذى بدأ مسئولوه فى مساعدة الإخوان لإنشاء محطات تليفزيونية موجهة لمصر فى إسطنبول. وكان السفراء العرب يكتبون بدقة كل ما أقول لأنه يكشف لهم حقائق مخالفة تماماً لما ظل المسئولون الأتراك يرددونه لهم طوال الشهور الخمسة الماضية منذ 30 يونيو وحتى مساء ذلك اليوم يوم 25 نوفمبر 2013.

وكان عشاء التوديع الثانى باستضافة عميد السلك الدبلوماسى فى أنقرة والذى كان وقتها هو أيضاً سفير الكويت وأحد أعز الأصدقاء هو والسيدة حرمه. وقد طلبت منه – رداً على استفساره – أن يدعو فقط سفراء الدول الأعضاء فى مجلس الأمن وعميد السفراء الأفارقة والاتحاد الأوروبى وكل كبار المسئولين الأتراك فى وزارات الخارجية والتجارة الخارجية والدفاع والذين كنت أعرف سلفاً أن تعليمات مكتب رئيس الوزراء قد صدرت لهم بعدم حضور أى حفل لتوديعى.

وتلقيت قبل العشاء مكالمتين تليفونيتين من السفير الأمريكى فرانك ريتشاردونى وزوجته د.مارى اللذين طلبا الحضور لتوديعنا فى منزلنا فى اليوم التالى للعشاء لانشغالهما بارتباط سابق سوف يحول دون حضورهما التوديع. وقد حضرا فعلاً بصحبة ابنتهما التى تعيش فى كاليفورنيا وصديقها وجلسنا جلسة عائلية تذكرنا فيها جلساتنا المشتركة فى منزلنا (دار سكن السفير المصري) فى أنقرة ومنزل السفير الأمريكى المجاور لنا ولقاءاتنا المتعددة. فقد كان فرانك وزوجته من أقرب أصدقائنا وسبق لهما العمل فى مصر ويحبانها ويعشقان ثقافتها ولعل ذلك كان السبب وراء اختيار فرانك فيما بعد لكى يصبح رئيس الجامعة الأمريكية فى القاهرة. ولم يخرج حديثنا فى تلك الليلة عن حديث الأصدقاء دون التطرق للسياسة ولكن فرانك همس لى قبل توديعنا مؤكداً إننى قد بذلت جهدى للحفاظ على تلك العلاقة ولكننى كنت أصطدم بجدار تركى صلب من التصميم على نصرة الإسلام السياسى وأنه يرجو أن تنتهى فترة عمله كسفير الولايات المتحدة فى أنقرة قبل أن يصطدم هو الآخر بنفس الجدار الذى أصبح معظم السفراء الغربيين يواجهونه ولا يعرفون ماذا يفعلون إزاءه. وأعتقد أنه كان يشير إلى اتجاه أردوغان للانفراد بالسلطة وعدم قبوله لأى رأى آخر وخاصة فى مجال السياسة الخارجية.

وكانت المكالمة الثانية من الصديق العزيز أرشد هورموزلو مستشار رئيس الجمهورية الذى اعتذر أيضاً عن حضور عشاء التوديع وطلب أيضاً أن يأتى وزوجته العزيزة السيدة صفا بعد مغادرة السفير الأمريكى للقائى وزوجتى، ولما أعفيته من الحرج بأننى أعرف تعليمات رئاسة الوزارة ولا أريد أن تتسبب زيارته لنا فى أية مشاكل له، فوجئت به يجيبنى على التليفون بصوت عال كما لو أنه يرغب فى أن يسمع المتنصتون أنه استشار الرئيس عبدالله جول الذى طلب منه أن يأتى لزيارتى وأن ينقل لى رسالة منه هو شخصياً ومن زوجته بأنهما سوف يعتبراننى وزوجتى دائماً من أصدقائهما المرحب بهما فى تركيا، وأننى كنت من أفضل السفراء الذين التقى بهم سواء كرئيس لتركيا أو كوزير خارجيتها وأنه يرجونى أن أنقل للمسئولين فى مصر أن الرئيس التركى سوف يستمر فى العمل لإصلاح العلاقات بين البلدين لأنه يعتقد أنها علاقات تاريخية وإستراتيجية وأن الصدع الحالى فيها هو أمر طارئ ومؤقت.

وحين حضر الصديق الوفى أرشد هورموزلو وزوجته لمنزلنا كان اللقاء مؤثراً للغاية وبكت السيدة حرمه فأخذنى الرجل من ذراعى وخرج بى إلى شرفة الحديقة مشيراً إلى الثريا التى تضئ الصالون (فى إشارة لأجهزة التنصت) وهمس لى أنه يرجو أن أنقل للقاهرة كل كلمة فى رسالة الرئيس جول التى نقلها لى على التليفون لأنه تعرض لمحاولات للضغط عليه لمنع هورموزلو من الحضور لمنزلى ولكن جول أصر على رأيه. فأكدت له إن الرسالة قد تم إرسالها بالفعل منذ ساعتين للقاهرة وأننى كنت دائماً أنقل رسائل الرئيس جول للسلطات فى مصر فى محاولة لموازنة أثر الرسائل الإعلامية السلبية وأحيانا البذيئة التى تصدر من أردوغان عن مصر وقياداتها.

وحكيت لهورموزلو كيف رفض الإخوان المسلمون كافة محاولات الوصول لحل وسط سياسى وأصروا على العودة للحكم وبالتالى تسببوا

سفير أربعة عهود فى مصر لدى السلطان التركى

مع أعضاء السفارة المصرية فى أنقرة بعد انتهاء احتفالنا بالعيد الوطنى المصرى يوليو 2012

فى إجهاض كل محاولات الوساطة الأوروبية والعربية والتركية بما فى ذلك محاولات ومبادرات جول التى نقلتها بنفسى للسلطات المصرية وظلت موضع دراسة حتى أغلق الإخوان الباب أمام أية مبادرة اعتقاداً منهم أنهم كانوا فى موضع قوة وأن تركيا وغيرها من حلفائهم يمكنها تأليب المجتمع الدولى للضغط على مصر لإعادتهم للحكم، ولعلهم لم يستوعبوا درس يناير 2011 من أن القوى الدولية سوف تعترف وتتعامل مع القيادة المصرية التى تستتب لها الأوضاع فى مصر ويؤيدها الشعب المصرى. وأكد لى هورموزلو إن هذا اللقاء لن يكون الأخير. وقد ظللنا نتبادل المكالمات والرسائل الإلكترونية فى المناسبات بالإضافة إلى المقالات والأحاديث التى يكتبها كل منا فى وسائل الإعلام دون أن يتطرق الحديث لما يمكن أن يضر بهذا الأخ الكريم الذى ولاشك تخضع كل كلماته لرقابة صارمة وشديدة البأس.

كما تلقيت مكالمات عديدة ورسائل إلكترونية من العديد من الأصدقاء الأتراك من رجال الإعلام والأعمال ومراكز البحوث والجامعات والذين مازلت على اتصال مع العديد منهم حتى الآن وألتقى بالعديد منهم فى القاهرة وعواصم أخرى ومنهم كل الدبلوماسيين الأتراك الذين عرفتهم وخاصة السفير حسين عونى بوتصالى وزوجته أنجى اللذين مازالا على اتصال مستمر بنا والسفير أحمد بيجالى الذى كان يعمل مستشاراً دبلوماسياً لأردوغان وزوجته جولنور اللذان فوجئنا بأنهما سبقانا للانتقال للعمل فى براج وسعدنا بزمالتهما وصداقتهما وأصرا على إقامة حفل لتوديعنا عندما غادرنا براج ولكنهما ادّعيا أن الحفل مقام أيضاً لتوديع سفيرين آخرين حتى لا يضر ذلك بهما إذا ما بلغ ذلك أنقرة.

وكان الحفل الثالث والأخير لتوديعنا عاطفياً للغاية فقد استضافه زملاؤنا فى السفارة ورغم أن العديد منهم لم يعمل معى سوى لمدة شهور قليلة إلا أن طاقم سفارة أنقرة طوال فترة عملى هناك كان أكثر من مثالى. وقد تناوب على السفارة نائبان للسفير هما السفيران الآن أمل سلامة وحسين السحرتى، وثلاثة مستشارين هم جورج عازر ونادر سعد الذى تولى الشئون الداخلية التركية وكان صديق صغار السياسيين والسياسيات الأتراك، وإيهاب سليمان الذى كان يتولى تغطية قضايا الشرق الأوسط وخاض معى مغامرات مرمرة الزرقاء والمساعدات لغزة كما كان يتولى الأعمال القنصلية بإخلاص وتفان نادرين فى أداء واجبنا القنصلى لتقديم الخدمة العامة للمواطنين المصريين، وسكرتير أول محمد موسى الذى حل محل إيهاب فى تغطية قضايا الشرق الأوسط واستفدت جداً من اتساع نشاط اتصالاته مع الدبلوماسيين الغربيين ولغته الإنجليزية الممتازة لصياغة خطبى وبياناتى ومقالاتى قبل ترجمتها للتركية.

وكنت سعيد الحظ بمجموعة ممتازة من رؤساء المكاتب الفنية فقد تناوب على مكتب الدفاع عميدان وهما لواءان الآن طارق سعودى وأيمن الجنيدى الذى كان مثالاً للالتزام والكفاءة والإخلاص ودماثة الخلق وكذلك كان نائبه العميد صالح الحديدى، وفى المكتب التجارى كل من الوزير المفوض التجارى منجى والوزير المفوض مصطفى مكاوى وكان كلاهما نعم العون لى من خلال تواجدهما فى إسطنبول لتغطية العلاقات التجارية والاقتصادية خاصة وأن مقار معظم الشركات التركية والعالمية كان هناك. وكان معى صديق عمرى حسام الدين لبيب عبد الفتاح الذى رشحته بنفسى مستشاراً إعلامياً دون محاباة أو محسوبية لأنه بالفعل من أفضل من اختارتهم الهيئة العامة للاستعلامات للعمل كمستشارين إعلاميين وكنت أعتمد عليه فيما يتجاوز نطاق عمله، فمثلاً كلفته بمرافقة وفود السياسيين الإسلاميين المصريين الذين توافدوا على زيارة تركيا لأن زميلى الشاب الذى كان يختص بذلك كانت له مواقف سياسية حادة فى رفض توجهاتهم. وكذلك كان على رأس مكتب الاتصالات بين الأجهزة الأمنية المستشار محمود الشريف الذى كان مثالاً للنشاط والالتزام والكرم. والحمد لله مازالت تربطنى بهم جميعاً وبزوجاتهم

*عمل السفير عبد الرحمن صلاح كآخر سفير لمصر لدى تركيا (2010-2013) قبل أن يتم تخفيض مستوى العلاقات الدبوماسية بين مصر وتركيا إلى مستوى القائم بالأعمال. وقبل تقاعده من العمل الدبلوماسى كان مساعدا لوزير الخارجية للشئون العربية والشرق الأوسط وسفيرا لدى التشيك وقنصلا عاما فى سان فرانسيسكو ومثل مصرأيضا فى السفارة فى واشنطن والوفد المصرى الدائم لدى الأمم المتحدة فى نيويورك. وتعبر هذه المقالة عن آرائه الشخصية ولاتعكس المواقف المصرية الرسمية، وتحتوى على بعض ما يتضمنه كتاب صدر فى يناير 2019 من دار نهضة مصر عن تجربته كسفير فى تركيا.

وزوجتى أطيب الصلات وأحياناً يتجمع بعضنا فى القاهرة لتذكر أيام السفارة فى أنقرة الجميلة.

وكان الزميل الملحق الإدارى هشام دهشان نعم العون لى فى ضبط حسابات السفارة وأرشيفها وكم سهر معى ليال طوال لكتابة التقارير العاجلة التى كنا نوافى بها القاهرة أحياناً بعد منتصف الليل. وكما سبق أن ذكرت كانت السفيرة وفاء الحديدى وقبلها السفيرة إيمان مصطفى عبده فى إسطنبول يحملان، بالإضافة لمسئوليات العمل القنصلى الكبيرة والمهمة، عبئاً ثقيلاً فى استقبال الوفود المصرية التى كانت لابد وأن تتوقف فى إسطنبول حتى لو لم تكن محادثاتها الرسمية تتم هناك بسبب عدم وجود خط طيران مباشر بين القاهرة وأنقرة.

وفى مقدمة طاقم العاملين المحليين الأتراك فى السفارة كانت سكرتيرتى تونا هورموزلو التركية المتزوجة من مصرى وتجيد العربية باللهجة المصرية لأنها نشأت فى جدة بالسعودية ودرست اللغة العربية حتى نالت فيها درجة الدكتوراه، وكنت أعتمد عليها اعتماداً كبيراً أنا وزوجتى بسبب عائق عدم درايتنا باللغة التركية التى لا يتحدث بسواها معظم الأتراك وبسبب ثقتنا فى إخلاصها وحبها لمصر والصداقة الشخصية والمحبة التى نشأت بيننا. ولم تكف تونا عن البكاء حتى غادرنا أنقرة وكانت فى وداعنا مع السفير السحرتى حتى باب الطائرة.

وطبعاً كنت أعتمد على تونا فى الترجمة لى خلال مقابلاتى مع كبار المسئولين الأتراك الذين كانوا يندهشون من طلاقة حديثها باللغة العربية وثقافتها التركية الرفيعة ووصل الأمر بنائب رئيس الوزراء أن عرض عليها باللغة التركية فى وجودى وخلال أول مقابلة لى معه أن يعطيها ضعف ما تحصل عليه فى السفارة من مرتب إذا ما قبلت العمل مترجمة بمكتبه فاعتذرت بلباقة وتعللت بأننى كنت سفيراً جديداً لا يمكننى الاستغناء عن خدماتها، والحقيقة إننى وزوجتى كنا أحياناً كثيرة نتصل بها بعد أوقات العمل لتساعدنا بالترجمة على التليفون ونحن نشترى أغراضنا الشخصية من المراكز التجارية أو ونحن مسافرون فى المطارات التى كنا لانجد فيها من يتحدث الإنجليزية إلا بصعوبة بالغة.

ومن الأخطاء الشائعة فى الثقافة الشعبية المصرية تصور أن الشعب التركى يجيد الحديث باللغة العربية الفصحى لأنهم مسلمون وهناك نكتة شائعة عن صعيدى مصرى (ربما مثلى من أسيوط) وصل مطار إسطنبول وركب أوتوبيس للنقل العام وسأل السائق بلغة عربية تعمد أن تكون فصيحة لكى يفهمها التركى المسلم «هل يمكن أن تدلنى يا أخى العزيز على الأوتوبيس الذى يوصلنى لميدان تقسيم» فأجابه التركى بخشوع شديد «صدق الله العظيم».

ولا شك أن هناك عدداً متزايداً من الأتراك يدرسون اللغة العربية منذ تولى حزب العدالة والتنمية الحكم بل ومنذ أن انفتح الرئيس التركى تورجوت أوزال فى الثمانينيات على العالم العربى وخاصة فى الخليج وليبيا لتشجيع زيادة الصادرات والعمالة التركية لتلك الأسواق. وكان أحد المشروعات التى بدأتها فى أنقرة ولم تكتمل هو تنظيم السفارة المصرية بالاستعانة بالمدرسين المصريين المقيمين فى أنقرة دروساً خاصة لتدريس اللغة العربية لكبار المسئولين الأتراك الذين رحبوا كلهم بالفكرة التى أجهضها رحيلى المبكر عن أنقرة.

ولا بد أن أذكر هنا الدور المتميز الذى قام به أستاذ للغة التركية اسمه سليمان سيزر الذى رشحه لى السفير التركى فى القاهرة بوتصالى ليعطينى دروساً خصوصية فى اللغة التركية فى مكتبى فى وزارة الخارجية مطلع عام 2010 قبل سفرى لاستلام عملى كسفير فى أنقرة. واكتشفت أن سليمان هو أيضاً خبير فى الثقافة والفنون والتاريخ المصرى ومترجم متمكن بين اللغتين العربية والتركية، فأوصيت عند وصولى أنقرة ومقابلتى لرئيس هيئة يونس إمره للثقافة التى تتبعها المراكز الثقافية التركية فى أنحاء العالم أن يتم تعيين سليمان سيزر مديراً للمركز الثقافى التركى فى القاهرة. وظل سليمان حافظاً لى جميلى ذلك ومحافظاً على حبه وترويجه للثقافة المصرية فى تركيا والتركية فى مصر، فاستجاب لطلبى بترجمة العديد من الأفلام المصرية بترجمة مطبوعة بالتركية Subtitles مما أتاح عرضها فى تركيا.

وحظى أسبوع الفيلم المصرى فى مهرجان إسطنبول للكتاب بإقبال كبير لدرجة احتجنا أن نعرض الفيلم الواحد أكثر من مرة فى اليوم الواحد وسعدت أن الجمهور التركى يتجاوب مع أفلام كوميدية تعتمد على الحوار وليس فقط المواقف الضاحكة مثل معالى الوزير والكيت كات، كما وجدت الجمهور التركى المثقف متابعاً للكتاب المصريين الذين أتى عدد منهم لحضور الافتتاح مع الوزير المتنور المثقف عماد الدين أبوغازى نظراً لأن مصر كانت هى ضيف شرف المعرض لهذا العام. كما ساعد سليمان سيزر من خلال المكتب الثقافى التركى فى إعطاء عدد كبير من الطلاب المصريين منحاً دراسية للدراسة فى تركيا وللأسف تسبب تدهور العلاقات السياسية فى إغلاق المركز. واضطر سليمان للعودة لتركيا وتلقيت منه رسالة مؤثرة جداً فى نهاية مهمته.

ويهمنى أن أشير هنا إلى أن غالبية الأتراك والمصريين لديهم توجه إيجابى نحو العلاقات الثقافية والتجارية بين البلدين ويفصلان بينها وبين العلاقات السياسية التى يتأثر بها فئة قليلة من الناشطين السياسيين على الجانبين، ولكن إصرار أردوغان على تأييد الإخوان المسلمين، فى الوقت الذى أدى فشلهم فى الحكم وإصرارهم على عدم التخلى عنه إلى كراهية الشعب المصرى لهم، قد أثر سلباً على الصورة التركية لدى المواطن المصرى العادى وأرجو أن يتغير ذلك فى المستقبل القريب. وأعتقد أنه أمر ممكن إذا ما تم الاستماع للعقلاء من داخل حزب العدالة والتنمية التركى الحاكم ومن أحزاب المعارضة التركية والذين يدركون أهمية عودة علاقات التعاون بين تركيا ومصر.

الانتخابات التونسية وتدشين مرحلة جديدة

شـــهدت تونس خلال أقل من شـــهر أى فى الفترة من 15 ســـبتمبر إلى 13 أكتوبر 2019 ثلاث انتخابات، اثنتان رئاســـية فى 15 سبتمبر و13 أكتوبر، وبرلمانية فى 6 أكتوبر.. وقد سادها جميعاً رغبة شـــديدة لدى جمهور الناخبين فى المشاركة من أجل التغيير وإطلاق مرحلة جديدة، باختيار أشـــخاص وأفكار تســـاعد على تحقيق ما عجز البرلمان والســـلطة التنفيذية بشقيها الرئاسى والحكومـــى عن إنجازه خاصة فى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياســـية والرعاية الصحية، والتخفيف من أعباء المعيشة وارتفاع معدلات البطالة.

سفير رخـا أحمد حسن

rakhahassan@yahoo.com

وظهرت فـــى الانتخابات البرلمانية والرئاسية عدة خصائص نتناولها على النحو التالى:

أولاً: الانتخابات البرلمانية

ويلاحظ الآتى:

* كثـــرة أعداد المرشـــحين الذين تجاوزوا «15» ألف مرشح لشغل 217 مقعـــداً فى البرلمان وهـــو ما أدى إلى تفتيت الأصوات من ناحية، وظهور رغبة عامة فى نجاح وجوه جديدة من بين هذا العدد الكبير من المرشحين.

* حالة من الانقسام داخل التيارات السياسية الكبيرة، والأحزاب السياسية اليســـارية وترشـــح أكثر من مرشح لنفس التيار السياسى فى نفس الدائرة دون تنســـيق بينهم، وهو ما أدى إلى إعادة توزيع جديـــد لمقاعد البرلمان، وتراجع التيار الدينى المحافظ، ســـواء حزب حركة النهضـــة، أو الأحزاب ذات الاتجاهات الأخرى، وتراجع مركز حزب نداء تونـــس الذى ينتمـــى إليه رئيس الوزراء يوســـف الشـــاهد، وكان هذا التراجع لصالح أحزاب أخرى.

* أســـفرت نتائـــج الانتخابات عن عدم حصول أى من الأحزاب على أغلبية كبيرة تمكنـــه من تشـــكيل الحكومة الجديدة بســـهولة ويجعل سياسته فى المقدمة، وخاصة حزب حركة النهضة الذى حصل على 51 مقعداً من إجمالى 217 مقعداً فى البرلمان، أى بانخفاض 17 مقعداً عن مـــا كان له فى البرلمان الســـابق، أى أن ما حصل عليه رغم أنه أعلى نســـبة بين الأحزاب المشاركة فى الانتخابات مما يجعـــل من حقه تولى تشـــكيل الحكومة ولكن بالائتلاف مع أحزاب أخـــرى لأن ما لديه فى البرلمان أقل من 25٪ ومن ثـــم يحتاج إلى 58 مقعداً أخرى حتى يصـــل إلى الأغلبية البسيطة وهى 109 مقاعد من إجمالى مقاعد البرلمان.

وقد كلف رئيس الجمهورية الجديد قيس ســـعيد، حزب النهضة بتشكيل الحكومة الجديدة وأمامه مدة شهر قابلاً للمد شهراً آخر لإنجاز المهمة، وإن أخفق فى ذلك يكلف حزب آخر بتشكيلها فى نفس المدة - أى شـــهرين - فإذا لم يستطع تجرى انتخابات جديدة.

وقد بدأ حزب النهضة حتى من قبل تكليفه رســـمياً من رئيس الجمهورية،

بإجراء اتصالات مع عدة أحزاب تقبل الدخول معه فى حكومة ائتلافية، وهى مهمة صعبة للغاية لأن كل حزب له سياسة مختلفة ومطالب فى بعض الحقائب الوزارية أو اشتراط مطالب سياسية واقتصادية واجتماعية معينة، وذلك استناداً إلى حاجة حزب النهضة إلى كل من هذه الأحزاب لاستكمال تشكيل الحكومة فى الوقت المحدد ولذا فإنه يلوح بأنه فى حال عدم تمكنه من إنجاز المهمة سوف يلجأ إلى طلب إجراء انتخابات جديدة اعتقاداً بأنه قد يحصل على مقاعد أكثر، والهدف من التلويح بذلك هو الضغط على الأحزاب لعدم المغالاة فى مطالبها.

وحصل حزب قلب تونس الذى يرأسه رجل الأعمال والإعلام والمرشح للرئاسة نبيل القروى، على 38 مقعداً، أى المرتبة الثانية بعد حزب النهضة، وقرر أن يبقى فى المعارضة وأنه لن يدخل فى ائتلاف مع النهضة، وأشار إلى أنه يحمل النهضة بعضاً مما حدث لرئيس حزب قلب تونس باتهامه بالفساد وغسيل الأموال والتحايل وهى اتهامات غير صحيحة، ولكن تم حبسه نحو 48 يوماً مما عطله عن القيام بحملته الانتخابية فى انتخابات الإعادة الرئاسية فى مواجهة قيس سعيد، كما أن حزب قلب تونس يأمل إذا أخفق حزب النهضة فى تشكيل الحكومة أن يكلف بذلك باعتباره حاصلاً على أعلى نسبة بعد النهضة. وقد يكون هذا احتمالاً بعيداً لأن حزب النهضة لن يدع فرصة تشكيل الحكومة تخرج من يده حتى وإن اضطر إلى تقديم بعض التنازلات فى نهاية المفاوضات مع الأحزاب وقبل نهاية المدة المحددة.

وحصل حزب التيار الديمقراطى على 22 مقعداً، أى المرتبة الثالثة، وحزب ائتلاف الكرامة على 21 مقعداً، أى فى المرتبة الرابعة، بينما حصلت بقية الأحزاب على مقاعد لكل منها تتراوح ما بين 17 مقعداً و4 مقاعد لأقلها، بالإضافة إلى الشخصيات المستقلة.

وقد طرح اقتراح بأن يكون رئيس الوزراء من خارج حزب النهضة، إما أن يكون أحد المرشحين لرئاسة الجمهورية، أو شخصية أخرى يتم التوافق عليها، وطرح اسم المرشح المستقل للرئاسة الصافى سعيد، ولكن حزب النهضة أعلن فى بداية اتصالاته بالأحزاب الأخرى أنه متمسك بأن يكون رئيس الحكومة الجديدة من الحزب وأن هذا من حقه باعتباره الحائز على أكبر عدد من المقاعد، ولكن بعض السياسيين يرون أن النهضة قد يتنازل عن ذلك فى مرحلة معينة إذا وجد صعوبة فى تشكيل الحكومة مقابل تنازل الأحزاب التى تأتلف معه عن بعض مطالبها أو شروطها.

ويطالب حزب التيار الشعبى بضرورة وأهمية الاهتمام بعدة قضايا من جانب الحكومة الجديدة منها الملف الأمنى ومكافحة الإرهاب، وفتح ملف الاغتيالات السياسية التى حدثت منذ ثورة الياسمين فى 2011، ووقف الإملاءات الخارجية على الحكومة، ويقصد بذلك شروط صندوق النقد الدولى.

أما حزب التيار الديمقراطى فلا يمانع فى الدخول فى ائتلاف مع حزب النهضة ولكنه يطالب بالحصول على حقيبتى وزارتى الداخلية، والعدل، شرطاً لدخوله فى هذا الائتلاف، فهل يترك حزب النهضة وزارة الداخلية؟

ومن الأحزاب التى تقبل الائتلاف مع حزب النهضة، الحزب الدستورى الحر، وحزب تحيا تونس، وحزب التيار الديمقراطى، وحزب حركة الشعب، وحزب ائتلاف الكرامة، وحزب الرحمة «إسلامى» وبعض المستقلين.

ويلاحظ أن الحكومة الجديدة ستكون قائمة على التوازنات بين الأحزاب المكونة لها وهو ما يجعلها أقل صلابة وتماسكاً من الحكومة السابقة التى كان يسيطر عليها كل من حزب حركة النهضة وحزب نداء تونس، كما ستكون أمام الحكومة الجديدة مهام صعبة فى مقدمتها التنمية والإصلاحات الاقتصادية، ومحاربة الفساد، وتحقيق العدالة الاجتماعية والقانونية. هذا إلى جانب علاقتها مع رئيس جمهورية جديد أبدى، سواء فى حملته الانتخابية أو بعد فوزه بالرئاسة، أنه سيعمل بكل حزم على تحقيق العدالة من خلال تطبيق القانون على الجميع وهو ما يشير إلى أنه سيمارس كل صلاحياته الدستورية.

ثانياً: الانتخابات الرئاسية

أدت وفاة الرئيس التونسى السبسى، إلى إجراء انتخابات رئاسية مبكرة فى 15 سبتمبر 2019. ولوحظ كثرة عدد المرشحين حيث بلغ فى البداية 24 مرشحاً ثم انسحب منهم اثنان، واستمرت المنافسة بين الباقين، وهو ما أدى كما حدث فى الانتخابات البرلمانية إلى تفتيت الأصوات بين المرشحين. وأسفرت الجولة الأولى عن حصول كل من الدكتور قيس سعيد على أعلى نسبة وتلاه نبيل القروى، وقررت اللجنة

الانتخابات التونسية وتدشين مرحلة جديدة

المستقلة للانتخابات إجراء انتخابات الإعادة بينهما فى 13 أكتوبر 2019.

وأثناء الحملة الانتخابية فى الإعادة حذرت لجنة الانتخابات من أنه إذا استمر حبس المرشح نبيل القروى فقد يؤدى ذلك إلى بطلان الانتخابات لعدم تكافؤ الفرص فى الدعاية بين المرشحين، وقد أسرع قيس سعيد باتخاذ قرار بوقف حملته الانتخابية حتى يتساوى مع منافسه المحبوس بتهم معينة، وهو ما دفع المحكمة إلى سرعة النظر والبت فى طلب محامى القروى بالإفراج عنه حتى تتساوى الفرص بين المرشحين، وتم الإفراج عنه فعلاً، ولكن قبل يوم الاقتراع بثلاثة أيام فقط وهو ما اعتبرها القروى أنها غير كافية للقيام بالدعاية اللازمة.

وقد تم ترتيب مناظرة تليفزيونية بين سعيد والقروى، وهو تقليد جديد فى تونس بين مرشحى الرئاسة، وسبق أن طبق فى مصر مرة واحدة فى الانتخابات الرئاسية عقب ثورة 25 يناير 2011 وذلك فى انتخابات 2012.

وكان واضحاً فى المناظرة تفوق أستاذ القانون والدستور قيس سعيد الذى استمر فى التركيز على نفس الخط الذى اتبعه منذ بداية حملته الانتخابية فى الجولة الأولى حيث اهتم بالتوجه للشباب واستمرار ثورة الياسمين لتحقيق أهدافها فى التنمية والعدالة والحياة الكريمة والمحافظة على شعار «الشعب يريد» وتجديد الثقة بين الحاكم والمحكومين وتطبيق القانون على الجميع بلا استثناء، والاهتمام بالتنمية الاجتماعية ومحاربة الفساد وحماية الأموال العامة، مستخدماً مهارته كأستاذ جامعى محاضر. بينما ركز نبيل القروى - رجل الأعمال والإعلام - وصاحب إحدى المؤسسات الاجتماعية، على مساعدة الفقراء ومكافحة البطالة والاهتمام بالتنمية خاصة فى المناطق الفقيرة.

وقد أسفرت نتائج الانتخابات فى الجولة الثانية عن فوز قيس سعيد بأغلبية كبيرة حيث حصل على نحو 72.1٪ من الأصوات حيث صوت لصالحه نحو 90٪ من الشباب بينما حصل نبيل القروى على نحو 23.9٪. هذا وقد كان واضحاً من الجولة الأولى التى حصل فيها قيس سعيد على 18.4٪ من الأصوات بينما حصل نبيل القروى على 15.6٪، وفرص سعيد أكبر فى الفوز خاصة بعد أن أعلن حزب حركة النهضة وحزب تحيا تونس وعدة أحزاب أخرى أنها ستؤيده.

وصرح القروى بأن من أسباب خسارته حبسه 48 يوماً على ذمة قضايا وتهم غير حقيقية وأن القضاء هو الذى أنصفه وأفرج عنه، وأنه لم يعقد صفقات مع أحد للإفراج عنه، وأضاف أن الإفراج جاء متأخراً ولم يتح له القيام بحملة انتخابية، وأن اعتقاله وهو مرشح للرئاسة حالة فريدة فى تاريخ الديمقراطيات وأنه يقبل الهزيمة لعدم تكافؤ الفرص وأن الظروف التى مر بها لم يمر بها مرشح فى العالم. وبادر بتهنئة قيس سعيد، وأنه سيدعمه فى الخطوات التى يتخذها لخدمة مصالح تونس والشعب التونسى.

أما الرئيس قيس سعيد، فقد رفض المساعدة المالية الرسمية لمرشحى الرئاسة، ولم يكن لديه أموال لعمل دعاية انتخابية، وركز فى تحركه على الأماكن الشعبية وتجمعات الشباب، وتبنيه وانحيازه للشباب، والعلم، والنزاهة، ومحاربة الفساد. وقد وصفته أجهزة الإعلام بأنه رجل صارم، صاحب ضمير، يحرص على الاستقامة، وقليل الابتسام، ويتحدث معظم الوقت باللغة العربية الفصحى، ويركز على احترام المسئولية الجماعية الموزعة بين رئاسة الجمهورية والسلطة التشريعية والحكومة، لتجاوز الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية، وتحقيق التوازن المنشود فى المشهد السياسى فى البلاد، وأكد أنه لا يبيع الأوهام والأحلام الكاذبة والوعود الانتخابية الزائفة.

ولا شك أن الاتهامات بالفساد وغسيل الأموال والتحايل التى وجهت إلى نبيل القروى وأدت إلى حبسه، قد أثرت سلبياً على صورته لدى أغلبية الناخبين والأحزاب السياسية. كما نظر إليه على أنه ينتمى إلى طبقة الأغنياء سواء فى مظهره أو مسكنه فى أرقى الأحياء وأسلوب معيشته، ولم تشفع له المساعدات التى تقدمها الهيئة الاجتماعية التابعة له للفقراء والمحتاجين فى أنحاء مختلفة من تونس، ولم تسعفه خبرته الإعلامية فى المناظرة مع منافسه أستاذ الجامعة ونصير الشباب وحياته البسيطة وسلوكه الراقى والذى تجلى حين أوقف حملته الانتخابية حتى يتساوى مع خصمه حتى أفرج عنه، وزاد من شعبيته.

وقد أدى الرئيس قيس سعيد، اليمين القانونية رئيساً للجمهورية فى

البرلمان يوم 23/ 10/ 2019 ورأس الجلسة نائب رئيس حزب حركة النهضة عبدالرحمن مورو، والذى كان من ضمن المرشحين للرئاسة فى الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية.

وألقى الرئيس الجديد كلمة أمام البرلمان موجهة لكل شعب تونس والعالم تضمنت الآتى:

- مواصلة مكافحة الإرهاب ومظاهر الفساد، وعدم استغلال أجهزة الدولة من قبل الأحزاب.
- المحافظة على كرامة التونسيين وحريتهم وأنه لا مجال لأى عمل خارج إطار القانون.
- أن التحديات فى تونس كبيرة والمسئوليات جسيمة، والشعب التونسى قادر على تغيير مساره فى كنف القانون والشرعية.
- ترك المرافق العمومية خارج الحسابات السياسية الضيقة.
- الإشادة بدور الشباب الكبير وتضحياتهم من أجل الوطن.
- توعد المنظمات الإرهابية التى تهدد أمن البلاد بمواجهة عنيفة.
- وعد بحمل الأمانات بصدق وعزم سواء بالنسبة للشعب أو الدولة أو الفقراء والبؤساء والأطفال، وعدم المساس بحقوق المرأة الاقتصادية والاجتماعية.
- التنويه بدور نقابات العمال وأنها مدعوة لأن تكون قوة اقتراح باعتبار أن من ينتمون إليها وطنيون مستعدون للمشاركة فى البناء.
- انتصار تونس للقضايا العادلة ومن بينها القضية الفلسطينية، وأن هذا الموقف ليس موجهاً لليهود لأن تونس قد حمتهم خاصة أثناء الأزمات، وستواصل حمايتهم ولكنه موجه ضد الاحتلال الصهيونى.
- أن الرئيس رمز لوحدة البلاد، ضامن لاستقلالها، وساهر على حماية دستورها، وجامع للجميع، وهو يتعالى على كل الصراعات الظرفية الضيقة.
- أن العالم قد أبدى إعجابه بالتجربة الديمقراطية التونسية التى حققت ثورة شرعية ثقافية تمثلت فى تفجر الوعى بعد كمون طويل لتغيير المسار.

وكان الرئيس التونسى قد صرح أكثر من مرة أثناء حملته الانتخابية باتباع اللامركزية واللجان المحلية من أجل تحقيق أوسع مشاركة من جانب فئات الشعب المختلفة وضمان لا مركزية القرار السياسى وتوزيع السلطة.

ويرى بعض المتابعين للشأن التونسى أن سلطات رئيس الجمهورية الضيقة قد لا تساعده فى تحقيق شعاراته الانتخابية سواء فى مجال التنمية الاقتصادية أو محاربة الفساد، وليست لديه أغلبية برلمانية تساعده على فكرته فى تعديل الدستور من نظام برلمانى إلى نظام رئاسى يتم فيه تقاسم السلطة بين رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة حيث إن الرئيس الجديد قادم من خارج مؤسسات الدولة والأحزاب السياسية حتى وإن كان اتجاهه السياسى يميل نحو اليمين.

وقد أعرب الرئيس قيس سعيد عقب إعلان نتيجة فوزه بأغلبية كبيرة أن أولى زياراته الخارجية ستكون للجزائر، كما أبدى رغبة فى زيارة ليبيا إن أمكن ذلك.

الخلاصة:

اتضح من الانتخابات البرلمانية والرئاسية ما يلى:

- رغبة شعب تونس فى التغيير والانتقال من مرحلة ما بعد ثورة الياسمين والتى مثل فى الشق الأخير فيها الرئيس السبسى مظلة جمعت تحت جناحيها كل الطوائف السياسية والنقابية، ولكنها لم تستطع أن تتجاوز منافساتها القوية التى أثرت على مستوى الأداء التشريعى والتنفيذى ولم تحقق إلا القليل مما كان يتطلع إليه الشعب خاصة الشباب فى مجالات التنمية ومكافحة البطالة وتقليل نسبة الفقر ومحاربة الفساد. وحمل الشعب حزب حركة النهضة الجزء الأكبر من المسئولية عن هذا التقصير باعتبار أنه كان له نفوذ كبير سواء فى البرلمان أو الحكومة، ومن ثم تراجع التأييد للحزب بصورة واضحة.
- أن الأحزاب الجديدة وقياداتها بمختلف اتجاهاتها لم تحقق أهداف ثورة الياسمين من تنمية وحرية وكرامة ومن ثم لم تصعد الانتخابات أياً منها لتصدر المشهد السياسى وتشكيل حكومة جديدة.
- أما الانتخابات الرئاسية فقد كانت نتائجها فى الجولة الأولى والثانية معبرة عن رغبة شعب تونس فى اختيار رئيس جديد موضع ثقة من خارج الأحزاب لا تشوب سيرته تهمة فساد أو رشوة أو استغلال منصب، وليس مديناً لأحد بفوزه بالرئاسة إلا للناخبين خاصة الشباب.

ويبقى الطريق طويلاً وصعباً أمام الرئيس الجديد والحكومة التى سيتم تشكيلها من عدة أحزاب لتحقيق مطالب الشعب فى التنمية والعدالة والحرية والكرامة ومحاربة الفساد، وتخفيض نسبة الفقر لإخراج تونس من الأزمة الاقتصادية والاجتماعية التى تواجهها.

تداعيات الفقر والجهل

وراء الفقر والجهل، تكمن كل أسباب تواضع وضمور الفهم الأسرى لدور التعليم ودور التربية فى بناء الكيان الأسرى ذاته.. لا جدال أن التسرب من التعليم أحد منافذ الانجراف إلى الضياع والجنوح والعالم السفلى.. إلاَّ أن هذا التسرب طفح هو الآخر وعرض لأصل الداء.. أصل الداء يكمن إن أردنا مواجهته فى الفقر والجهل.. الفقر هو الذى يدفع كثيراً من الأسر إلى دفع أطفالها - أو مسايرة ميولهم الذاتية- لهجرة التعليم، هربًا من أعبائه وطلبًا لرزق من أى مورد، ويعجل بهم الجهل إلى استيسار هذا الطريق..

رجائى عطيـة

rattia2@hotmail.com

من الصعب أو النادر أن تجد أسرة مستورة على قدر من المعرفة تعجل أو تشجع أبناءها على هجرة التعليم أو تستسلم لرغبتهم فى التحلل والتسرب منه!.. ومن ذات الفقر والجهل يستمر الانفجار السكانى الذى صار نتيجة حتمية للجهل وتراجع الفهم الإنسانى، ونتيجة أيضاً لضمور بدائل الاستمتاع بالحياة.. فصار الإشباع الحسى بما فى ملك اليمين هو الوسيلة المتاحة للمعدمين لممارسة الحياة ممارسة مقرونة بالجهل وافتقار وسائل تنظيم أو ضبط النسل.. وربما مدفوعاً بإغراء زيادة الأيدى العاملة فى الأسر الفقيرة لكسر حاجز الفقر بتعدد موارد الدخل.. غير متفطنة أو مبالية بأن ذلك سيسلم الأسر ذاتها إلى المزيد من الجهل والفقر!

يبدو للمتأمل أن انعكاسات الفقر والجهل قد أصابت المجتمع أفرادًا وجماعات بإصابات غائرة، ونزعت من معظم الأسر المصرية الكادحة تحت مستوى الفقر من أجل لقمة العيش، أية قدرة أو بصيرة على إدارة شئونها وكفالة عيشها ناهيك بالاضطلاع الواعى القادر على ضبط الإنجاب وفهم مسئوليته والقيام بتبعاته.. مع انحشار وتلامس الأجساد والأنفاس فى «دخانيق» العشوائيات والمقابر التى صارت تجمعات سكانية، وشيوع المخدرات تعاطيًا وترويجًا، استشرت آفات بعيدة الأغوار طالت المحارم فى علاقات مجنونة موحشة طارت معها الحدود الدنيا للفضيلة وارتد الآدمى إلى الحيوانية، وانفرط أى عقد للأسرة، ناهيك عن أن تدرك واجبها فى رعاية وتربية الأطفال.. إن هذه الظروف الموحشة هى التى تدفع بالأطفال إلى أتون الأزقة والشوارع والأنفاق والمواخير، بدلاً من التعليم الذى صارت مدارسه نفسها كيانات طاردة مسربة لا كما كانت جاذبة راعية بأمس!!.. لم تعد المدارس باحة لبنيها كما كانت سالفاً سواء فى أيام الدراسة أو فى الأجازات، وتآكلت الحدائق والباحات والساحات الشعبية، وانعدمت ملاعب الرياضة بل وضاقت الأندية التى لم تزد من ستين عاماً بزيادة وتكدس العضوية فيها.. فلا الأسر - معظم الأسر- واعية مدركة لمسئولية ومطالب الإنجاب وواجب رعاية الأطفال، ولا حال المجتمع يفسح - حتى لمن وعى وأراد- مجالاً كحدائق أو باحات أو ساحات أو ملاعب يتنفس فيها الأطفال هواءً صحيًا ويمارسون رياضة أو لعبة أو لهوًا بريئًا.. الاختناق يحيط بكل شىء، وبالمفاهيم وبالإمكانيات، ويدفع الأطفال دفعًا إلى مزيد من التشرد والضياع ويهدد الأمة كلها فى غدها الذى نقتل بأيدينا الطرح الذى كان يمكن أن يعيش الوطن به وعليه!

لا جدال أن تواضع أو نضوب أو تراجع الثقافة الاجتماعية مع تآكل روح التكافل الاجتماعى، يسهم مع الفقر والجهل العام فى انسلات كثير من الأسر من واجبها الفاهم المريد إزاء أطفالها.. مع تزايد الجهالة واعتياد الحياة المدقعة تحت المستوى الإنسانى، يفقد الآدمى بصيرته بل ويزهد الرغبة فى الاستبصار.. لا يعنيه سوى قوت يومه.. فلا غد يأمله أو ينشغل به.. هو بحكم ما هو محطوم منكسر فيه لا يبالى بما سوف يكون عليه أطفاله فى المستقبل. ماذا يقدر أو يرسم لغده أو غدهم وهو لا يعرف إن كان سينجح فى تدبير عشاء يقيهم من المبيت على الطوى؟!!.. الأسر فى العشوائيات والمقابر أصابها من المباءات ومن زنى المحارم مع تلاحم الأجساد والأنفاس، ما رد المبتلين إلى الحيوانية الأولى، وأضاع كل معالم الأسرة الإنسانية التى تعى معنى التربية والتأديب والتنشئة، تترك أطفالها يمرحون كما تمرح أطفال القطط والكلاب الضالة.. لا غرابة فى أن يكون الطريق وأزقته وأكوام زبالته مرتع مرحهم ولهوهم.. ثم يصير مع الوقت مكان معاشهم!.. ينقطع مع هذا الاعتياد الحضن والكنف وحنان الأمومة ورعاية الأبوّة.. على كل «لقيط» أن يصنع مصيره!.. نعم. صار الأطفال مع انقطاع الحبل السرى بأرحام الأمهات كاللقطاء.. تفككت العلاقات حتى لم يعد أحد يبالى بأحد، أو يبالى بارتقاء ينتشله من فصيلة الثدييات إلى مستوى العالم الإنسانى!!

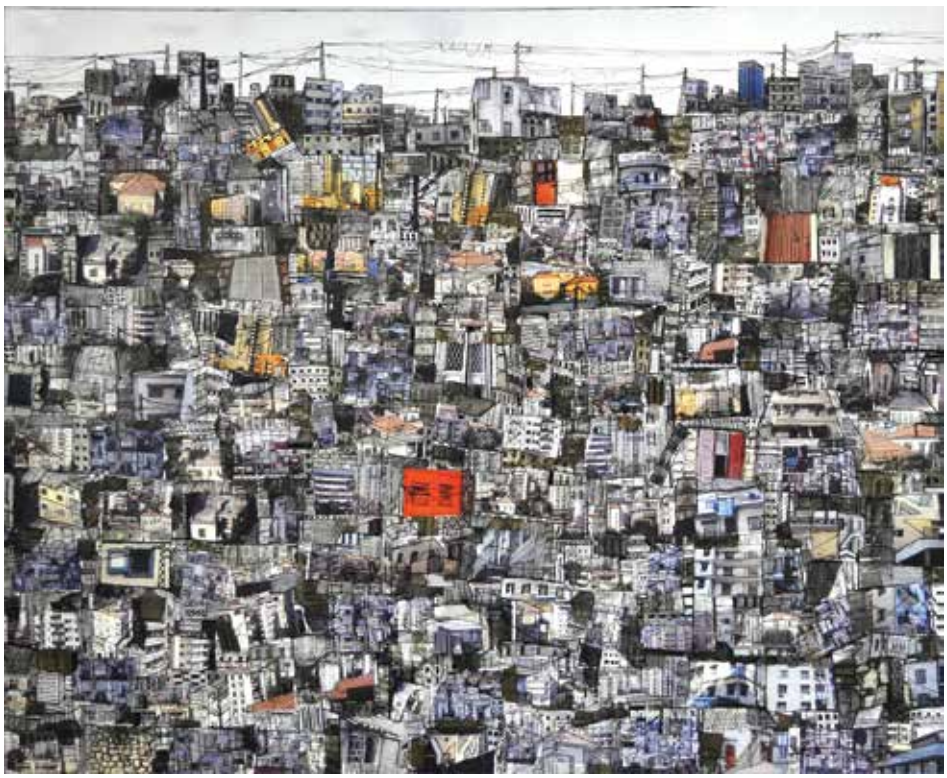

لم تخل أعباء الوطن والحروب التى خاضها عبر عدة عقـــود، من تأثيرات بالغة الضرر على الأســـرة المصرية.. خرج الوطن من حرب فلســـطين عام 1948، إلى صد العدوان الثلاثى 1956، ومنه إلى حرب اليمن التى اســـتمرت حتى نكســـة 1967، وبينهـــا وبين حرب رمضان أكتوبـــر 1973 مراحل الصمود والصد والردع وما صاحب هذا كله من ثكل أمهـــات وترميل زوجات وتيتيم أطفال وبعثرة أســـر استشهد أربابها فى هذه الحـــروب المتواصلة، وفقدت الأســـر المبتلاة فى شهدائها السند والمعين والاســـتقرار.. وابتليت الأسرة مع هذا الابتلاء بابتلاءات أخرى مردها إلى تغير العـــادات الاجتماعية لكثيرين ممن هاجروا طلباً للرزق فى حرب اليمن أو العراق أو أسواق العمل بالأقطار العربيـــة وغيرها.. كثير ممن عادوا للوطن ببعض المـــال، آثروا به زواجاً ثانياً طلباً لمتعـــة أو بحثاً عن ارتقاء موهـــوم، فانفرط عقد كثير من الأســـر بهجرة عائليها إلى زواج جديد يصاحبـــه على الدوام جفـــاف ينابيع التواصل والاهتمـــام والعطاء لأطفال الزواج الأول! هذا الانفراط يصيب أول ما يصيب الطفولة والأطفال، ويسرب هذه اللبنات إلى الضياع وأسقام النفس التى يغذيها الإحباط واليأس والصدمة فى «الأب» الذى أتى بهم إلى الدنيا ثم أعطاهم ظهـره سعيـــاً إلى أحضانٍ حسية دافئة أو ارتقاءً لدرجة موهومة!

لا تتخيل هـــذه الرغبات الضريرة الجاهلـــة ارتقاءها المنشـــود إلاَّ من خلال تعدد الزوجـــات الذى صار أحد أهم عوامل ضرب الأســـرة المصرية! تـــورى الإحصائيات بأن معظم الإقبال على تعدد الزوجـــات يأتى بين العامة والفقراء الذيـــن لا يعرفون ترجمة لما عساهم يرزقون به إلاّ بعقد جديد على قرينة جديدة أكثر شـــبابًا أو جمالاً أو أعلى منزلة اجتماعية.. مثل هذه الآفات الضاربة فى بعض الأســـر المصرية، المحطمة لأطفالهـــا، تحتاج إلى علاج العادات الاجتماعية السالبة، وإلى بث قيـــم وثقافة اجتماعيـــة تحيط بواقع ومسئوليات الحياة، وتفهم الدين فهمًا صحيحًـــا لا ينحصر بـــه فى رخصة معطاة على استحياء لمواجهة طوارئ ضاغطة، وإنما يخرج إلى باحته الكبرى التى جعلت من الزواج ســـكنًا وعشرة لإقامة أسرة مرعية وحفظ النسل حفظًا يجعل من لبناته عـــدة للوطن وعماداً لمستقبله!

محاربـــة الفقر ووقف زحفه لا تأتـــى بمحض التمنـــى، ولا بالتماس المساعدات الفردية أو الجمعية، وإنما سبيلها الوحيد وعى المجتمع وتحوله -بالعمل الدءوب الجـــاد- إلى مجتمع منتـــج.. هذه الإنتاجيـــة الجمعية هى حصاد الإنتاجيـــات الفردية، وكلاهما حصاد الجد الذى

لا شـــىء ســـواه لإنهاض الأفراد والأمـــم.. غريب وموجع حتى النخاع أننا مازلنا نمنح «الأجـــازات» بالأيام وبالأســـبوع، ونتلمس أيامًا تعويضية إذا صادفت المناســـبة يوم أجازة، غير متفطنين إلـــى أن الإنتاج حصاد عمل، والعمل حصاد وقـــت، وأن هذا الوقت يذهب بددًا إن لم نشـــغله بعمل جاد نابع عن عادات سلوكية غابت وجنحت وينبغى اســـتعادتها وإعـــادة زرعها وتنميتها فى الوجدان المصرى ليفهم الفرد والجماعـــة أن الحياة معركة لا مكان فيها للمتخاذلين والمســـتنيمين والخاملين، عمار الحياة سباق حقيقى مع النفس ومع الغيـــر لجعل الفرد ذا قيمة لنفسه وأسرته، وللمجموع العام!

يغدو الحديث عـــن معالجة الفقر حديثاً بلا معنى أو عائد، إذا لم يقترن بالتفات واع وفاهـــم لكارثة «البطالة» التى زادت معدلاتهـــا إلى حد مخيف! البطالة غول يصب فى

زيادة تفشى الفقر ويعدم أية وسيلة مشـــروعة وصحية لمقاومته والخروج من شرنقته..

لا تأتى البطالة فقط على الفقراء، وإنما تأتى أيضاً على المستورين وعلى الطبقة المتوســـطة بعامة.. لا مصدر لأى من هـــؤلاء إلاَّ العمل للحصول على أســـباب الحياة وإعالة الأسرة يافعيها وأطفالهـــا.. حين ينغلق هذا الباب، لا تقتصر عوادمـــه علـــى المزيد من تفشـــى الفقر والحاجـــة، وإنما يفتح أبواباً لا تنغلق للبحث عن مصادر بديلة لســـد الجـــوع.. تطول الأســـرة وتطول بالبداهة أطفالهـــا.. لا قدرة لآدمى بل لأى كائن، علـــى مقاومة الجوع حتى

تداعيات الفقر والجهل

بات شائعاً فى الأمثال عبارة: «الجوع كافر» !!! حين يجـــوع الحى، ويفقد القدرة على اســـتيجاد وســـيلة لكف نداء الجوع، يفقـــد مع إلحاح وضغط هذا النداء اتصالـــه بالحياة والمجتمع والنـــاس، ويصير كتلـــة غرائز تعوى طالبة ما يمســـك رمقها، فإن لم تجده بوسيلة صحية ومشروعـــة، بحثت - بالغريزة - عن أى بدائل! لا تسلها ماذا اختارت وماذا تركت؟! فلم يكن أمامها ما تتركه، وإنمـــا هى ألجئت إلجاءً إلى ولوج المســـلك - أى مســـلك!- الذى هيأه لهـــا كفرها بالمجتمع والمحيط! مـــاذا قدم لها المجتمـــع حتى تحترم وتلتزم بقوانينه؟!، وماذا سوف يعطيها القانون إذا التزمت به واحترمته؟! ألم تكن ملتزمة به حيـــن التهمها الجوع وضـــن المجتمع أو عجز عـــن إيجاد مصدر مشروع تعمل فيه وتقتات منه؟! وماذا بوسعها أن تفعل حين يلح نداء الجوع ولا تجد الكفاف، وحين يمرض أطفالها ويعز العـــلاج والدواء، وحين تعجز الأســـرة عجزا تامًـــا عن توفير أبسط وأضأل الاحتياجات الإنسانية؟! تدرك المجتمعـــات العاقلة أن مواجهة «البطالة» واجب عام يقع على المجتمع بأسره، فإن ضاقت رؤيته وضاق خياله وتصوره ونضب معينه وعجز عن توفير وخلق ما يعمل فيـــه أفراد الناس عملاً صحياً ومشـــروعاً، بات واجباً عليه أن يتساند تساندًا عامًا يتحمل فيه المحيط برمته واجب كفالة وإعالة المعدمين.. هذا الواجب ليس فقط واجبًا إنســـانياً مرده الدين والتراحم والقيم الأخلاقية، وإنما أساســـه أيضاً العقل والحكمة والعدالة فى أن يتحمـــل المجتمع برمته مـــا عجز عن تدبيره لبعض أفراده، ثم هو «الوقـــاء» الوحيد لتداعيات أمراض الفقر والبطالة التى تفتح أبواباً لا تنغلق للانحراف والجريمة، وتدفع بالأطفال- مع تفكك الأسر- إلى الشوارع والأزقة، وإلى التسول والجنوح، وتلتهم أجيال المجتمع التهاماً يصيبه فى قابله بعقم لا نجاة منه!!

لا معنـــى لأى حديـــث عن علاج مشكلة أطفال الشوارع، إذا كان بمعزل عن استشراف وعلاج الجذور والأسباب الرئيسية التى صبت وتصب فى وجود هـــذه الظاهرة واستشـــرائها.. جميل ومطلوب أن نتحدث عـــن دور الدولة ومنظمـــات المجتمـــع المدنى بعامة، ولكن هـــذا الحديث يغـــدو ضجيجاً بلا طحن إذا لم يقـــدر المجتمع على الالتفات وعلاج «أس» المشكلة الناجمة عن الفقر المدقـــع الذى تزيده البطالة تفشيـــاً واستشراءً!! أمام كثرة الإنتاج فى ألمانيا النازية وحـــدود إمكانيات التصدير، نـــادى هتلـــر نداءه المشهور: «التصدير أو الموت»! بتراجع التصدير يتراجع الإنتاج، وبتراجع الإنتاج يشيع الفقر، وبشـــيوع الفقر تتفاقم مشاكل وتداعيـــات لا حصـــر لهـــا ولا يمكن إيقافها! لا ســـبيل للمجتمع المصرى للخروج من عنق الزجاجة إلاَّ بالتنادى «بالإنتاج».. الإنتاج يعنى «عمالة» جادة، والعمالة تستلزم عملاً، واستيجاد هذا العمل يحل أزمة البطالة المستحكمة.. وهى أزمة ذات انعكاســـات وتداعيات بعيدة الغور على الأسرة وعلى أفرادها وأطفالها... إذا كانت إقامة المشروعات لتحديـــث الصناعة وتشـــغيل العمالة وزيادة الإنتاج تســـتلزم وقتًا وأموالاً كبيرة وإمكانيات ضخمـــة، فما الذى يغفر أو يبرر لنـــا تزايد أكوام البطالة المهددة بالانفجار، مع انتشار الفضلات والقـــاذورات المبعثـــرة فى كل مكان وتصاعد تلال القمامة ومحاصرتها مع طفح المجارى والبرك والمســـتنقعات للمدارس والمستشفيات وأحياء المدن وربوع القرى ومداخل ومخارج المدن وفى الشوارع والميادين والطرقات، فى الحوارى والأزقة، وفى بقع عزيزة من بلادنا.. تصيب صحتنا وتنشـــر القبح والدمامة وتسحب من البهاء الذى يجب أن نوفره لوطننا؟! لماذا

لا يمتـــد خيالنا بدلاً من شـــركات النظافة الأجنبية وأعبائها الثقيلة على المواطن الذى يئن من تراكم الغلاء، إلى مشـــروع قومى مستمر يستوعب تلال العاطلين لإزالة تـــلال القبح وتنظيف وتطهير بلادنا وتجميل وجههـــا ونشر خضرة الحدائـــق والزهور فى ربوعها! لماذا لا ننشـــئ جهازاً قوميًا للنظافة وتطهير وتجميل بلادنا ونوفر له إدارة ذات كفاءة واعيـــة حازمة مؤمنة بهذه الرسالة لإعـــادة النظافـــة والجمـــال إلـــى بلدنا بأيدى أبنائنـــا؟! فنقى العاطلين غول البطالة، ونعيد الجمال مخصب الانتماء إلى كل جنبات وطننا؟!

ماهى ملتك؟

كان صاحبنا منذ صغره يعشـــق النشاط الكشـــفى والتحق بفرق الكشافة منذ المرحلة الإبتدائية وحتى الجامعة، وقد أفاده ذلك فى جعله يحب الناس وخدمتهم ويحب الاستكشاف والتعرف على البيئة المحيطة وخصائصها مما أفاده بعد ذلك فى عمله.

سفير أسامة توفيق بدر

osama56@hotmail.com

وفى أحد المعسكرات لطلبة ثانوى التى شارك فيها كان هناك كشافة من بعض الدول الأخرى وخصوصاً لبنان والعراق تعرف إليهم وصاحبهم وبعد التعارف ســـأله زميله اللبنانى ماهى ملتك؟ فتوقف عند السؤال ولم يفهمه وتوقع أنه لم يســـمع جيداً، فسأل عن السؤال مرة أخرى وتلقى نفس السؤال ولما لم يفهم معنى السؤال فتوقع أن يكـــون ذلك هو لهجـــة لبنانية عامية فسأل عن المعنى باللغة العربية فقيل له إنها باللغة العربية، ولما فشل تماماً فى الفهم وفى الإجابة ســـأله اللبنانى ما هـــى طائفتك؟ هل أنت ســـنى أم شـــيعى فلم يعرف الإجابة وازدادت حيرته فلم يسمع من قبل هذه الكلمات فأوضح اللبنانى أن المسلمين عدة ملل فمنهم السنى ومنهم الشيعى والزيدى والعلوى وكذلك المســـيحيون هناك الأرثوذوكس والكاثوليـــك والمارون والبروتســـتانت. فوجد صاحبنا نفسه فى متاهة فهو يعرف فقط أنه مســـلم ولا يعرف أى تقسيم آخر، وعندما عاد إلى المنزل ســـأل والده «هو إسلامنا نوعه إيه؟» فلم يفهم الســـؤال إلا بعد استخدام المصطلحات «سنة وشيعه»، فأفهمه والده أن الإســـلام الأول ليس فيه مذاهب وإنما أتت هذه التقسيمات بفعل البشـــر بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام بسنوات كثيرة، وبدأت بعد أن تشيعت مجموعة مؤيدى سيدنا على له رافضة التحكيم ومن هنا جاء مصطلح شيعة، وبدأوا فى تفسيرات مختلفة للدين وتمســـكوا بها ثم زادوا عليها وتفرعـــت منهم جماعات أخرى كالزيدية والإثناعشرية وكلها تحريفات للدين الحنيف.

وبعد مرور 45 عاماً على السؤال ينظر صاحبنا حوله فيجد أن منطقتنا كلها أصبحت تتنازع وتتقاتل بســـبب الملة وهى الكلمة التى كانت شبه غير معروفة فى الستينات وأصبحت حالياً أســـاس كل الخراب والدمـــار. فنجد لبنان يتصارع فيها السنة مع الشيعة مع المارون ومذاهب أخرى، وسوريا يتقاتل فيها العلويون والسنة والأكراد والدروز، والعراق أرض خصبة للشيعة والســـنة والأكراد، والأردن على شفا حفرة من نار فالملك على توازن هش بين البدو والحضر والفلســـطينيين. أما اليمن التى دمـــرت وأصبحت من أفقر دول العالـــم فالصراع فيها بين الحوثييـــن الشـــيعة المدعومين من إيران والإخوان المدعومين من المملكة وأهل الجنوب المدعومين من الإمارات ويتخللهم عناصر من القاعدة وداعش، والصومال من الواضح أنها عصية على الوحدة فكل زعيم قبلى يســـيطر على منطقة بزعم أنه إخوانى أو ســـلفى أو خلافه.

وفى الغـــرب لدينا ليبيـــا التى دمرها الناتـــو والصـــراع فيها بين الإخوان المشركين والاعتدال الإسلامى ويزاحمهم داعش والقاعدة مدعومين من قطر وتركيا، أما تونس فهى على بركان تنتظر اتضـــاح ميول الرئيس الجديـــد وهل هو إخوانى أم ســـلفى وكذلـــك اتجاهات البرلمـــان الجديد، وتراقب الجزائـــر بحذر كل ما يحدث فى جارتها تونس تحسباً لانعكاسات ذلك عليها وخصوصاً أنها لم تســـتقر بعد.

أمـــا المغرب البعيدة نســـبياً عن قلب المنطقة فقد تسلل إليها الإخوان وســـيطروا على مقاليدهـــا ونتوقع انفجار صراع مذهبى قريباً.

ويرى صاحبنا أن الحل الأمثل لهذا الاستقطاب هو إسقاط كل الخزعبلات والملـــل والطوائف التى هى من صنع البشـــر والعودة إلى الدين الإسلامى الحنيف كما نزل فى القرآن وما أبلغنا به رســـول الله صلى الله عليه وسلم حتى رحيله وإســـقاط أى تفسيرات أو اجتهـــادات أتت بعـــد ذلك وأدت إلى الفرقة والتشـــرذم بين أبناء الأمة الواحدة وقد ذكر سبحانه وتعالى فى سورة المائدة «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكـــم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً» فكيف نفكر فى إضافة أى شئ أو أية ملة بعد قوله الحكيم هذا والذى أوضح فيـــه أن الدين قد اكتمل منذ نزول هذه السورة ولا اجتهاد مع النص، وأيضاً تنهانا خطبة الوداع عن سفك الدماء وأكل الأموال «أيها الناس إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقـــوا ربكم كحرمـــة يومكم هذا وحرمة شـــهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت، فمـــن كان عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها».

وفى حديث عن الســـيدة عائشة رضى اللـــه عنها «من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» صدق رسول الله صلى الله عليه وســـلم، ورد تعنى مرتد.

عن دور النخب فى المجتمعات

مـــن المفاهيم المهمة التى تكرر تناولها واســـتخدامها والتعامل معها فى العلوم الاجتماعية بشـــكل متزايد على مدار القرون المنقضية منذ عصر النهضة فى القارة الأوروبية، وبشكل أكثر تحديداً على مدار القرنين التاسع عشر والعشرين، وإن تباين تعريف وتوظيف هذا المفهوم وتحديد حدوده وتبيان معالمه من مرحلة تاريخية إلى أخرى ومن مدرســـة فكرية إلى أخرى ومن منطقة جغرافية إلى أخرى ومن إقليم ثقافى إلى آخر، وأعنى هنا مفهوم «النخبة».

سفير د. وليد محمود عبد الناصر

walidabdelnasser@yahoo.com

ولايـــزال الاختلاف علـــى التعريف الدقيق لهذا المفهوم قائماً وغير محسوم فى صفـــوف العلمـــاء والمتخصصين والخبـــراء فـــى العلـــوم الاجتماعيـــة والإنسانية، كما أنه من الثابت أن مفهوم النخبة من الاتســـاع بحيث أنه يشـــمل النخبة القانونية والسياســـية والثقافية والاقتصاديـــة والاجتماعيـــة والفنيـــة والرياضيـــة والعقائدية والأخلاقية، كلاً فى دائرة تحركها وإطارها وســـياقها. ولكننا سوف نســـعى هنا إلى التعامل مع المفهوم فى ســـياق خطوطه العامة المتفق عليها.

وطبقـــاً للعديـــد مـــن النظريات والأطروحات الموجودة، فإن النخبة هى، من جهة، التى تقـــود التحولات النوعية المهمة فـــى تاريخ الأمم والشـــعوب، وهى، من جهـــة أخـــرى، المنوط بها القيام بالعديد من المســـئوليات تجاه مجتمعها وشـــعبها من جهـــة، وتجاه قيادات ذلك المجتمـــع من جهة أخرى، بما فى ذلك مســـئولية التنوير الثقافى والفكرى والفنـــى والتحديث الاجتماعى والاقتصادى والسياســـى والتشـــريعى والقانونى والفنـــى والرياضى، وجذب المجتمع ككل إلـــى أعلى فى العديد من الميادين، كما أنها عادة ما تمثل الرابط المشترك والطرف الوسيط بين الشعب والقيادة فى أى مجتمع، والمفترض أنها تمثل مســـتوى مرتفعاً نسبياً من الوعى، كما عادة ما تتســـم بالكثيـــر من أوجه الانســـجام فيما بين مكوناتها، ويختلف حجم النخبة ما بين مجتمع وآخر بحسب العديد من المعاييـــر والمحددات، منها عدد السكان فى المجتمع، ودرجة التقدم الاقتصادى الحقيقى، ونســـبة التعليم ومدى قـــوة النظـــام التعليمى وصلابة وتماسك منظومة البحث العلمى السائدة أو الغالبة، ودرجـــة ارتفاع الوعى العام والذوق العام فـــى هذا المجتمع، وكذلك مدى الاهتمام بالثقافة الاجتماعية ودرجة تقدمها.

وفى تاريـــخ المجتمعات المختلفة، على تباين مراحـــل تقدمها الحضارى ودرجات نضجها وارتفاع مستوى الوعى العام فيها، كانت النخبة، أو جزء رئيسى ومكون مهم منها على الأقل، كما تعلمنا من قراءة تاريخ الأمم والشـــعوب، هى الدافع والحافز الـــذى مهد الطريق أمام أية نهضة يمر بها هذا المجتمع أو ذاك، سواء كانت نهضة ثقافية أو اقتصادية أو فنية أو سياسية أو اجتماعية أو رياضية، وذلك من خلال فترات توهج تلك النخبة وتعزز فعاليتها وتعاظم نشاطها وتألق أدائها واتســـامها بقدر من التناســـق والتناغم والتماســـك ووجود الحد الأدنى مما هو مشترك فى داخل صفوفها وفيما بيـــن العناصر المختلفـــة المكونة لها، وفى المقابل فإن انتكاسات المجتمعات وإخفاقاتهـــا وتراجعاتها وهزائمها، بل والوصول إلى درجة الانهيار التام أو شبه التام فى بعـــض الحالات، تمثل بدورها، وفى جانب كبير منها، انعكاسات ونتائج مباشرة أو غير مباشـــرة لتفكك النخبة وتناحرها وتصاعد التناقضات بداخلها، بـــل وتحولها فى بعـــض الحالات، التى يحدثنـــا التاريخ البعيـــد والقريب عن الكثير منها، إلى حروب داخلية فى بعض الأحيان.

وقد تتصف النخب فى المجتمعات بحالة من الاستمرار والثبات لفترة زمنية ممتدة أو طويلة نســـبياً، أو تتسم، وعلى العكس من ذلك، بخاصية التغير والتبدل والتحول بشكل مستمر أو متواصل، مع الإقرار بإمـــكان واختلاف فترات حدوث هذا التغيـــر والتبدل والتحول وتباينه ما بين حالة وأخرى ومجتمع وآخر، وغالباً ما تعكس هذه الحالة أو تلك مدى وجود الظاهرة المسماة بـ«الحراك الاجتماعي» داخل المجتمع بأســـره مـــن عدمه من جهة، ومدى سرعة هذا الحراك أو بطئه وديمومته أو بروزه بشـــكل متقطع من جهة أخرى. كذلـــك ترتبط حالة الحراك تلـــك بمجمـــل اتســـام المجتمع ككل بالجمود فى تشكيلاته وهياكله وإطاره البنيوى والحدود الفاصلة ما بين طبقاته وفئاتـــه وطوائفه والثقافـــة الاجتماعية السائدة به من جهة، أو اتصافه، من جهة أخرى، بالمرونة والانفتاح والانســـيابية والشـــفافية ووجود درجات مرتفعة من التفاعل المتقاطع مع الفواصل الثقافية والتعليميـــة والاقتصاديـــة والطبقيـــة والفئوية والجنسية المتواجدة بداخله.

كذلك فإن النخب قد تكون مفتوحة أو مغلقة، فالنخب المفتوحة هى تلك التى تتقبل دخول أفـــراد أو حتى مجموعات جديدة إليها وتتعايش معها وتجد أرضية مشتركة تجمع فيما بين مكوناتها الأصلية وما بين الوافدين الجدد إلى صفوفها، أو تنجح فى استيعاب الأفراد والمجموعات المنضمـــة إليهـــا وتشـــريبها القيـــم المعرفية والعادات والتقاليد الاجتماعية والمرجعيات الثقافية والفكرية والأنماط

السلوكية التى تلتزم بها تلك النخب، أو، فى ثالث السيناريوهات وآخرها كما نذكرها فى هذا المقام، تنجح هى فى التأقلم مع قيم وتقاليد ومرجعيات الوافدين الجدد والتكيف معها واكتسابها والالتزام بها كأنها هى منظومتها الأصلية. أما النخب المغلقة، فهى، وعلى النقيض مما تقدم، لا تقبل دخول وافدين جدد، حتى ولو تأقلموا مع قيمها وتقبلوا مرجعياتها الفكرية، كما أن هناك ما يعرف باسم «نخب شبه مغلقة»، أى نخب تقبل انضمام وافدين جدد إليها، ولكن فى أضيق الحدود الممكنة، وعلى فترات متقطعة، وغالباً ما تكون متباعدة، كما أن النخب شبه المغلقة لا تقبل فى الأغلب من الحالات انضمام مجموعات إليها وتكتفى بقبول انضمام أفراد فى نطاق محدود جداً وعبر امتدادات زمنية متباعدة ومتقطعة كما سبق توضيحه.

ومما يتعين تناوله هنا بخصوص دور النخب فى المجتمعات، هو مدى استعداد النخبة للتواصل مع بقية فئات المجتمع، والتى تكون بالضرورة فى مكانة اجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية أقل منها، والاستماع إليها وإلى شكواها وهمومها وآلامها، وأيضاً طموحاتها وآمالها وأحلامها، والدخول فى حوارات جادة ونقاشات مثمرة وتفاعلات بناءة معها، من عدمه. فلكى تكون النخبة معبرة، بحكم أفضلية درجة وعيها الفكرى والثقافى ووضعيتها الاقتصادية ومكانتها الاجتماعية، عن جموع الشعب الذى تنتمى إليه وجاءت منه، يعتبر هذا السعى لمد اليد وفتح الباب والعقل والوجدان للتفاعل الإيجابى مع جموع الشعب شرطاً ضرورياً وحتمياً لا غنى عنه على الإطلاق لتمتع النخبة بتلك الصفة التمثيلية عن المجتمع ككل. ويكون هذا التمثيل للمجتمع هو بالضرورة فى مواجهة القيادة أو الحكومة أو الجهة صاحبة سلطة اتخاذ القرار فى مثل هذا المجتمع.

وتقودنا هذه النقطة الأخيرة فى الفقرة السابقة إلى تناول طبيعة العلاقة بين النخبة والقيادة داخل نفس المجتمع، وهى علاقة تتصف بالتأكيد بدرجة متقدمة من التعقد، أياً كان النظام القانونى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى والسياسى الذى يسير عليه ويتبعه هذا المجتمع، نظراً لوجود حساسيات، فى غالبية الحالات، بين قيادة المجتمع وسلطته وبين نخبته، وهو موضوع يطول فيه الحديث وقد نفرد له مقالاً منفصلاً فى المستقبل. ولكن إجمالاً وإيجازاً، يمكن القول بأن هناك شكوكاً كثيرة تكون موجودة لدى القيادة أو السلطة تجاه النخبة ونواياها إزاءها ومدى انسجامها معها أو ولائها لها أو، بالمقابل، عدائها لها وسعيها للإطاحة بها، وعلى الجانب الآخر، تكون لدى النخبة، بدورها، اتهاماتها للقيادة أو السلطة بالسعى إلى إضعافها أو حتى تفكيكها من خلال بذر بذور الانقسام داخل صفوفها والسعى لتقليص ما تتمتع به من امتيازات أو حصانات، أو، بالمقابل، العمل من أجل تحويلها إلى تابع لها، لا حول له ولا قوة ولا تأثير ولا وزن ولا دور حقيقى أو مستقل.

ومن السمات التى تتصف بها النخب فى العديد من الحالات هو مفهوم «تدوير النخب» أو «إعادة تدوير النخب»، ويسرى هذان الوصفان فقط على «النخب المفتوحة»، وبالتالى لا ينطبقان لا على «النخب المغلقة»، ولا على «النخب شبه المغلقة»، حيث نشهد، بالنسبة لمفهوم «تدوير النخب»، حالات حلول، مفاجئ أو تدريجى، لنخبة، أو على أقل تقدير غالبية نخبة، محل نخبة أو غالبية نخبة أخرى فى مجتمع ما، ويحدث الحلول المفاجئ عادة فى أعقاب تحولات كبرى يشهدها المجتمع ككل مثل الثورات أو الانتفاضات أو الانقلابات أو الانتصارات الكبرى أو الهزائم الكبرى أو غير ذلك، ويتسم بحدوث ذلك بصورة متكررة ومتتالية على مدار فترة زمنية قصيرة نسبياً. أما مفهوم «عادة تدوير النخب»، فيتعلق باستمرار نفس المكون ضمن صفوف النخبة، حتى وإن تحول من كونه الأغلبية إلى الأقلية، من خلال إيجاده الآلية التى تضمن له ذلك الاستمرار مع النخب الجديدة، على الرغم من تواليها بشكل متكرر وفى فترات زمنية متسارعة، سواء من خلال علاقات الزواج والمصاهرة أو التزاوج بين السلطة والثروة والثقافة، أو عبر التلويح بكون هذا الجزء من النخبة هو الذى يملك مفتاح الأفكار والسلوكيات والقيم والعادات والتقاليد السائدة فى هذا المجتمع أو التى تقوده ككل، أو غير ذلك من آليات.

ولا يسعنا فى الختام إلا القول بأن كافة هذه الأشكال والصفات التى تتسم بها النخب، كما عرضنا لها فيما تقدم فى هذا المقال عشناها فى مجتمعاتنا العربية، فى مرحلة أو أخرى من تاريخنا الطويل، بما فى ذلك بالطبع بوجه خاص فى الفصلين الحديث والمعاصر من ذلك التاريخ الممتد، كما أننا مستمرون فى معايشتها فى بلداننا العربية فى اللحظة الراهنة، وطبقاً لغالبية التوقعات سوف يتعين علينا أن نشاهدها ونعيشها ونتعايش معها فى القادم من الأيام على مدى المستقبل المنظور، ولكل شعب ومجتمع فى الأمة العربية أن ينظر إلى هذه الخصائص والسمات ويرى أياً منها يصدق على أية مرحلة من تاريخه أو حاضره.

بانوراما إفريقيا

تولى الرئيس عبدالفتاح السيسى الرئاسة الدورية للاتحاد الإفريقى فى 10 فبراير 2019 لمدة عام، وقد حضر حتى الآن 7 قمم ممثلاً للقارة الإفريقية، ومن المقرر أن تستضيف مصر يومى 22 و23 نوفمبر 2019 منتدى الاستثمار الدولى فى إفريقيا.

وقد وجه السيد الرئيس التهنئة للسيد/ آبى أحمد رئيس وزراء إثيوبيا لفوزه بجائزة نوبل للسلام بعدما حقق المصالحة والسلام مع جيرانه، والذى أعلن وعده بكل صراحة فى مصر بألا تضار مصر أبداً من بناء سد النهضة الإثيوبى.

إن قارتنا السمراء هى أصلنا وسندنا ومستقبلنا ونحن قطعة عزيزة على القارة تتداخل مصائرنا معاً، وهذا يفرض علينا زيادة معرفتنا بقارتنا وأن نتابع تطوراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ونساهم فى نهضتها وأن نزيد تفاعلنا مع آدابها وفنونها وثقافتها بألوانها الحية والزاهية والبهيجة.

وأقدم فى هذا المقال (وقد استخدمت كلمة أفريقيا أو إفريقيا برسميها كالشائع فى الكتابات العربية) - وما قد يتبعه - بعض الموضوعات «المتنوعة» من مختلف أجزاء القارة (أى الأقاليم الخمسة وأفارقة المهجر) لعل بعض القراء يجدون فيها موضوعاً يدخل فى مجال اهتماماتهم أو يجذبهم إلى متابعته، ولعل الإعلام يزيد ويستزيد من تقديم الموضوعات الإفريقية إلى جمهوره، حتى يكتسب رجل الشارع معرفة يومية وجيدة عن قارتنا ومستقبلها المشرق بإذن الله.

شاعر إفريقيا والعروبة

كان محمد مفتاح الفيتورى (1936 - 2015) من أبرز شعراء السودان. ولد لأب ليبى فى دارفور بالسودان ثم تربى فى مدينة الإسكندرية بمصر وحفظ القرآن بالمعهد الدينى ثم انتقل إلى القاهرة، وتخرج فى كلية العلوم بالأزهر الشريف. عمل محرراً أدبياً بالصحف المصرية والسودانية، وعمل كخبير للإعلام بجامعة الدول العربية بالقاهرة. بعد ذلك عمل مستشاراً ثقافياً بسفارة ليبيا فى إيطاليا، كما عمل مستشاراً بسفارة ليبيا فى لبنان ثم سفيراً لديها. بسقوط نظام القذافى سحب جواز سفره الليبى فأقام مع زوجته المغربية فى الرباط، وفى عام 2014 منحته الحكومة السودانية جواز سفر دبلوماسى.

سفير عبدالفتاح عزالدين

afmecairo@gmail.com

لقب الفيتورى بـ«شاعر إفريقيا والعروبة» لأنه ألف الكثير من أشعاره ضد الرق والاستعمار فى إفريقيا، كما اهتم بقضية فلسطين. ودرست بعض قصائده بالتعليم المصرى، وغنى بعضها فنانو السودان، واقتبس الشباب السودانى أشعاره أثناء الثورة ضد حكم البشير.

يتضمن إنتاجه الشعرى دواوين كثيرة منها: أغانى إفريقيا (عام 1955) - عاشق من إفريقيا (عام 1964) - اذكرينى يا إفريقيا (عام 1965) - أحزان إفريقيا (عام 1966) - عرياناً يرقص فى الشمس (عام 2005).

ومن أشهر أشعاره قصيدة «أنا زنجى» التى يتناول فيها موضوع «الزنوجة» الذى شغل شعراء أفارقة آخرين مثل ليبولد سنجور (1906 - 2001) رئيس السنغال الأسبق، وإيميه سيزار (1913 - 2008) شاعر المارتينيك من أصل إفريقى. ويقول الفيتورى فى قصيدته: أنا زنجى/ قلها لا تجبن.. لا تجبن/ قلها فى وجه البشرية../ أنا زنجى/ وأبى زنجى الجد/ وأمى زنجية../ أنا أسود../ أسود لكنى حر أمتلك الحرية/ أرضى إفريقيا/ عاشت أرضى/ عاشت إفريقيا.

إن فكرة الزنوجة negritude تؤكد على أن الأسود إنسان وجميل ومتساوى مع الجميع، وكانت رد فعل على الاستعمار والعنصرية وما سببه ذلك من مصائب للإنسان الإفريقى من استعباد واستغلال وإذلال.. إلخ.

ومن الأفكار المغلوطة التى ورثها المستفرقون الغربيون فكرة انقسام إفريقيا إلى شمال عربى مسلم عن جنوب إفريقى وثنى أو مسيحى يتحدث لغات كثيرة أهمها لغات عائلة البانتو (إفريقيا جنوب الصحراء)، والحقيقة أن القارة شديدة التنوع فى كل أجزائها، والصحراء الكبرى كانت تسير بها القوافل ويحدث التبادل والتفاعل بين الشمال والجنوب بصفة دائمة، فقد كانت الصحراء الكبرى جسراً وليست عازلاً. إن إفريقيا بها حضارات وثقافات وأجناس عديدة مثلها مثل أوروبا - على سبيل المثال - التى تتضمن ثلاث مناطق غالبة إثنية ولغوية وهى الجرمانية فى الشمال، والسلافية فى الشرق، واللاتينية فى الجنوب ولم يمنع هذا من تفاعل أجزائها مع بعضها. ويجب علينا وعلى المتخصصين فى الشئون الإفريقية أن يدحضوا كثيراً من الأفكار غير الصحيحة والمدسوسة والتى تؤثر فى نفسية الإفريقى تجاه شقيقه الإفريقى، كما يجب علينا العمل البناء لإيجاد وتعميق الروابط والتفاعل بين الشعوب الإفريقية جميعها، والشاعر محمد الفيتورى أحد النماذج التى تبرز التفاعل بين أجزاء القارة.

الشاعر محمد الفيتورى

تينجا تينجا

هو أسلوب رسم انتشر فى شرق إفريقيا من دار السلام عاصمة تنزانيا منذ الستينيات من القرن الماضى، وابتكره الفنان التنزانى إدوارد سعيد تينجا تينجا (1932 - 1972)، وأطلق اسمه على هذا الأسلوب الذى يلاقى إقبالاً كبيراً خاصة من السائحين الأجانب الأوروبيين والأمريكان. وتتميز الرسوم بالبساطة والألوان الصريحة وتصور البيئة الإفريقية والمخلوقات فى الغابات الإفريقية، وفيها يظهر جمال وثراء الطبيعة الإفريقية. وأحياناً ما تتضمن هذه اللوحات لمسة سخرية أو وضع لا معقول. أشار بعض النقاد إلى أن أعمال تينجا تينجا مستوحاة من رسومات شعبية فى موزمبيق وهى بلد زوجته.

وقد أنتجت شركة B.B.C.البريطانية بالاشتراك مع كينيا منذ عام 2011 سلسلة رسوم متحركة للأطفال يرسمها فنانو التينجا تينجا ثم تحول إلكترونياً إلى رسوم متحركة. وتتناول حلقات السلسلة الإجابة عن لماذا تتميز الحيوانات ببعض الصفات البارزة، مثلاً لماذا تتعلق القرود بالأشجار، ولماذا يتعلق الخفاش مقلوباً، ولماذا تنقنق الضفدعة، ولماذا الحمار الوحشى مخططاً ...إلخ، وتقدم الإجابات على أساس الحكايات الشعبية الإفريقية التى تفسرها. وعلى سبيل المثال تفسر حلقة طول رقبة الزرافة استناداً إلى قصة فى شرق إفريقيا تقول بأن رقبة الزرافة طالت بعد أن أكلت أعشاباً سحرية.

وهكذا استطاع فنان إفريقى «مبتكر» أن ينشىء أسلوباً فنياً مستوحى من التقاليد اكتسب شعبية وخلق سوقاً واسعاً لهذا الفن الجميل، وأتمنى أن أرى معرضاً لهذا الفن فى مصر يوماً ما. ولا شك أن لدى إفريقيا الكثير من القوة الناعمة والتى ظهرت وأثرت فى فنون الموسيقى والرسم والنحت وغيرها فى الغرب وفى الولايات المتحدة.

وفى مقال بجريدة الأهرام نشر مؤخراً للسفير الدكتور مصطفى الفقى مدير مكتبة الإسكندرية أكد على أهمية إنشاء منظمة إفريقية للتعليم والعلوم والثقافة (أى على غرار اليونسكو والألسكو العربى والإيسيسكو الإسلامى). وآمل أن تطرح مصر - بما لها من تاريخ ودور وإسهام فى إفريقيا - المبادرة لإنشاء المنظمة (أفريسكو)، وربما يقترح لها مقر فى العاصمة الإدارية الجديدة مثلاً بما يحقق هذا الحلم الإفريقى المهم والذى يساهم فى الوصول إلى أهداف أجندة إفريقيا 2063.

البرلمان الإفريقى

المفترض هو الذراع التشريعى للاتحاد الإفريقى وفقاً لاتفاقية تأسيسه ولم يعط فيها سوى دور استشارى على أن يعقد مؤتمر لاحق بعد 4 سنوات أى فى عام 2009 لمراجعة مدى فعاليته، ولكن هذا المؤتمر لم يعقد حتى الآن. وقد بدأ البرلمان أعماله فى مارس عام 2004 فى أديس أبابا ثم نقل مقره إلى مدينة ميدراند Midrand بجنوب إفريقيا. والمهام الأساسية لهذا البرلمان هى المراقبة والاستشارة.

يتكون البرلمان Pan - African Parliament (PAP) من رئيس (هو السيد/ Roger Nkodo Dang كاميرونى الجنسية وتولى منصبه فى عام 2015) وأربعة نواب رئيس كل من إحدى المناطق الجغرافية الخمس التى يتضمنها الاتحاد الإفريقى. ويضم البرلمان 10 لجان دائمة تغطى نواحى الحياة الإفريقية. ويمثل الدول الأعضاء الـ55 فى البرلمان 275 نائباً ويتمتع بالعضوية كل منهم لمدة خمس سنوات. وتقوم كل دولة بإرسال خمسة ممثلين عنها، ويجب أن يكون من بينهم امرأة واحدة على الأقل (أى يهدف البرلمان إلى ضمان ألا يقل تمثيل المرأة الإفريقية فيه عن نسبة 20٪ من جملة عدد الأعضاء به).

يهدف البرلمان إلى تطبيق وتحقيق أهداف الاتحاد الإفريقى، وأعماله استشارية ترفع إلى قمة الرؤساء، ويدرس أعضاؤه التحديات والمشاكل التى تواجهها القارة ويقترحون الحلول لها.

وبالمقارنة بالبرلمان الأوروبى نجد أن أهم نقاط الضعف هى: الأولى أن أعضاء البرلمان الإفريقى مختارون من جانب حكوماتهم (مشكلة التمثيل)، والثانية أنه ليس لدى البرلمان الإفريقى سلطة أو تفويض إصدار قرارات تشريعية ملزمة (مشكلة التشريع) والثالثة أنه غير خاضع للمساءلة (مشكلة المسئولية). ولهذا تنتظر باقى أجهزة الاتحاد الإفريقى عقد مؤتمر مراجعة مدى فعالية البرلمان (الذى تمول ميزانيته جهات عديدة

ملابس قبائل اندبيلا بجنوب افريقيا

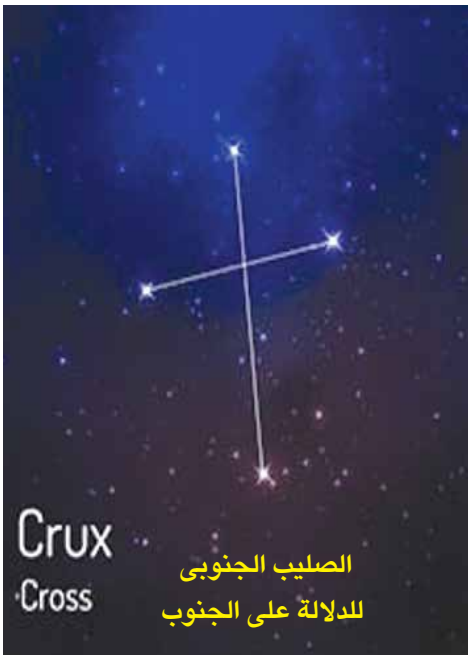

بجانب الاتحاد الإفريقى)، وذلك أملاً فى تطوير دوره لحل مشاكل القارة وتحقيق الأهداف القارية.

ما أظرف الزراف!

إذا كانت قارة أستراليا تشتهر بحيوان الكنغر kangaroo الفريد، فإن القارة الإفريقية تشتهر بحيوان الزراف الذى لا نظير له فى القارات الأخرى. الزرافة أطول (أو أعلى) حيوانات الأرض ولا توجد إلا فى مناطق السافانا فى إفريقيا وبالذات فى المنطقة الممتدة من إفريقيا الوسطى وكينيا وأوغندا إلى النيجر، وفى أجزاء أخرى متفرقة فى القارة. اسمها العلمى هو Giraffa Camelopardlis. ويدل اسمها العلمى على «تشابهها» مع عائلة الجمال العربية (ذات السنم) والجمال البكترية (ذات السنمين) وتتشابه كذلك مع اللاما والألباكا والبيكونيا فى أمريكا الجنوبية، ويعتقد أن الزرافة ربما يكون لها علاقة بحيوان الأوكبى Okapi الذى يعيش فى غابات الكونغو المطيرة، وتتميز كل هذه الحيوانات بطول الرقبة والجمال والرشاقة. والرأى الغالب عند العلماء أن طول رقبة الزرافة يعود إلى أنها تتغذى على أوراق الأشجار العالية. والغريب أن الزرافة حيوان صامت لا تصدر أى صوت وربما السبب فى هذا هو طول رقبتها مما لا يسمح بفاعلية أحبال صوتية. ويوضح التحليل الحديث للموروثات (الجينات) أن الزرافات تنتمى إلى أربعة أنواع متمايزة، وهى الزرافة الشمالية والشبكية والماساى والجنوبية (وهناك تفريعات أخرى داخل هذه الأنواع).

تواجه الزراف خطر الانقراض نتيجة عوامل كثيرة أهمها الصيد المحظور Poaching؛ والتصحر الذى يقلص مساحات الرعى، وتشتت الأماكن الصالحة للعيش، وقلة برامج الحفاظ على التنوع البيولوجى. وقد تناقصت أعداد الزراف ما بين عامى 1985 و2015 بنسبة 40٪، وتقدر أعدادها الآن بما يقل عن 100 ألف زرافة ومعظمها فى جنوب إفريقيا وناميبيا فى مزارع «خاصة». ولحسن الحظ يوجد لدى دولة إفريقية وحيدة وهى النيجر «إستراتيجية وطنية» للحفاظ على الزرافات فى الحياة البرية منذ عام 2011، وبفضل مجهودات الحكومة فى فرض حظر صيدها، ولعدم وجود حيوانات مفترسة فى منطقة «كوريه» ازدادت زرافات الزرافات هناك، وللحفاظ عليها من زيادة الأعداد حتى يمكن الاستمرار فى رعايتها بدأت حكومة النيجر فى نقل أعداد منها إلى منطقة ثانية وهى «جادابيدجى». ومع ذلك تظل الزرافات معرضة لخطر «الانقراض الصامت» كما وصفها مدير «مؤسسة حفظ الزرافات» Giraffe Conservation Foundation.

وكانت بعض الشعوب الإفريقية تأكل لحم الزراف، وتستخدمها فى بعض الأغراض مثل صناعة منشآت الهوام والأساور والعقود والدروع والصنادل والطبول بالإضافة إلى استخدامات وفق معتقداتهم فى الطب التقليدى. وترتدى المرأة فى بعض القبائل مثل قبيلة Ndebele فى جنوب إفريقيا حلقات من العظام أو المعدن حول رقبتها لتطول للدلالة على علو المكانة، ولأنهم يرون أن المرأة الجميلة تكون رقبتها طويلة (وهذا يذكرنا برقبة نفرتيتى الجميلة). ويتخيل شعب التسوانا فى بوتسوانا مجموعة نجوم الصليب الجنوبى Southern Cross (التى تدل على اتجاه الجنوب فى نصف الكرة الأرضية الجنوبى) على شكل زرافتين ذكر وأنثى.

وأود أن أذكر هنا أن قدماء المصريين عرفوا الزراف وكانوا يتاجرون بها فى منطقة البحر المتوسط. كما أرسل الوالى المصرى محمد على بزرافة كهدية إلى شارل العاشر ملك فرنسا فى عام 1827(المقال الشيق للكاتب عادل عبدالصمد بمجلة الدبلوماسى العدد (270 - 272).

وأعتقد أن علينا المشاركة فى عمليات دعم التنوع البيولوجى والاستفادة من برامجها فى الحفاظ على التنوع البيولوجى فى مصر وإنقاذ الأنواع المهددة بالانقراض، مما قد يتيح لنا أيضاً الحصول على الحيوانات التى تحتاجها حدائق الحيوان لدينا. وقد دعا السيد/ صلاح منتصر - فى إحدى مقالاته بجريدة الأهرام مؤخراً - رجال الأعمال إلى شراء أفيال وزرافات وإهدائها إلى حديقة حيوان الجيزة التى تخلو الآن منها، وآمل أن يستجيب رجال أعمالنا الوطنيون إلى هذا النداء لأن للحديقة دوراً تعليمياً وتثقيفياً مهماً للكبار والصغار.

أبوجا العاصمة الجديدة

أبوجا Abuja (وهناك خطأ شائع فى وسائل الإعلام حيث تنطق بجيم قاهرية

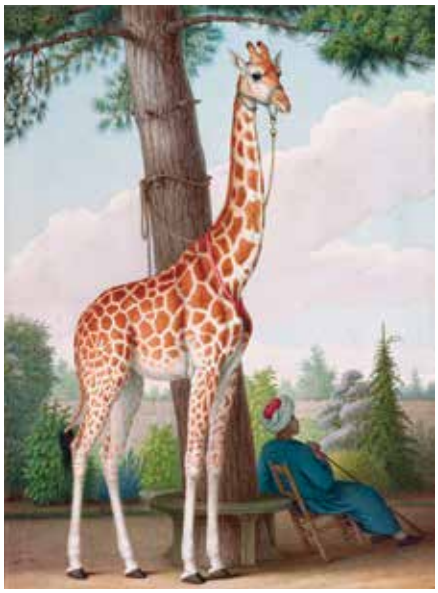

الزرافة

بينما الصحيح هو تعطيش الجيم) هى أحدث عاصمة إفريقية حيث نقلت نيجيريا عاصمتها من لاجوس Lagos (معناها البحيرات وهو الاسم الذى أعطاه البرتغاليون للمحطة التى أنشأوها فى هذا الميناء). وضع تصميم مدينة أبوجا كونسورتيوم من ثلاث شركات أمريكية كبيرة. وقد اختير موقع العاصمة الجديدة بحيث تكون فى وسط البلاد، وبحيث يوجد حولها إمكانيات التوسع بسهولة، وذلك بهدف نقل التنمية الاقتصادية من التركز فى الجنوب إلى باقى أنحاء البلاد أيضاً. وتقع أبوجا فى منطقة تتقاطع فيها كثير من الإثنيات النيجيرية وفى منطقة تتداخل فيها مناطق حشائش السافانا مع الغابات الاستوائية، ولذا فإن مناخها حار ورطب.

فى مدخل المدينة بوابة ضخمة باللون الأبيض عبارة عن قوسين على جانبى المدخل ومتصلين بعارضة عليها علم الدولة وشعارها وتحتهما كلمة مرحباً (كما بالصورة). وترمز البوابة إلى وحدة الشعب النيجيرى. وكانت هناك خطة لإنشاء بوابة ذات طابع معمارى حديث مستوحى من الثقافة النيجيرية ولكن تم إرجاء المشروع.

يوجد بالمدينة مطار وقصر الرئاسة ومبنى البرلمان ومقر البنك المركزى وإستاد رياضى وبرج الألفية الذى يبلغ ارتفاعه حوالى 170 متراً - ويضم مجمعاً ثقافياً وفنياً (وافتتحته إليزابيث الثانية ملكة بريطانيا فى عام 2003)، وحديقة كبيرة بها بحيرة (خزان مياه على مساحة 5 أفدنة).

وحيث إن معظم السكان من المسلمين

حيوان الاوكابى

والمسيحيين تم بناء مسجد وكنيسة رئيسيين بالإضافة إلى مساجد وكنائس أخرى. وقد بلغ عدد سكان المدينة حوالى 800 ألف نسمة فى عام 2006، ولكن هذا العدد ارتفع إلى 8 ملايين نسمة فى عام 2016.

ونتيجة توافد أعداد كبيرة من المواطنين من خارج المدينة الجديدة للعمل والخدمة فيها، ونظراً لارتفاع أسعار السكن، فقد ظهرت مناطق عشوائية حول المدينة، ويعتبر هذا هو أبرز العيوب التى تحاول الحكومة النيجيرية معالجتها فى مدينة أبوجا.

والجدير بالذكر أن التجارب السابقة مثل كانبرا فى أستراليا، وبوتراجايا فى ماليزيا، ونور سلطان فى كازاخستان، وبرازيليا فى البرازيل، تشير إلى النجاح البطئ لضخامة وطبيعة هذه المشروعات التى تستغرق وقتاً طويلاً خاصة لإعمارها.

وتعتبر العاصمة الإدارية الجديدة التى تنشأ فى مصر حالياً هى أحدث المدن الإفريقية والتى تختلف عما سبقها فى أنحاء العالم فى أنها ستطبق منذ البداية أساليب المدن الحديثة الذكية، التى تعتمد على التكنولوجيا الحديثة. ويدل موقعها على الاهتمام بتنمية منطقتى قناة السويس وشواطئ البحر الأحمر وهما منطقتان زاخرتان بالموارد والإمكانيات وواعدتان بنمو قوى وسريع. كما ستربط هذه المدينة المنطقتين بالقاهرة خاصة عندما تنفذ مشروعات مد السكك الحديدية من البحر الأحمر إلى العاصمة الإدارية والقاهرة والساحل الشمالى.

تجارة المثلث الذهبى

بعد اكتشاف كريستوفر كولومبوس للأمريكتين بدأت أسبانيا والبرتغال، ثم باقى القوى الأوروبية فى غزو الأمريكتين. وبسبب ما تعرض له السكان الأصليون من حروب وأمراض جديدة فقد تناقصت أعدادهم بشدة. وفى حوالى عام 1650 أصبحت هناك حاجة إلى العمال للعمل فى مزارع القصب والقطن، ووجد الأوروبيون أن أفضل حل هو نقل العبيد الأفارقة إلى القارة الجديدة لاعتقادهم بقدرة الأفارقة الكبيرة على تحمل المشاق.

وهكذا ازدهرت تجارة الرقيق بين الساحل الغربى لإفريقيا (خاصة من جزيرة جوريه فى السنغال التى كانت محطة لتجميعهم)، وجزر الكاريبى التى كانت أقرب أراضى الأمريكتين إلى إفريقيا، وأصبحت محطة نقل العبيد إلى باقى أجزاء القارة الجديدة. كان الأوروبيون يحصلون على العبيد بقوة السلاح وبالتعاون مع بعض الأفارقة (النخاسين) وبالمقايضة بالسلع التى تغرى الأفارقة، فتمت آلاف الرحلات التى نقلت ما يقدر بحوالى 12 مليون إفريقى، هلك الكثيرون منهم أثناء الرحلات البحرية الطويلة والشاقة بين القارتين.

وتطورت التجارة لتضم قطباً ثالثاً وهو القارة الأوروبية حيث كانت الغنائم والذهب والفضة ودخول بيع القطن والقمح والدخان أو المواد الخام ترسل إلى أوروبا. وكانت إنجلترا أنشط الدول الأوروبية التى ترسل بدورها الأسلحة القديمة والخرز الملون والمشروبات الكحولية والقماش وبعض المصنوعات الأخرى، وتقايض بها فى الساحل الغربى لإفريقيا مقابل الحصول على عبيد يرسلون إلى الأمريكتين. وعرفت هذه التجارة بتجارة الأطلنطى الثلاثية Triangle Atlantic Trade . وتبرز هذه التجارة جشع الاستعمار وفظاعته، كما تكشف عن المآسى الكبيرة والكثيرة التى سببتها العبودية للأفارقة.

وفى عام 1833 صدرت قوانين إلغاء الرق فى إنجلترا وتبعتها دول أخرى فيما بعد. وتباينت التفسيرات لأسباب إصدار هذه القوانين منها أن جمعيات مسيحية ذات النزعة الإنسانية كانت تدفع بها أو أن الرأسماليين بعد الثورة الصناعية وجدوا أنه أكثر اقتصاداً من شراء العبد وتحمل تكاليفه أن يكتفى بشراء العمل الذى يقوم به أى فرد، ويفسر الأفارقة هذه القوانين بأنها نتيجة المقاومة التى كان الأفارقة يقومون بها ضد العبودية فى كل مكان، ويضربون المثل بقضية السفينة أميستاد Amistad (الصداقة بالأسبانية) التى نظرت فيها المحاكم الأمريكية فى عام 1839. وتتلخص القضية فى أن بعض الأفارقة استولوا على السفينة التى كانت تنقلهم من كوبا إلى أمريكا الشمالية، وقتل 4 من قادة السفينة فى معركة مع الأفارقة، وحكمت المحكمة بحصولهم على حريتهم وعودتهم إلى سيراليون التى نقلوا منها. وقد تناول المخرج الأمريكى العالمى ستيفن سبيلبرج هذه الحادثة فى فيلم شهير باسم «أميستاد».

وفى محاولة تاريخية فيما بعد لتصحيح هذا الظلم التاريخى، ساعد بعض رجال الأعمال الأمريكيين على إعادة توطين بعض العبيد الأفارقة وسلالاتهم فى أرض لإقامة دولة لهم بغرب إفريقيا أسموها ليبيريا (مشتقة من كلمة حرية Liberty). كما وطنت بريطانيا بعض العبيد فى سيراليون بغرب إفريقيا أيضاً، ووطنت فى جزر الباهاماز بالكاريبى العبيد الأفارقة الذين شاركوا مع بريطانيا فى حربها ضد استقلال الولايات المتحدة الأمريكية.

ولم يشارك العرب فى هذه التجارة، ولكن شاركوا فى تجارة العبيد فى مناطق أخرى مثل كل الشعوب فى ذلك الوقت والتى تداولت عبيداً من مختلف الجنسيات ومناطق العالم والذين كانت تتباين ظروف عبوديتهم، وتوجد كتابات كثيرة عن تجارة العبيد فى العالم، وهو شر يكاد يتخلص منه عالمنا المعاصر والحمد الله.

الازمة الإيرانية الامريكية وسوريا إلى اين ؟ (5)

إلحاقاً لمقالتنا الرابعة فى هذا الشـــأن فإن عمليات الشد والجذب بكافة أنواعها وتطوراتها من التوتر والحوار بين الولايات المتحدة الأمريكية من جانب والجمهورية الإسلامية الإيرانية من جانب آخر تدور فى غمار أزمة الاتفاق النووى الإيرانى الموقع 14 يوليو 2015 فى فيينا بين إيران والدول 5 1+ أى الدول الخمس الدائمة العضوية فى مجلس الأمن (بريطانيا والصين وفرنســـا وروســـيا والولايات المتحدة الأمريكية) بالإضافة إلى ألمانيا.

كان الرئيـــس الأمريكى ترامب قد أعلن الانسحاب من ذلك الاتفاق النووى مع إيران فى 8 مايو 2018 وأعاد فرض عقوبات اقتصادية قاســـية على إيران حرمتها من المكاسب الاقتصادية التى كانت إيران تســـعى إليها ودفعتها -أى - إيران إلى مواجهة تحديات اقتصادية واجتماعية جســـيمة وحالـــة انكماش بـــل والتهديد بصعوبـــات داخلية فى إيران فى ظل بحـــث إيران عن متنفس خارجى مستمر لإنعاش اقتصادها وما لانعكاســـات ذلك الاتفاق من تأثير على العلاقات الإيرانية الأمريكية وأمن الخليج والأزمة اليمنية وأسعار النفط والانشغال الأمريكى والإيرانى والدولى بأزمة الغزو التركى لسوريا وغير ذلك.

- أنه من أهم الاعتبارات والمتغيرات المؤثـــرة على تلـــك الأزمـــة الإيرانية الأمريكية فى المرحلة الحالية فى رأيى الشخصى ما يلى:

- استمرار الأزمة الممتدة فى اليمن بل وازدياد آثارها الكارثية والإنســـانية وتراجع الاهتمام الدولى بها للانشـــغال بالأزمة الســـورية وبقضايا داخلية أو كارثيـــة إقليمية والدفـــع نحو تحقيق التقسيم وعمليات الانفصال فى الجنوب اليمنـــى من خلال المجلـــس الانتقالى لجنوب اليمن وغيره وعدم تنفيذ اتفاق اســـتكهولم بشـــأن الحديدة وظاهرة انتشار اســـتخدام الطائرات المسيرة وآثارهـــا الخطيرة على أمـــن الخليج والنزاع العربى الإســـرائيلى والأزمات فى الشرق الأوســـط فضلاً عن مسعى الرياض لبذل الجهود السلمية من خلال عقد لقاءات للقوى اليمنية مع الحكومة الشـــرعية لإيجاد حل ســـلمى للأزمة اليمنية وغير ذلك.

سفير د. يوسف الشرقاوى

yelsharkawy@yahoo.com

- تزامن ذلك مع تشـــديد الولايات المتحدة عقوباتها المتجددة على إيران ومن بينها فرض عقوبـــات على البنك المركزى الإيرانـــى التى ندد فيها وزير الخارجيـــة الإيرانى محمد جواد ظريف بفرضها ووصفها بأنها محاولة لحرمان المواطنين العاديين الإيرانيين فى إيران من الغذاء والدواء.

- تأتى تلك التطورات الخطيرة فى الوقت الذى تنشط فيه دبلوماسية عمان من آن لآخر فـــى إطار محاولة حل تلك الأزمة.

- أنه فـــى هذا الإطـــار أيضاً يأتى دور فرنسا النشط والهادئ والمتواصل لتقريب وجهات النظر بين واشـــنطن وطهران ومازالت تتواصل تلك الجهود المضنية من جانب فرنسا على مستويات متعـــددة خاصة من جانـــب الرئيس الفرنســـى مانويل ماكرون ومستويات فرنسية أخرى لحل تلك الأزمة.

- ويلاحظ أن الأزمة التركية السورية قد ألقت بظلالهـــا على ضعف الاهتمام بالأزمة الإيرانية الأمريكية بشأن الاتفاق النـــووى الإيرانى وتصاعـــد الاهتمام الإقليمى والدولى بالأزمة السورية

وفى هذا الصدد فقد ذكر الســـيد وزير الخارجية سامح شكرى فى القمة الثامنة عشرة لرؤساء الدول والحكومات الأعضـــاء فى حركـــة عـــدم الانحياز المنعقدة فى باكو يومى 25 و26 أكتوبر 2019، تحت عنوان «التمسُـــك بمبادئ باندونج لضمان اســـتجابة مشـــتركة ملائمـــة لتحديات العالـــم المعاصر». ذكر السيد وزير الخارجية تعليقاً على الأوضاع فى سوريا، أن تعرضها لاعتداء جديد على أراضيها، واحتلال لشمالها، يعد انتهاكاً للقانـــون الدولى والمبادئ التى تأسست عليها حركة عدم الانحياز، وطالـــب فى كلمته بوقـــف فورى لهذا العدوان وانســـحاب القوات المعتدية، مؤكداً ضرورة البدء الفورى فى العملية السياسية لتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم 2254.

- أنه نتيجة الاعتـــداء التركى على شمال شرق ســـوريا ضد قوات سوريا الديمقراطيـــة التى تدعمهـــا الولايات المتحدة فقد فرضت واشنطن عقوبات أمريكية على شخصيات رسمية تركية فى وزارتى الدفاع والطاقة وعلى وزراء الدفاع والداخلية والطاقة فى تركيا من أجل العمل لوقف إطلاق النار.

- وقـــد أشـــارت بعـــض الدوائر الأمريكية إلى دراســـة احتمال سحب حوالى ٥٠ رأساً نووياً أمريكياً من قاعدة إنجريليك الجويـــة التركية فى جنوب تركيا التى تمت إقامتها فى عام 1951 والتـــى تحتوى أيضاً علـــى حوالى 57 مخبأ للطائـــرات وكانت تحظى بأهمية إســـتراتيجية وعملياتيـــة لحلف الناتو وواشنطن ضد الاتحاد السوفييتى ثم فى مواجهة روسيا لاحقاً والصين وغيرهما وأهميتها للعمليات العسكرية الأمريكية دائما فى أفغانستان والعراق وغيرهما

وبهـا حوالى 2500 جنـدى أمريكى وتستخدم كذلك من القوات البريطانية والألمانية والنظر مـن جانبهم لتركيا كأداة لمـا تعتبره تهديـدات لهم من الشرق الأوسـط إلى جانب تحكم تركيا فى مضيق البوسـفور الذى يعد القناة الرئيسية لروسـيا الاتحادية إلى البحر المتوسط وشريان مهم فى إطار طريق الحرير الصينى.

- ونلاحظ أيضاً أن تركيا تدرك أن تقاربها مع موسكو مهم ومرتبط بالأزمة السورية، وأن ملفات الخلاف بين البلدين أكثر مـن ملفات التوافـق، ويعزز من ذلك حجم ملفات الصراعات التاريخية المحدقة بين أنقرة وموسكو، التى دفعت الدولة العثمانية والإمبراطورية الروسية لخوض أكثر من 10 حروب شرسة، ولا يزال لعدد من هـذه الحروب امتدادات وآثار على علاقات الجانبين حتى الوقت الحالى هذا إلى جانب التنافس المحتدم دوماً بينهما فى القوقاز وتعزيز روسيا نفوذها فى البحر الأسود، واعتبار أنقرة ذلك تهديـدًا لأمنهـا القومى، ورفض أنقرة -حتى الآن- الاعتراف بضم روسيا لجزيرة القرم الأوكرانية.

- تجدر الإشـارة إلى أنه تم التوقيع على اتفاق بين روسـيا وتركيا فى 17 أكتوبـر 2019، وافقت تركيا بموجبه على وقف عملياتها العسكرية لـ5 أيام تمهيدًا لانسحاب المقاتلين الأكراد مما تسـميه تركيا بالمنطقـة الآمنة داخل سوريا.

- قد يمكن القول إن واشنطن قامت بتوظيف موضوع الاستغناء عن قاعدة إنجريليك لدفـع تركيا إلى قبول وقف فورى لإطلاق النار هنـاك - فى إطار المصالح الإستراتيجية التركية الأمريكية فى إطار حلـف الناتو - وهو ما تحقق بتوصل الجانبين لاتفاق.

والواقـع أن تركيا أردوغان توظف أيضاً علاقاتها الإسـتراتيجية مع حلف الناتو وواشـنطن لحمايتهـا من أى تهديد روسـى محتمل وهو ما نلاحظه فى نوفمبر 2015 إبان الأزمة الروسية التركية حيث قام السلاح الجوى التركى بإسـقاط طائرة مقاتلة روسـية على الحدود مع سـوريا بدعـوى انتهاكها المجال الجوى التركى واندفعت أنقرة حينـذاك إلـى اللجوء لحلف شـمال الأطلنطى خوفًا من رد عسكرى روسى على ذلك، وعَقَدَ الحلف بالفعل اجتماعًا طارئًـا بناء على طلب مـن تركيا وأيد حقّ تركيا فى الدفاع عن نفسها، وردت روسيا وقتها بفرض عقوبات اقتصادية علـى تركيا، وقطعت جميـع علاقاتها العسكرية معها، ولم تتحسن العلاقات بين البلدين إلا فـى يوليو 2016 على خلفية التوتر فى العلاقات الأمريكية - التركية.

- يلاحظ أن الرئيس الروسى بوتين، ونظيره التركى أردوغان، قد توصلا إلى اتفاق جديد بخصوص الأزمة السورية والعملية العسكرية التى أطلقتها تركيا ضد الأكراد فى شمال سوريا.

وفيما يلى نص الإعلان:

1 - كلا الجانبيـن أكـدا علـى التزامهمـا بالحفـاظ علـى الوحدة الإقليمية والسياسـية لسـوريا وعلى حماية الأمن لتركيا.

2 - أكد الرئيسـان التصميم على محاربـة الإرهـاب بجميع أشـكاله ومظاهره وتعطيل المشاريع الانفصالية فى الأراضى السورية.

3 - سـيتم فى هذا الإطار الحفاظ على الوضع الراهـن فى منطقة عملية نبع السـلام الحالية، التـى تغطى تل أبيض ورأس العين بعمق 32 كم.

4 - كلا الطرفيـن أكدا مجدداً على أهمية اتفاقية أضنة، وستسـهل روسيا تنفيذ هذه الاتفاقيـة فى ظل الظروف الحالية.

5 - اعتباراً من السـاعة الـ12:00 ظهر يوم 23 أكتوبر 2019، الشـرطة العسـكرية الروسـية وحرس الحدود السورى سيدخلان إلى الجانب السورى من الحدود السـورية التركية، خارج منطقة عملية نبع السلام، بغية تسهيل إخراج عناصر «ى ب ك» وأسـلحتهم حتى عمق 30 كم من الحدود السورية التركية، وينبغى الانتهاء من ذلك خلال 150 ساعة.

فى تلك اللحظة، يبدأ تسيير دوريات تركية وروسية مشـتركة غرب وشرق منطقة عملية «نبع السـلام» بعمق 10 كم، باستثناء مدينة القامشلى.

6 - سيتم إخراج جميع عناصر «ى ب ك» وأسلحتهم من منبج وتل رفعت.

7 - كلا الجانبيـن سـيتخذان الإجراءات اللازمة لمنع تسـلل عناصر إرهابية.

8 - سـيتم إطلاق جهود مشتركة لتسـهيل العـودة الطواعيـة والآمنة للاجئين.

9 - سـيتم تشـكيل آلية مشتركة للرصد والتحقق لمراقبة وتنسيق تنفيذ هذه المذكرة.

10 - سيواصل الجانبان العمل على إيجاد حل سياسى دائم للوضع السورى فى إطار آلية آستانا، وسيدعمان نشاط اللجنة الدستورية.

- إنـه مـع تراجع حـدة الأزمة السورية إقليمياً ودولياً وتوقف العمليات العسكرية التركية فى شمال سوريا فى الوقت الحالى تسـعى إيران إلى اتخاذ خطوات ولو مرحليـة للعودة إلى رفع العقوبات عنها دون تكرار سـيناريو

مأساة سوريا

الازمة الإيرانية الامريكية وسوريا الى اين ؟

لقـــاءات ترامب - كيـــم كونج رئيس كوريا الشـــمالية غير المثمرة بشـــكل معلن حتى الآن كما تســـعى إيران إلى عدم فرض الولايـــات المتحدة عقوبات أخرى عليها وكانت واشنطن قد فرضت على وزير الخارجيـــة الإيرانى عقوبات فى إطار الضغـــوط والعقوبات الأخرى لفرض عزلة دولية على تحركات إيران الدبلوماسية النشـــطة على الساحتين الإقليمية والدولية وفـــى إطار عمليات التصعيد المتبادل بين واشنطن وطهران من حين لآخر على مستويات متعددة.

- تســـعى إيـــران أيضـــاً إلى رفع مســـتوى صادراتها التى انخفضت إلى حوالـــى 100 ألف برميـــل يومياً منذ يوليو 2019 بعد أن كانت تبلغ حوالى 2.5مليون برميل يومياً قبل فرض تلك العقوبـــات مما أدى حاليـــاً إلى اتخاذ خطوات تتعلق بزيادة كمية اليورانيوم منخفض التخصيب ورفع مستواه.

الخلاصة فـــى تقديرى أن عمليات الشد والجذب بكافة أنواعها وتطوراتها فى الأزمـــة الإيرانيـــة الأمريكية تتأثر بالأبعـــاد الإقليمية والدولية وتســـير بخطى متسارعة من التوتر أحياناً ولكن مع جهود تبذل فى إطـــار فتح الحوار بيـــن الولايات المتحـــدة الأمريكية من جانب والجمهورية الإســـلامية الإيرانية من جانب آخر خاصة من جانب فرنسا وعمان.

- إن تلك الأزمة تدور فى غمار أزمة الاتفـــاق النووى الإيرانـــى والعقوبات المتصاعدة من جانب الولايات المتحدة ضد إيران.

إن التوتر بين الجانبين يســـير فى إطار محكوم ومحســـوب فى تقديرى حتى الآن فى مســـار العلاقات الإيرانية الأمريكية والســـيطرة على أمن الخليج والدول الصديقة لواشـــنطن بالمنطقة وذلك على الرغم من انعكاسات الاعتداء الذى أصاب شـــركة أرامكو فى المملكة العربية السعودية.

- وفى ضوء ما تقدم وما كشـــفته أزمة الاتفاق النـــووى الإيرانى وآثارها وانعكاســـاتها على أمن الخليج والنزاع العربى الإســـرائيلى والأزمات السورية واليمنية وما تم الكشف عنه على الصعيد العملياتى والاستخباراتى من تقدم فى المجالات العسكرية خاصة فى مجالات الدفاع الجوى والصواريخ الباليســـتية والطائرات المسيرة والعمليات التدميرية النوعية والخطيرة فى الخليج فإن الحل السلمى لتلك الأزمة هو الأساس فى رأيى حتى لا تتعرض المنطقة ودول الخليج والمنطقة العربية وإسرائيل لاحتمالات أخطـــار وفوضى بدلاً من اســـتغلال عمليات إشـــعال تلك الأزمـــة وإجراء توسعة خطيرة بالمنطقة بسببها لتهيئة الأجواء والأرض لتنفيذ سايكس بيكو2..

إن تفعيـــل أدوار منظمـــة الأمـــم المتحدة والوكالة الدولية للطاقة الذرية وبصفة خاصـــة دور جامعـــة الدول العربية إلى جانب دور الاتحاد الأوروبى المنشـــغل بموضوع خروج بريطانيا من الاتحاد يكتســـب أهمية كبيرة لحل أزمة الاتفاق النووى الإيرانى من خلال الوساطات الهادئة مع إيران خاصة من جانب فرنسا وعمان.

- إن آليـــة الحوار التـــى دعا إليها الســـيد الأمين العام الســـابق للجامعة العربية صاحب المعالى عمرو موســـى لهـــا أهميتها لدراســـتها ووضع الآلية اللازمـــة فى هذا الصـــدد مع الأخذ فى الاعتبار ضرورة تطبيق:

- احتـــرام مبدأ عـــدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول.

- حل النزاعات بالطرق السلمية.

- احتـــرام ميثاق الأمـــم المتحدة وقواعد القانون الدولى فعلاً وليس قولاً فقط بهدف حل أزمة الولايات المتحدة مع إيـــران على غرار ما تم قبل ذلك من حل أزمات دوليـــة وإقليمية مثل الأزمة الفيتنامية الأمريكية المؤلمة وأزمة كوبا العميقة مع أهمية استمرار الدبلوماسية الفرنسية الحيوية والحكيمة من جانب الرئيس الفرنســـى مانويـــل ماكرون من أجـــل تقريب وجهـــات النظر بين الولايات المتحدة الأمريكية والجمهورية الإســـلامية الإيرانية للحل الدبلوماسى لأزمة الاتفاق النووى الإيرانى.

- ومن الأهمية فى الوقت الحالى دفع الجهود اللازمة لتنفيذ المبادرة المصرية لإنشاء منطقة خالية من جميع أسلحة الدمار الشامل فى الشرق الأوسط خالية مع تطبيق ذلك على جميع دول المنطقة جميعـــاً دون تمييز فعـــلاً وليس قولاً وتطبيق ما يلزم وفقـــاً لقواعد القانون الدولى وميثـــاق الأمم المتحدة وجامعة الدول العربيـــة والوكالة الدولية للطاقة الذرية.

المصطلحات والتعريفات المرتبطة بمنظمات ووكالات الامم المتحدة:

مؤتمر الأمم المتحدة لنزع السلاح

United Nations Conference on Disarmament

سفير د. سامح أبو العينين

samehenein@yahoo.com

أولاً: تعريف المؤتمر

تأسس مؤتمر نزع السلاح فى عام 1979 كمنتدى متعدد الأطراف للتفاوض بشكل موحد على مستوى دولى فى شئون نزع السلاح.

جاء التأسيس ضمن أعمال الجلسة الخاصة الأولى لمؤتمر نزع السلاح المنعقد بعام 1978 بحيث يعمل على جمع الهيئات التى تتناول موضوع نزع السلاح ضمن مؤسسة واحدة ومنها: لجنة الأمم العشر لنزع السلاح ولجنة الأمم الثمانية عشرة لنزع السلاح.

بالرغم من الانفصال المؤسسى بين منظمة الأمم المتحدة ومؤتمر نزع السلاح إلا أن مدير عام مكتب جنيف للأمم المتحدة يعد أميناً عاماً لمؤتمر نزع السلاح، كما يتولى مهام مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة الخاص بشئون نزع السلاح.

ثانياً: أعمال المؤتمر

يتطرق المؤتمر من خلال أعمال المنظمة إلى تغطية مسائل وآفاق متعددة، بتناول بعض المهام التى قد تتجاوز المهمة الرئيسية التى تأسس المؤتمر بناءً عليها ومنها عشر مسائل رئيسية:

1 - جميع مجالات التسلح النووى.
2 - الأسلحة الكيميائية.
3 - أسلحة الدمار الشامل.
4 - الأسلحة التقليدية.
5 - خفض ميزانيات القوات المسلحة.
6 - خفض أعداد العاملين فى القوات المسلحة.
7 - نزع السلاح والتنمية.
8 - نزع السلاح والأمن الدولى.
9 - الجهود الدولية فى مجال بناء الثقة، وإجراءات الرقابة على النشاطات العسكرية بما يتوافق مع الاتفاقيات الدولية.
10 -وضع برامج شاملة لنزع السلاح على المستوى الدولى.

أمّا بالنسبة للأعمال الرئيسية فاتخذ قراراً بعمل المؤتمر فى مجالات سباق التسلح ونزع السلاح للأسباب والمهام التالية:

1 - وقف سباق التسلح النووى ونزع السلاح النووى.
2 - منع الحرب النووية، بما فى ذلك جميع المسائل ذات الصلة.
3 - منع حدوث سباق تسلح فى الفضاء الخارجى.
4 - اتخاذ ترتيبات دولية فعالة لتأمين الدول غير الحائزة للأسلحة النووية من استعمال الأسلحة النووية أو التهديد باستعمالها.
5 - الأنواع الجديدة من أسلحة الدمار الشامل والمنظومات الجديدة.
6 - البرنامج الشامل لنزع السلاح.
7 - الشفافية فى مسألة التسلح.

ثالثاً: عضوية المؤتمر

عند تأسيس مؤتمر نزع السلاح كان عدد الأعضاء 40 دولة عام 1978، تمت زيادة هذا العدد تدريجياً ليصل إلى 66 عضواً ثم عاد للتناقص ومؤخراً فى عام 2003 حيث تم حذف يوغسلافيا من عضويته.

عدد الأعضاء 65 عضواً، كالتالى: الجزائر، الأرجنتين، أستراليا، النمسا، بنجلاديش، روسيا البيضاء، بلجيكا، البرازيل، الكاميرون، كندا، تشيلى، الصين، كولومبيا، كوبا، كوريا الشعبية الديمقراطية، جمهورية الكونغو الديمقراطية، الإكوادور، مصر، إثيوبيا، فنلندا، فرنسا، ألمانيا، هنجاريا، الهند، إندونيسيا، إيران، العراق، إيرلندا، إسرائيل، إيطاليا، اليابان، كازاخستان، كينيا، ماليزيا، المكسيك، منغوليا، المغرب، ماينمار، هولندا، نيوزيلاندا، نيجيريا، النرويج، باكستان، البيرو، بولندا، جمهورية كوريا، رومانيا، روسيا الاتحادية، السنغال، سلوفاكيا، جنوب إفريقيا، إسبانيا، سريلانكا، السويد، سويسرا، سوريا، تونس، تركيا، أوكرانيا، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة الأمريكية، فنزويلا، فيتنام، زيمبابوى.

رابعاً: إنجازات المؤتمر

تمكن المؤتمر من تحقيق نجاحات كبيرة من بينها:

1- معاهدة منع التجارب النووية فى الفضاء الخارجى وتحت سطح الماء لعام 1963.
٢ - معاهدة منع الانتشار النووى لعام 1968.
3 -معاهدة الحد من التجارب النووية تحت سطح الأرض لعام 1974.
4 - معاهدة التفجيرات تحت سطح الأرض لأغراض سلمية لعام 1976.
5- وآخرها معاهدة منع كل التجارب النووية لعام 1997.

خامساً: سياسة المؤتمر

يستمد مؤتمر نزع السلاح أجندته من الحوار القائم بين الأعضاء فى الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد تلقيها مقترحاً من المؤتمر، وبالرغم من احتفاظ المؤتمر بنظامه الداخلى المنفصل إلا أن له علاقة خاصة بالأمم المتحدة، حيث يتم تمويله من الميزانية العادية للأمم المتحدة، كما تعقد اجتماعاته ضمن مقر الأمم المتحدة فى جنيف، وتتم متابعة أعمال السكرتارية بواسطة موظفى الممثل عالى المستوى للأمين العام للأمم المتحدة لشئون نزع السلاح، كما يقدم المؤتمر تقاريره الدورية للجمعية العامة كل عام.

لمزيد من المعلومات، يمكن الاطلاع على الرابط الإلكترونى للمنظمة:

www.unog.ch/cd

تناقض موقف العالم من التدخل التركى فى مناطق الاكراد

طوال التسعينات كنا نتحدث عن أول حالات التدخل الإنسانى فى تاريخ الإنسانية متجسدة فى حالة التدخل الدولى متعدد الجنسيات لأسباب إنسانية لحماية الأكراد فى العراق منذ عملية «تقديم الراحة» فى إبريل 1991 عندما أقامت قوات التحالف الدولى (ومكوناتها أساساً بريطانية وفرنسية وأمريكية) بإنشاء مناطق آمنة فى أقاليم تواجد الأكراد من خلال موافقة - يراها البعض ضمنية- من مجلس الأمن الدولى بقرار 688 على إنشاء منطقة حظر الطيران العراقى وهو إجراء تنفيذى ليس وارداً بالقرار لمنع الاعتداءات عليهم وتشريدهم، كما تواجدت قوات الإغاثة الدولية لتخفيف آثار الحصار عليهم.

السفيرة د.عبير بسيونى

abassiouny@hotmail.com

أما اليوم فيقف العالم ساكناً - وإن كان رافضاً- للتدخل الأحادى التركى لأسباب لا إنسانية لتشريد الأكراد فى سوريا للقضاء على القومية الكردية أقوى القوى المعارضة للنظام التركى. وغير خافٍ أنه عندما يتعلق الأمر بعلاقة السياسة الخارجية بحقوق الإنسان فإن مشكلة ازدواجية المعايير تظهر بشدة. فانتهاك حقوق الإنسان من الاتهامات الرئيسية التى توجهها الدول الغربية لأعدائها، بينما تختار السكوت عن انتهاكات حقوق الإنسان فى الدول الصديقة، وهذا التوجه لم ينته بانتهاء الحرب الباردة بل استمر وزاد مع زيادة آليات الدفاع عن حقوق الإنسان بإنشاء مجلس الأمم المتحدة لحقوق الإنسان فى جنيف عام 2006 من جهة وثورة تكنولوجيا المعلومات ووسائل التواصل الاجتماعى من جهة أخرى. وكما تنامت التدخلات الدولية فقد زادت صبغتها بالطابع الإنسانى ومسميات السلام حتى لو كانت لأغراض هجومية لتحريم ذلك فى ميثاق الأمم المتحدة، فالهجوم على الشعوب أصبح يتم تحت شعارات السلام كالعملية التركية المسماة «نبع السلام!». إن الأصوات الخافتة المدافعة عن سيادة سوريا، أو تلك الأعلى عن حقوق الأكراد، لا تتجرأ إلا أن تطالب بالعقوبات عن طريق العزل بدلاً من الأسلوب الأكثر فعالية والأسرع والمستخدم عادة مع العرب عن طريق الإحاطة والاحتواء خاصة وأنه لا يوجد من هو مستعد لتحمل أية خسائر - محتملة- مع طول الوقت الذى يتطلبه، أو ما قد يحتاجه من استخدام مصاحب للقوة العسكرية معها.

إننا أمام حالة فجة للمعايير المزدوجة لقومية واحدة (هى الأكراد ممن يبلغون قرابة الثلاثين مليون نسمة) يقع عليها انتهاكات لحقوق الإنسان من دولتين متجاورتين إحداهما (وهى العراق) تواجه حملة كبيرة لانتهاكاتها لحقوق الأكراد تصل للتدخل الدولى فى التسعينات، والأخرى (وهى تركيا) تشن حملاتها العسكرية داخل وخارج حدودها فى مواصلة هذه الانتهاكات لتصل لحالة اعتداء عسكرى وتدخل صريح فى أراضى دولة أخرى هى سوريا منذ 6 أكتوبر 2019، ويقف العالم مشدوهاً. كل ذلك يؤكد أن حقوق الإنسان يتم استخدامها كورقة ضغط فى السياسة الخارجية للحصول على تنازلات فى المقابل،

وهى سرعان ما تتوارى إذا ما ظهرت مصلحة اقتصادية مهمة وحيوية. والثابت الوحيد هنا أن تعامل تركيا مع الأكراد هو استخدام القوة الغاشمة مع إنكار على طول الخط لحقوقهم القومية فى أراضيهم أو التاريخية فى نسبهم وبطولاتهم، والأهم الإنسانية فى لغتهم وخصوصيتهم الثقافية والحفاظ عليها. وقد عانت الإنسانية من ضلالات والأخطاء التاريخية التى قام بها الترك فى الكرد. فعلى سبيل المثال لا الحصر نجد الكتابات التاريخية - والتى كُتبت بعد انتهاء السيطرة العثمانية على منطقتنا- تؤكد كردية «محمد على باشا الكبير- مؤسس مصر الحديثة، من خلال ما اعترف به أحفاده فيما بعد، ففى عام 1949 صرح حفيده الأمير محمد على - ولى عهد الملك فاروق ملك مصر آنذاك- لمجلة « المصور» المصرية فى مقابلة أجراها معه أديب مصر الكبير عباس محمود العقاد بأن جدهم محمد على باشا كردى الأصل، وتعود جذوره إلى مدينة ديار بكر عاصمة كردستان تركيا، وأكد ذلك أيضاً الأمير حليم أحد أحفاد محمد على باشا، وقد نُشرت هذه الاعترافات تحت عنوان «ولى العهد حدثنى عن ولى النعم...» (نشر فى مجلة المصور المصرية عام 1949 وذلك بمناسبة مرور مائة عام على وفاة مؤسس مصر الحديثة محمد على باشا)، وقد جاء فى متن المقال ما نصه: «الذى اطلعت عليه فى كتاب ألفه قاضى مصر على عهد محمد على أن أصل الأسرة من ديار بكر فى بلاد الأكراد، ومنه انتقل والد محمد على وإخوانه إلى (ميناء قولة، اليونان)، ثم انتقل أحد عميه إلى الآستانة، ورحل عمه الثانى فى طلب التجارة، وبقى والد محمد على فى مدينة قولة. وقد عزز هذه الرواية ما سمعناه منقولاً عن الأمير حليم (أحد أحفاد محمد علي) أنه كان يرجع بنشأة الأسرة إلى ديار بكر فى بلاد الأكراد». كما أنه كان من الملاحظ أن محمد على باشا اعتمد بشكل رئيسى على القادة الكرد فى تثبيت ولايته على مصر، وهذا يدل دلالة قاطعة على حبه لأبناء جلدته الكرد أولاً، ومدى الإخلاص والوفاء الذى اشتهر به الكرد ثانياً.

وقد عانت الإنسانية من ضلالات والأخطاء التاريخية التى قام بها الترك فى الكرد. فتعامل تركيا مع الأكراد هو إنكار على طول الخط لحقوقهم القومية فى أراضيهم أو التاريخية فى نسبهم وبطولاتهم، والأهم الإنسانية فى لغتهم وخصوصيتهم الثقافية والحفاظ عليها. وقد نبغت فى مصر شخصيات من أصل كردى كانت من رواد حركة الإصلاح والفكر والأدب والفن أمثال: مؤسس مصر الحديثة: محمد على باشا الكبير (يدعى الأتراك أنه تركى أو ألبانى الأصل)، محمد عبده، والمفكر قاسم أمين، والأديب عباس محمود العقاد، وأمير الشعراء أحمد شوقى، ونجيب الريحانى، والشاعرة عائشة التيمورية، والقاص محمود تيمور، والشيخ القارئ الشهير للقرآن عبد الباسط عبد الصمد، والفنانان التشكيليان أدهم ومحمد سيف وانلى، والفنانة سعاد حسنى وأختها الفنانة نجاة الصغيرة والفنان

تناقض موقف العالم من التدخل التركى فى مناطق الاكراد

رشدى أباظة وغيرهم كثيرون.

الأكـــراد قوميـــة يبلغـــون قرابة الثلاثين مليون نســـمة. تضاربت الآراء بشـــأن أصل الأكراد، والرأى السائد أن الأكراد ينتمون إلى الجنس الآرى سواء أكانـــوا آريين أصليـــن، أم من أقوام وجماعات أخرى قوقازية اســـتوطنت المناطق الجبلية بأرض كردستان التى تشمل شـــمال العراق، وجنوب شرق تركيا، وغرب إيران، وسوريا، وأراضى الكومنولث. ولغـــات الأكراد ذات أصل هندو- أوروبـــى ومعروفة فى العراق باســـم الكرمانجى، ومعظـــم الأكراد مسلمون حوالى 85٪ منهم سنة، وبهم شـــيعة، وديانات أخرى، ورغم اعتناق معظم الأكراد للإسلام، ومشاركتهم فى الفتوحات الإسلامية العربية، ودورهم التاريخى فى مواجهة الخطر الصليبى فى ظل القائد الكـــردى الأصل صلاح الدين الأيوبى، إلا أنهم اســـتمروا فى الحفاظ علـــى نقائهم العرقى، ولغتهم الكردية، وأسلوبهم فى الحياة، والأكراد حالياً موزعون على خمس دول، ويقع فى تركيا الجزء الأكبر من كردســـتان حوالى 194 ألـــف متر مربع 43٪ من مساحة كردستان ويوجد فيها الأغلبية الساحقة من الأكراد، حيث يصل عددهم لأكثر من 15 مليون كردى وينتشرون فى ثمانى عشـــرة ولاية مـــن الحدود الجنوبية المتاخمة لإيـــران وللعراق. أما فى العراق فمســـاحة كردســـتان تبلغ 72 ألف كـــم2 حوالى 18٪ من مساحة كردســـتان ويعيش فيها أكثر مـــن 5 ملايين كـــردى ويتركزون فى المحافظات الشـــمالية، فى السليمانية وأربيل وداهوك، ويشكلون نصف سكان محافظة كركوك، وينتشرون فى بغداد، ومحافظة العمارة، والكوت، وفى إيران تبلغ مساحة كردســـتان الإيرانية نحو 125 ألف كم (حوالى 31٪ من مساحة كردستان) ويقطنها أكثر من 6 ملايين نسمة وفى سوريا يزيد عدد الأكراد عن مليونى نسمة، وفى الاتحاد السوفيتى الســـابق توجد جماعات كردية بقرابة نصف مليون. ولقد ســـاعدت طبيعة كردســـتان الجبلية على ظهور إمارات متناحرة، كل منهـــا تحاول أن تتغلب على الأخـــرى، وغلب الطابـــع القبلى على الأكراد، ومن ثـــم افتقدوا لعنصر الوحدة، وتعـــددت إماراتهم فى القرن التاسع عشـــر. وأثناء الحكم العثمانى استمر زعماء قبائل الأكراد فى تصريف أمورهم، ولم يمارس العثمانيون سوى ســـيطرة محدودة غير مباشرة، وعقب هزيمة القوات المصرية بقيادة إبراهيم باشا أمام الأتراك العثمانيين فى حمص وحلب عام 1832 تمرد الأكراد بزعامة بدرخان ومحمد باشـــا ضد السلطان العثمانى، واحتلوا الســـليمانية وديار بكر، ولم يسترد الســـلطان المدينتين إلا عـــام 1836، وفى عام 1877 عاود الأكراد تمردهم بقيـــادة أبناء بدرخان وبمساندة روســـيا القيصرية، ولكن تمكن الســـلطان من إخماد هذا التمرد بعد تســـوية صراعه مع روسيا، وفى الحرب العالمية الأولى وبرغم اشتراك الأكراد فى القتال إلـــى جانب الدولة العثمانيـــة، إلا أن بعض القادة الأكراد شـــرعوا فى الاتصـــال ببريطانيا مع بدء مباحثات الترتيبـــات المقبلة فى الشرق الأوسط وتقسيم الإمبراطورية العثمانية (اتفاقية سايكس بيكو مايو 1916) لكسب تأييد الحلفاء لمطلبهم بإقامـــة «دولة كردية مســـتقلة»، لذا عملت بريطانيا على إنشاء دولة كردية، وكان أبرز مظهر لهذه السياســـة هو توقيعها على معاهدة سيفر فى 1920 لتنـــص فـــى مادتيهـــا 62، 64 على تشكيل لجنة من ثلاثة أعضاء تعينهم بريطانيا وفرنســـا وإيطاليا كى تعد خلال ستة أشهر من سريان المعاهدة مشـــروعاً للحكم الذاتى للمناطق ذات الغالبية الكردية شـــرق الفرات وعلى الحدود التركية- السورية، فإذا ما قرر ســـكان هذه المناطق لمجلس عصبة الأمم رغبتهم فى الاستقلال عن تركيا، فإنهم سيحصلون على هذا الاستقلال خلال عام من سريان المعاهدة، ولكن بريطانيا تراجعت عن هذه السياسة مع وصول «مصطفى كمال أتاتورك» إلى الحكم الذى منع تنفيذ هذا المشروع، وجـــاءت معاهدة لـــوزان عام 1923 خالية من أية إشـــارة لهذا المشروع، ثم عدلت بريطانيا عن تراجعها وهكذا ولعل ســـبب هذا التذبـــذب هو مرونة بريطانيا للتكيف مـــع تغير الظروف الدولية وعدم وجـــود زعيم كردى ذى نفوذ يركن إليه فى حراســـة مصالح بريطانيا فى كردستان الغنية بالبترول. وهى المشكلة القائمة إلى الآن فى عدم وجود زعيم كردى قـــادر على توحيد الموقف الكردى.

ذلك الطفل بالداخل

تبهرنا الاختراعات العلمية المتوالية، تتحقق بها الأحلام واحداً بعد الآخر، لا نكاد أن نستوعب أحدها أو نستهلك سلعة تطبقها حتى نسمع عن الجديد فى نفس المجال أو نحوه، ولا نلبث أن نصدق أن حلماً يتجسد حتى نرى معجزة جديدة، ليتضاءل حيز المستحيل ويتعاظم شأن الإنسان، ذلك المبتكر دون حدود المتطور دون انقطاع.

سفير د. هادى التونسي

arabemaluco@hotmail.com

- نبحث عن سبب لتسارع عجلة التطور المتزايد فى عالمنا المعاصر، هل هو تعليم ينمى العقل الناقد وملكات الدارس، أم هى ثورة معلومات فى عصر الحاسبات الإلكترونية، أم هى ثقافات تثرى الروح وتنير المستقبل، أم سياسات حكومات وشركات تشجع البحث العلمى، أم العائد المادى للمخترعين فى عصر العولمة وانفتاح الأسواق؟

- هو بالتأكيد كل ذلك، ولكن كيف يتأتى لأفراد دون نظرائهم فى نفس المجتمع أن يكونوا هم المبتكرين؟ هل السبب امتلاك الذكاء والعزيمة والتصميم وبذل الجهد المتفانى؟ هل هو الإيمان بالهدف والثقة بالنفس أو أن الحاجة أم الاختراع كما يقال؟ هى كلها دوافع وأسباب تمنح القوة لصاحبها، ولكنها قد لا تأتى بجديد دون فكر يتحدى المألوف أو إلهام يتجاوز المنطق، يتيحان لعوامل القوة والجهد أن تنتج اختراعاً علمياً أو إبداعاً فنياً.

- فمن هو إذن ممتلك الفكر المجدد وإلهام الحدس؟ وهل ذلك بالضرورة وليد ذكاء موروث أو فطرة جلب عليها الفرد؟ أم نتاج جهد فردى أحسن الإفادة من ظروف محيطة مواتية؟ وكيف يمكن للفرد أن يصل لتلك الحالة الذهنية المتميزة بالابتكار والإلهام؟

- لكل مجتمع عادات وتقاليد وموروث ثقافى واجتماعى ودينى يقرب المفاهيم ويشكل خلفية للقوانين والنظم وجزءاً من البناء النفسى والقيمى للفرد، يؤثر فى سلوكه وشعوره ودوافعه بحيث يوضع فى الاعتبار مع الحسابات العقلية والمنطقية لتجيء متفقة مع أرض الواقع، فتحقق الهدف وتتيح القبول الاجتماعى للفرد. لكن تملك ذلك الموروث من نفس الفرد دون

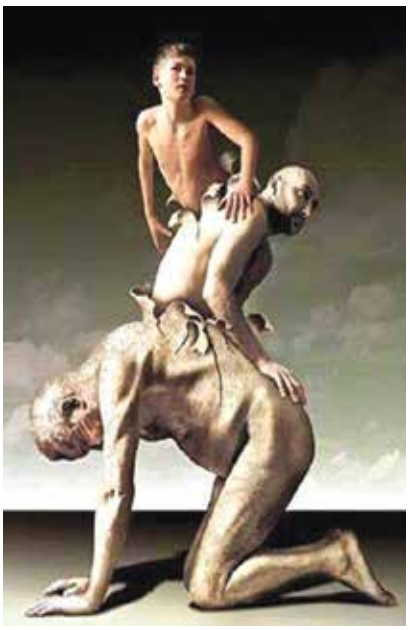

اقتناع حر بمضمونه قد يسفر عن جمود واغتراب أو توتر داخلى لا يقبل ما هو جديد، ويجعل حياة الفرد تقليدا لآخرين أو اتساقاً إجبارياً معهم ابتغاء المراضاة والقبول.

- هو جمود لا يسمح بالحياة للطفل بالداخل، ذلك الطفل المتميز بالحيوية والحرية والمرح والإلهام والتجدد والابتكار، والذى يعمل بانسجام بلا كلل إذا ما انطلق وأتيحت له الحرية والأمان دون خوف أو وصاية، يرى الأمور بعقل متفتح وفكر واعٍ دون تقيد بمسلمات منقولة إن لم يقبلها بفكر متحرر واثق ومسئول، حتى يكاد العمل أن يكون لعبة مثيرة تتملك الفكر والشعور والوقت، نتيجتها الإنجاز المبهر والتجديد المتواصل والإشباع النفسى وربما إثراء الصالح العام ومستقبل الأجيال .

- قد يسعدنا الحظ بتعليم متميز أو بظروف ثقافية وسياسية ومادية مواتية أن نطلق ملكاتنا وحوافزنا لنبتكر ونجدد، لكن الافتقار لبعض تلك العوامل لا يعفينا من مسئولية أن نعيش أنفسنا حقة أصيلة بفطرة سليمة وفكر متجدد وعقل مسئول متوازن متوافق وجهد فعال ومفيد .

- هى الشخصية التى تتيح للفرد حياة عالية القيمة توفر له السعادة والصفاء والتوافق والسلام، وتفيد مجتمعه بعمل مثمر وإنتاج متميز وعلاقات متحضرة مسالمة وإبداع ثقافى وعلمى، يدفع المجتمع للأمام.

فإن أردنا فليبدأ كل منا بنفسه.

الخطاب السياسى

ينظر إلى الخطاب Discourse بصفة عامـــة باعتباره منظومة من المفاهيم والمقولات النظرية حول جانب معين من الواقع الاجتماعى 1. وحتى لا يأتى الخطاب مجرداً أو بمعزل عن الواقع، لابد أن يتضمن فى سياقه ربطاً بين هذه المفاهيم أو المقولات النظرية وبين الحقائق المتجسدة على أرض الواقع والتى ترتبط بدورها ارتباطاً وثيقاً بالواقع الاجتماعى. وفى تعريف الخطاب السياســـى يرى ميشـــيل فوكو بأنه «مصطلح لسانى، يتميز عن نص وكلام وكتابة وغيرها بشكله لكل إنتاج ذهنى، سواء كان نثراً أو شـــعراً، منطوقاً أو مكتوباً، ذاتياً أو مؤسسياً.. وللخطاب منطق داخلى وارتباطات مؤسســـية، فهو ليس ناتجاً بالضرورة عن ذات فردية يعبر عنها أو يحمل معناها أو يحيل عليها، بل قد يكون خطاب مؤسسة أو فترة زمنية أو فرع معرفى ما 2.

ميسا جيوسي

حرم سكرتير أول جمال عطا

وينظر البعض، على غرار Sinclair 3، إلـــى الخطـــاب باعتبـــاره النص المنطـــوق spoken-text ويعتبرونه أمراً متمايـــزاً عن النـــص المكتوب written-text، كما يعتقد Halliday 4 أن تحليل الخطاب يختلف عن تحليل النص text analysis ويبنى رأيه على التفرقة بين دراســـة الإطار النظرى المعبر عن الخطاب وبين الأداء الفعلى للممارسة اللغوية.

إلا أن واقع الحال يثبت أن مصطلح الخطاب قد شهد تطوراً خلال العقود الماضية بحيـــث أضحى يعبر عن أى نص ســـواء كان منطوقاً أو مكتوباً أو مســـموعاً أو مرئياً، ويتبنى هذا الرأى Wetherell5و Potter، أخـــذاً فى الاعتبار أن التطور التكنولوجى الحالى أسفر عن سهولة فى استرجاع النص فى صـــوره المختلفة بل وتحويله من صورة إلى أخرى. إذ يمكن على سبيل المثال متابعة إلقاء الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش لأحد خطاباته على مواقع التواصـــل الاجتماعى مثل You Tube بصورة مرئية، مع متابعة النص المكتوب فى الوقت ذاته.

وفيما يتعلق بالخطاب السياســـى Political Discourse فيمكن النظر إليه كمـــا ذكـــر Van Dijk باعتباره المنتج الخطابى الصادر عن السياسيين المحترفين مثل رؤساء الدول ورؤساء الوزارات والـــوزراء وأعضاء البرلمان والأحزاب السياسية ويطلق عليهم Van Dijk الفاعلين Actors. 6

ويمكن التمييز بين السياســـيين المحترفيـــن وغيرهم بأنهـــم الذين يتقاضون مقابلاً مادياً أو راتباً للقيام بهذا النوع من النشاط السياسى أو يتم انتخابهم أو تعيينهـــم لهذا الغرض7 . وبصورة أخـــرى، يعبر Schaffner عن ذلك بقوله إن السياسيين لا يلقون خطاباتهـــم كأفراد، وإنمـــا كممثلين للأحزاب السياســـية أو الحكومات أو الدول 8.

ويعتبر التعريف الســـابق تعريفاً بســـيطاً وعملياً، على عكس غيره من التعريفات المغرقة فى الإســـقاطات النظرية، فضلاً عن أنه يحصر الخطاب فى إطاره السياسى بما يميزه عن غيره من أنواع الخطـــاب الأخرى كالخطاب القانونى أو الاجتماعـــى أو الطبى أو الإعلامى أو غيره.

ورغم أن السياســـيين المحترفين أصحاب الخطاب السياسى يعتبرون أحد الفاعلين الرئيســـيين فى مختلف الجوانـــب والتفاعـــلات المرتبطـــة بالخطاب السياســـى، إلا أنهم ليسوا الفاعل الوحيـــد. ويمكن توضيح ذلك من خـــلال الإشـــارة إلـــى أن عملية الخطاب فى حـــد ذاتها لا تختلف فى جوهرها وطبيعتها عن عملية التواصل Communication فالخطـــاب ليس إلا حدث تواصلى Communicative event تتضمن عناصـــره كما ينظر Holsti وCarney عناصـــر عمليـــة التواصـــل الثلاثـــة المختلفـــة التى تشمل المرســـل Sender والمستقبل Recipient أو Audience والرسالة محل التواصل Message 9.

ويطلق على عملية تحليل الخطاب الصادر عن السياسيين أو الذى يتضمن موضوعاً أو قضية سياسية Politics بكل ما تشـــمله هذه الكلمة من معان تحليل الخطاب السياســـى Political Discourse Analysis.

ويمكن النظر إلى الخطاب السياسى كمعبر عن منظومة القيم Values التى يروج لها أو يتبناها صاحب الخطاب السياســـى بالإضافة إلى الأيديولوجية التى يتبناها ملقى هذا الخطاب. ورغم أن مصطلـــح الأيديولوجية يرجع فى تاريخه إلى القرن الثامن عشـــر حين صكه الفيلسوف الفرنسى De Tracy

إلا أنه ما زال يكتنفه الغموض والجدل. وقد نظر De Tracy إلى الأيديولوجية كمعبر عن الكيفية التى نتحدث بها ونفكر ونجادل من خلالها، إلا أن النظرة الحالية للمفهوم تنبع من اعتبارها منظومة للمعتقدات والقيم تقع فى صميم رؤية الفرد للعالم وتحكم تفسيره للأحداث، كما تشكل أيضاً منظومة للرقابة على كافة الممارسات الاجتماعية للفرد. ويرى Van Dijk أن الخطاب يلعب دوراً رئيسياً فى التعبير عن الأيديولوجية بل وإعادة إنتاجها 10.

وتستهدف عملية تحليل الخطاب السياسى البحث عن الحقائق الضمنية وغير الصريحة الواردة فى الخطاب، دون أن يعنى ذلك أنها جاءت نصاً فى الخطاب السياسى، وكأن هناك تعمداً لإخفاء هذه الحقائق، باعتبارها كما ذكر Van Dijk تعبر عن حقيقة علاقات القوة داخل المجتمع وواقعه التاريخى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى، بحيث تؤدى عملية التحليل إلى إعادة تأطير Recontextualization للحقائق والمعانى الواردة صراحة فى الخطاب، ولا يمكن القيام بذلك إلا بدراسة الظروف المحيطة ببناء أو إعداد أو إنتاج الخطاب السياسى من حيث المشاركين فى إعداده أو صياغته أو إلقائه Participants وتاريخ الإلقاء Time ومكان الإلقاء Place وطبيعة الحدث الذى تم خلاله إلقاء الخطاب Encounters أو Events 11.

ويرى Wilson أن الهدف من عملية تحليل الخطاب السياسى هو البحث عن الوسائل التى يمكن من خلالها التلاعب بالخيارات اللغوية داخل النص فى سبيل تحقيق أثر سياسى معين12 . كما يرى Chilton وSchaffner أن تركيز عملية تحليل الخطاب السياسى الأساسى هو تقديم رؤية نقدية للاستخدام الإستراتيجى لمفاهيم ومصطلحات سياسية وردت فى الخطاب وتستهدف تحقيق تأثير سياسى معين13 . وهو أمر عبر عنه أيضاً Van Dijk باعتباره يستهدف البحث عن ظروف إنتاج أو بناء الخطاب السياسى من خلال الإجابة على الأسئلة المتعلقة بمن Who (منتج أو ملقى الخطاب) ومتى When (تاريخ إلقائه) وأين Where (مكان الإلقاء) وكيف How14 .

وتأسيساً على ما سبق، يمكن القول إن هناك مستويين رئيسيين لعملية التحليل الأول: تحليل النص Text والثانى: تحليل السياق Context. ويطلق على المستوى الأول الجزئى Micro15 وينصب فى الأساس على تحليل اللغة التى صيغ بها النص والمفردات المستخدمة وكيفية بدء وإنهاء الجمل والانتقال من موضوع إلى آخر داخل النص وكلها عناصر تندرج تحت مناهج التحليل اللغوى للخطاب أو اللسانيات Linguistics ويختص بدراستها اللغويون. وتجدر الإشارة إلى أن العلوم المرتبطة بدراسة اللغة قد بدأت من خلال دراسات عالم اللغويات الفرنسى De Saussure فى بداية القرن العشرين، إلا أن التعامل معها باعتبارها حقلاً رئيسياً من حقول العلوم الاجتماعية لم يبدأ إلا فى الخمسينيات والستينيات من القرن الماضى تحت تأثير عالم اللغويات الأمريكى الشهير Noam Chomsky 16. وقد أثرت الأفكار التى جاء بها Chomsky فى العديد من الحقول الاجتماعية، خاصة فى مجالات الإعلام والصحافة وعلوم الاتصال. وكمثال على التحليل اللغوى للخطاب، أشار الكاتب الصحفى البريطانى Robert Fisk فى هذا الشأن إلى تأثير ما أسماه Chomsky «العنصر البارز Foregrounded Element»، ويقصد به استخدام الكلمات الواردة فى النص بترتيب معين بحيث يؤدى إلى تغيير فى المعنى المقصود من النص، وكيف يمكن استخدام هذا التكنيك لتوصيل

رسالة معينة من خلال الخبر الصحفى .17

بينمـــا يطلـــق على المســـتوى الثانى المســـتوى الكلى Macro 18 ويســـتهدف هذا المســـتوى التعبير عن الواقـــع السياســـى والاقتصادى والاجتماعـــى الـــذى يتناوله الخطاب السياســـى. ويخرج التحليل الجزئى للخطاب السياسى من خلال المناهج اللغوية عن إطار هذا البحث، مع الإقرار أن التحليل الدقيق للخطاب السياسى يســـتلزم تكاملاً بين مستويى التحليل المشـــار إليهما، بحيث لا يأتى النص

متجرداً أو معزولاً عن سياقه التاريخى والسياسى والاقتصادى والاجتماعى.

وتجـــدر الإشـــارة هنـــا إلى أن الفيلسوف الفرنســـى Foucault قام بدراسة الخطاب السياسى من منظور واسع مرتبط أساساً بالتطور التاريخى للخطاب السياسى والقوة وللممارسات اللغوية فى مجتمع ما، وهو أمر يتجاوز نطاق هذا البحث.

وتنبـــع أهمية دراســـة الخطاب السياسى للرؤســـاء من الدور المهم الذى يضطلع به الرئيس فى كل دولة فى مجال السياســـة الخارجية. ومن الجدير القول بأن الخطاب السياســـى لم يحظ بزخم مناســـب فى الأدبيات العربية التـــى تناقش أهمية هذه الأداة من أدوات السياسة وأذرعها المهمة.

المراجع :

1 عبد العليم محمد، الخطاب الساداتى: تحليل الخطاب الايديولوجى للخطاب الساداتى (القاهرة: كتاب الأهالى، 1990)، 26.

2 ميشيل فوكو، نظام الخطاب،. ترجمة: محمد سبيلا)بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر، 1984)، 4.

3 John Sinclair. “Priorities in Discourse Analysis” in Advances in Spoken Discourse Analysis. ed.. Malcolm Coulthard (London: Routledge. 1992). 7988-.

4 Michael Halliday and Ruqayia Hasan. Language. Context. and Text: Aspects of Language in a Social-Semiotic Perspective (Oxford University Press. 1991). 24.

5 Jonathan Potter and Margret Wetherell. Discourse and Social Psychology: Beyond Altitudes and Behaviour (London: SAGE. 2005). 1.

6 Teun Van Dijk. “What is Political Discourse Analysis?”. 12 . http://www.discourses.org/OldArticles/What20%is20%Political20%Discourse20%Analysis.pdf accessed January 15. 2014.

7 Van Dijk. What is Political Discourse Analysis. 13.

8 Christina Schaffner. “Editorial Political Speeches and Discourse Analysis.” Current Issues in Language and Society. Vol. 3. No. 3 (1996): 201204-.

9 Thomas. F. Carney. Content Analysis: A Technique for Systematic Inference from Communications (Winnipeg: University of Mannitoba Press. 1972). 34; Ole R. Holsti. Content Analysis for the Social Sciences and Humanities (Reading. MA: Addison Wesley. 1969). 1.

10 Tuen Van Dijk. “Ideology and Discourse: A Multidisciplinary Approach”. 588 .6- on: http://www.discourses.org/UnpublishedArticles/Ideology20%and20%discourse.pdf accessed January 15. 2014.

11 Van Dijk. What is Political Discourse Analysis. 14.

12 John Wilson. «Political Discourse.» in The Handbook of Discourse Analysis. eds.. Deborah Schiffrin. Deborah Tannen and Heidi E. Hamilton (Blackwell Publishing. 2003). 398. 398416-.

13 Paul Chilton and Christina Schaffner. “Discourse and Politics.” in Discourse as Social Interaction. ed.. Tuen Van Dijk (London: SAGE. 1997). 210. 206230-.

14 Van Dijk. What is Political Discourse Analysis. 1415-.

15 Tuen Van Dijk. “Principles of Critical Discourse Analysis.” Discourse and Society. Vol. 4. No. 2 (1993): 251.

16 عبد العليم، الخطاب الساداتى، 55.

17 Robert Fisk. The Age of the Warrior: Selected Writings (London: Fourth Estate. 2008). 9697-.

18 Van Dijk. Principles of Critical Discourse Analysis. 257.

النسخة الثانية من بايدك 2019

أقامت مملكة البحرين معرض ومؤتمر البحريـــن الدولى للدفاع بايدك BIDEC 2019 فى نسخته الثانية، ويعد من أفضل المعارض العسكرية المتخصصة على مستوى منطقة الشرق الأوسط. وقد توج بجائزة أفضل معرض فى المنطقة لعام 2018، كأفضل معرض تجارى يقام على مساحة تزيد على 10 آلاف متر.

د. أحمد خميس

khamada1@hotmail.com

ويمثل بايدك كياناً وطنياً وعالمياً يـــروج لمنظومة التطوير الشـــاملة بالمملكة، وعلامة وطنية دولية الطراز من التميز والريادة، وفق حديث الشيخ عبد الله بن أحمـــد آل خليفة رئيس مجلس أمناء مركز البحرين للدراسات الإســـتراتيجية والدوليـــة والطاقـــة «دراسات» المتحدث الرسمى لمعرض ومؤتمر البحرين الدولى للدفاع رئيس اللجنة المنظمـــة لمؤتمر التكنولوجيا العسكرية فى الشرق الأوسط، خلال المؤتمر الصحفى الذى عقده بمركز البحرين الدولى للمعارض والمؤتمرات للإعلان عن تفاصيل معرض ومؤتمر البحرين الدولى للدفاع 2019.

وقد حددت البحرين مجموعة من الأهداف الإستراتيجية لبايدك، أبرزها: إعطـــاء الأولوية لتطويـــر وتحديث قدرات قوة دفـــاع البحرين، وتزويد قوة دفـــاع البحرين بأحـــدث أنظمة التسليح، واستعراض أحدث المعدات والتجهيزات والقدرات العســـكرية، وعرض الوســـائل الدفاعية والأسلحة المتطورة والتقنيات العسكرية البرية والجويـــة والبحرية. فضلاً عن تعزيز التحالفـــات الإســـتراتيجية مع دول العالم، إضافة إلى تطوير إستراتيجيات العمل المشـــترك لمواجهة التهديدات الأمنيـــة. وتعزيز دورهـــا الإقليمى والدولى فى حفظ الأمن والاســـتقرار ومكافحة الإرهاب والتطرف وتهديدات الأمن البحرى والحرب السيبرانية.

وقد عقد على هامش بايدك مؤتمر التكنولوجيا العســـكرية فى الشرق الأوســـط MEMTEC، الـــذى ناقش عدداً من المســـائل المهمـــة أبرزها: الوضع الحالى للتكنولوجيا العسكرية ومستقبلها، وإســـتراتيجيات الدفاع السيبرانى، وتأثير الذكاء الاصطناعى على وظائـــف الجيـــوش النظامية، واســـتخدام تلك التكنولوجيا لتطوير نماذج محـــاكاة للحـــرب، وتأثيرها على النزاعات الإقليمية، ومســـتقبل الصناعات العســـكرية فـــى منطقة الشـــرق الأوســـط. وقد أكد الشيخ عبد الله بن أحمـــد آل خليفة رئيس المؤتمـــر على أن المؤتمر ســـيبحث التقنيات الحديثة، مشـــيراً إلى أهمية اســـتخدام التكنولوجيا لإيجاد حلول مناســـبة وتأسيس شـــراكات، وأن البحرين تعمل كقوة من أجل السلام والتفاهم الدوليين، وتولى أهمية بالغة لدور التطور التقنى فى إرســـاء الأمن والاســـتقرار فى العالم بالتعاون مع الدول الشـــقيقة والصديقة. ويهدف المؤتمـــر إلـــى اســـتعراض التقدم والتطورات الجارية التى تشـــهدها منظومات الدفاع فى إعادة تشـــكيل الصراعات فى الشرق الأوسط.

ومن الجدير بالذكـــر، أن انعقاد هذا المعـــرض والمؤتمـــر فى هذا التوقيت، يحمـــل العديد من الدلالات، أبرزها: رغبة البحرين فى نقل رسالة إلى العالم بأنها رائدة إقليمياً، ولديها تجربة يمكن الاقتداء بها. وأنها تتابع عن كثب وتســـتفيد وتنمـــى قدراتها العسكرية بما يحفظ أمنها واستقرارها الداخلى، ويسهم فى نجاح دورها على المســـتويين الإقليمى والدولى. فقد عرضت لأول مـــرة ناقلة الجند فيصل التى تعد صناعـــة بحرينية 100٪، وتتمتع بالعديد مـــن المزايا، أهمها، ذات أربع كاميـــرات مراقبة، ونظام إطفـــاء حريق ذاتـــى، ودهان معوق للاحتراق، وقدرتها على الاستخدام فى الرصد والاستطلاع.

فضلاً عن أن ما تشهده المنطقة من اضطرابات متصاعدة، خاصة فيما يتعلق بالملاحة فـــى البحر الأحمر، والتهديدات الإيرانية فى هذا الشـــأن. فتسعى البحرين لإبراز دورها فى هذا الشأن.

ونشير فى تقييمنا لبايدك وممتك إلى أنهما ســـيكون لهمـــا تداعيات إيجابية على البحرين والمنطقة بشكل عام. فالصفقـــات التى أعلن عنها فى المعرض تمثل رسالة قوية بجاهزية قوات دفاع البحرين والرغبة والإصرار علـــى تحديثهـــا ومواكبتهـــا أحدث التكنولوجيات العالمية، على مستوى أمن البحرين داخليـــاً وخارجياً. أما فيما يتعلق بالمنطقة، فيمثل رســـالة بدور إقليمى متزايـــد للبحرين، ومن المتوقع أن يعـــزز من مكانة المملكة عالمياً. وهو ما عبـــر عنه فى مؤتمر MEMTEC.

نزع السلاح - نظرة من خارج الصندوق

قبل أن أبدأ فى كتابة هذا المقال واجب علىّ أن أعترف بأنه خلال مشـــوار عملى الدبلوماسى الذى امتد لأكثر من خمســـة وثلاثين عاماً لم أعمل يوماً فى قطاع نزع الســـلاح الذى عمل بـــه نخبة من أكفأ وألمع الدبلوماســـيين المصريين. وتجىء السطور التالية اجتهاداً للتفكير خارج الصندوق فى قضية شغلت الرأى العام وتؤثر بشـــكل كبير فى حياة الأمم وتوازنات القوى بينها وقـــد لا نبالغ أنه مع العصر النووى وعصر أسلحة الدمار الشامل على حياة الأمم واستمرار الحياة والحضارة كما نعرفها.

سفير محمد عبدالمنعم الشاذلى

وفكرة نزع الســـلاح موجودة فى التاريـــخ منذ وقت طويـــل ولعل أول إرهاصاتها كانت أمر بابا روما انيوسنت الثانـــى فى عـــام 1139 ميلادية بمنع استخدام الأسلحة القاذفة مثل الأقواس الرامية للســـهام والأقـــواس الصليبية Cross bows والمقاليع Sling shots ضد القـــوات المســـيحية. إلا أن الأمر البابوى لم يمنع استخدام هذه الأسلحة الفتاكة بمقاييس زمانها وفضل الملوك ضمان النصر فـــى الميدان على إرضاء الـــرب وبابا روما فقـــد كانت الأقواس الطويلة Long bows هى سلاح الحسم الذى حقق النصـــر للجيش الإنجليزى فى معركتـــى crecy عـــام 1346 و Agincourt فـــى عـــام 1415 على الجيش الفرنســـى فى حرب المئة عام رغـــم التفوق العـــددى الكبير للجيش الفرنســـى. أما فى العصر الحديث فإن الخطوات الأولى فى نزع الســـلاح بدأت فى أعقاب الحرب العالمية الأولى ليس بسبب الخسائر الهائلة فى الأرواح التى نجمت عنها فإن تاريخ أوروبا شـــاهد على حـــروب أكثر دمويـــة مثل حرب الثلاثين عاماً 1618 ـ 1648 التى يقدر بأن أوروبا فقدت أكثر من عشر سكانها خلالها إضافة إلى الحروب النابوليونية التى كانت الخسائر البشرية فيها فادحة إلا أن كابوس الحـــرب العالمية الأولى أدرك معه البشـــر أن التقـــدم التقنى الناتج عن الثورة الصناعية والمقدر له أن يزداد ويصير أكثر تقدماً قادر على توفير الرفاهية والسعادة البشرية إلا أنه إذا خرج عن السيطرة فيمكنه أن يدمر الحضارة والحياة على الأرض. وأسهمت الأســـلحة الجديدة التى استمرت لأول مرة فى مسارح الحرب العالمية الأولى قبل الطيـــارات والدبابات والغواصات والغازات الســـامة فى إدراك الساســـة والمفكرين لهذه الحقيقة المزعجة ولعل أكثر الأســـلحة مهابة التى تعكس أثر الثورة الصناعية والتكنولوجية فى مجال الســـلاح كانت البطرج الحديدية ذات الأبراج الـــدوارة الحاملة للمدافع كبيرة العيار طويلة المـــدى التى أطلق عليها اسم الســـفينة الحربية الأولى من هذا الطراز التى دشـــنتها بريطانيا فى عام

1906 وهى السفينة Dread naught والتى نقلت الحرب البحرية نقلة نوعية هائلة وجعلت جميع الأساطيل الحربية القائمة قبلها تراثاً قديماً لا قيمة عسكرية له وتسببت فى تسابق بين بريطانيا التى كان عليها إعادة بناء قوتها البحرية من الصفر وبين ألمانيا الطامحة فى التنافس على سيادة البحار. وكان هذا السباق من الأسباب الرئيسية فى نشوب الحرب العالمية الأولى ومن ثم كانت اتفاقية واشنطن البحرية عام 1922 لكبح جماح التسابق فى التسلح البحرى وحدت الاتفاقية حمولة البوارج بـ35 ألف طن وحددت أعيرة مدفعيتها الرئيسية بـ16 بوصة كما وضعت نسبة لحمولات الأساطيل الحربية للدول الكبرى السائدة فى هذا التوقيت وهى بريطانيا والولايات المتحدة واليابان وفرنسا وإيطاليا لتكون 5 إلى 5 إلى 3 إلى 1.75 إلى 1.75 ويلاحظ أن الاتفاقية لم تذكر ألمانيا المهزومة فى الحرب والتى حرمت عليها اتفاقية فرساى امتلاك قوة بحرية كما لم تذكر روسيا التى كانت تعتبر فى هذا الوقت قوة مارقة جيشت الجيوش الإمبريالية لضرب ثورتها الشيوعية وكانت مشغولة بحربها الأهلية.

وعندما تغيرت الظروف الدولية تحدت ألمانيا الحلفاء ومزقت اتفاقية فرساى وشرعت فى بناء قوتها البحرية وانسحبت إيطاليا واليابان من الاتفاقية فى عام 1936 وقويت شوكة الاتحاد السوفيتى وشرع فى بناء أساطيله.

وكان المجال الثانى الذى بدأت فيه إرهاصات نزع السلاح فى العشرينات من القرن الماضى هو المجال الذى أصاب البشرية بالرعب خلال الحرب العظمى وهو الغازات السامة التى كانت الكابوس المخيم على الجنود فى الخنادق فتم فى عام 1928 توقيع اتفاقية جنيف لمنع استخدام الأسلحة الغازية والكيماوية والجرثومية.

ومع منتصف الثلاثينات ومع انهيار النظام الدولى قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية انهارت هذه الاتفاقية ولحقت باتفاقية واشنطن البحرية واندلعت الحرب العالمية الثانية بما فيها من ويل ودمار وضحايا إلا أن كل هذه الويلات توارت خلف سحابتى عش الغراب المظللتين على مدينتى هيروشيما ونجازاكى ورغم هول التجربة وإدراك الإنسان أن حياته وحضارته وكوكبه مهددون إلا أن سباقاً محموماً للتسلح النووى انطلق تحت عباءة الحرب الباردة.

واشتد السباق على امتلاك أسلحة يوم القيامة فسرعان ما فجر الاتحاد السوفيتى قنبلته الذرية الأولى فى أغسطس من عام 1949 تلته بريطانيا فى أكتوبر من عام 1950 ثم فرنسا فى عام 1960 واتسع نطاق السلاح الذرى فدخل هذا النادى المشئوم الصين والهند وباكستان وإسرائيل وجنوب إفريقيا وتتسابق دول عديدة رغم الضغوط لدخوله مثل إيران وكوريا الشمالية ولعل هناك المزيد يعملون فى صمت دون صخب إعلامى.

ومع زيادة الانتشار كانت هناك أيضاً زيادة هائلة فى قدرات الأسلحة النووية بدأت مع تفجير الولايات المتحدة لأول قنبلة هيدروجينية فى نوفمبر 1952 تلاها فى نفس الشهر من العام التالى 1953 الاتحاد السوفيتى وبعد أن كانت قوة القنابل تقاس بالكيلو طن باتت تقاس بالميجا طن.

مِقذاف ضرب المجانيق

وزاد الأمر خطورة التطور الهائل فى نظم الإيصال Delivery systems من صواريخ عابرة للقارات تحمل رؤوساً نووية متعددة مستقلة التوجيه ((Mirv Multipl independenly targeted Reentry vehicles والغواصات حاملة الصواريخ النووية التى تعطى الاعتقاد الزائف بالقدرة على توجيه ضربة ثانية .second Strike capability

ازدادت مخاوف الشعوب من أخطار الحرب النووية وكان الوعى أكبر بين العلماء والمثقفين وبتاريخ الخامس من إبريل عام 1955 كتب الفيلسوف الشهير برتراند رسل الحاصل على جائزة نوبل عام 1950 رسالة إلى عالم الفيزياء الأشهر ألبرت أينشتاين يطلب فيها مشاركته فى تكوين جبهة من الشخصيات العامة للتحذير من أخطار الأسلحة النووية، ورد أينشتاين مرحباً بالفكرة إلا أن أينشتاين مات يوم 18 إبريل أى بعد أقل من أسبوعين من تلقيه الرسالة، واستمرت جهود برتراند رسل فصدرت فى يوليو 1955 وثيقة رسل أينشتاين وتحمل توقيع ستة من كبار العلماء تدعو إلى وقف التسلح النووى وتم إرسال صور منها إلى حكومات الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والصين الشعبية وفرنسا وكندا.

وفى يوليو من عام 1957 وبحضور

نزع السلاح - نظرة من خارج الصندوق

22 من كبار العلماء عقد فى مدينة باجواش Pugwash الكندية التى أعطت اسمها لجبهة المحذرين من أخطار التسلح النووى أول اجتماع للجبهة التى توالت اجتماعاتها وزاد ثقلها الأدبى والمعنوى حتى حصلت على جائزة نوبل للسلام فى عام 1997.

أدت زيادة الوعى بخطورة السلاح النووى إلى توقيع اتفاقية منع الانتشار النووى التى دخلت حيز التنفيذ عام 1970.

تبع ذلك اتفاقيتا salt – 1 التى وقعت فى عام 1972 بين الرئيس السوفيتى برجنيف والرئيس الأمريكى كارتر من أجل تحديد خطر الصواريخ الباليستية طويلة المدى والتى عدلت باتفاقية SALT – 2 فى عام 1979 ثم تبعتها اتفاقية START بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى نهاية عام 1991.

لم تحقق هذه الاتفاقيات نجاحاً عملياً يذكر إلا تأكيد احتكار الدول الكبرى لأسلحة الكبار وفشلت فى مهمتها بمنع الانتشار وما لبثت أن انضمت للنادى النووى والصاروخى الصين والهند وباكستان وإسرائيل وجنوب إفريقيا وكوريا الشمالية وعجزت الاتفاقية عن معالجة ذلك بل إنها أوضحت أن من يمتلك القوة قادر على امتلاك ما يريد امتلاكه وأظهرت النفاق السياسى وازدواجية المعايير فعندما تنازلت جنوب إفريقيا عن ترسانتها النووية فى

لوحة الجورنيكا للفنان بيكاسو

نهاية حكم النظام العنصرى فعلت ذلك دون رقابة دولية ولا أحد يعلم أين ذهبت أسلحتها النووية التى يرجح أنها ذهبت لإسرائيل بعكس ليبيا التى تم تفكيك ما امتلكته من إمكانات مبدئية تحت رقابة دولية صارمة.

فى الوقت الذى حافظت فيه الدول النووية على ترساناتها بقنابلها وصواريخها دون رقابة بدأت فى الضغط على باقى الدول من أجل كبح إمكاناتها العسكرية بتحرير سلسلة من الاتفاقيات مثل اتفاقية منع استخدام الأسلحة البيولوجية عام 1975 ومنع استخدام الأسلحة الكيماوية عام 1997 واتفاقية تحريم الألغام الأرضية عام 1997 واتفاقية منع انتشار الأسلحة الصغيرة عام 2013.

والغريب أن الدول الكبرى هى أول من ينتهك اتفاقيات نزع السلاح ففى عام 1967 دخلت اتفاقية منع تسليح الفضاء الخارجى وفى عام 1984 أعلن الرئيس الأمريكى رونالد ريجان مبادرة الدفاع الإستراتيجى (Strategic Deffenc initiative (SDI التى عرفت باسم حرب النجوم من أجل وضع منظومة عسكرية فى الفضاء.

وأخيراً فى أغسطس من العام الحالى 2019 أعلن الرئيس دونالد ترامب إنشاء قيادة عسكرية للفضاء لم يؤد انهيار الاتحاد السوفيتى وحل حلف وارسو إلى حل مقابل لحلف شمال الأطلنطى أو على الأقل تقليص نشاطه لكنه على العكس توسع شرقاً وضم العديد من الأعضاء السابقين فى حلف وارسو المنحل واستمرت القوى العظمى فى تطوير أسلحة أكثر تقدماً وأكثر فتكاً.

إن جميع اتفاقيات الحد من التسلح صدرت عن مبادرات من الدول الكبرى وباستعراضها واستعراض نتائجها نجد أن الغرض منها ليس تحقيق الأمن للجميع بمستوى أقل من الأسلحة الفتاكة كما هو الشعار المطروح لفلسفة نزع السلاح المعلنة ولكنه الحفاظ على الهوة السحيقة بين الأقوياء والضعفاء وإعطاء التأشيرة لمن يحظى بالقبول لدخول نادى الأقوياء رغم القوانين الدولية التى انتهكتها إسرائيل والصين والهند وباكستان وكوريا الجنوبية بامتلاكها السلاح النووى إضافة إلى جنوب إفريقيا العنصرية التى صنعت السلاح النووى وسمح لها بالتخلص منه دون رقابة دولية ويرجح أنه نقل لإسرائيل ولعل من أكثر ما يظهر المعايير المزدوجة فى نزع السلاح هذه الضغوط التى تمارس لانضمام الدول لمعاهدة تحريم الألغام الأرضية فى حين أن الفكر لم يطرق إلى تحريم القصف الجوى للمدن.

لقد كانت إيطاليا السباقة إلى استخدام الطائرات لإسقاط القنابل على ثوار ليبيا بقيادة عمر المختار فى عام 1911 ثم استخدمت الطائرات فى الحرب العالمية الأولى بضرب

الهجوم النووى الأمريكى على هيروشيما

أهداف حربية فى جبهات القتال، أما أول استخدام واسع لقصف مساحات Carpet Bombing فقد استخدمته بريطانيا ضد ثوار العراق عام 1920 والذى أدى إلى قتل عشرين ألف عراقى وكانت المرة الأولى التى يقصف بها الغاز السام من الطائرات.

وكانت المناسبة الثانية التى استخدم فيها القصف الجوى فى الحرب الأهلية الأسبانية حيث قام سرب الـCondor أو النسر التابع لألمانيا النازية بقصف قرية جورنيكا Guernica مما أدى إلى مقتل 200 مدنى ورغم رحيل عشرين ألف عراقى بهدوء جراء القصف الجوى البريطانى عام 1920 إلا أن مقتل 200 أسبانى جراء القصف الألمانى صاحبه صخب كبير إذ عبئت الآلة الإعلامية للحلفاء لإدانة القصف الجوى ومقتل مدنيين وكلفت حكومة الجمهورية الأسبانية الفنان الكبير Pablo picaso لرسم لوحته الشهيرة جورنيكا لتعرض فى معرض باريس الدولى عام 1937 لتوضح بربرية القصف الجوى للمدنيين.

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية لتكشف عن مدى جبروت القصف الجوى للمدن.

استهلت ألمانيا القصف لبريطانيا فى بداية الحرب بما أسمته بريطانيا الـ2 - BLIt الذى استمر من سبتمبر 1940 إلى مايو 1941 أى حوالى ثمانية شهور قتل خلالها 43 ألف مدنى إلا أن الحلفاء انتقموا أشد الانتقام فى الشهور الأخيرة من الحرب ففى مقابل الأربعين ألفاً الذين قتلوا خلال ثمانية شهور أدى قصف هامبورج فى ليلة واحدة من شهر يوليو 1943 إلى قتل خمسين ألف مدنى كما أدى قصف مدينة درسون فى ليلة واحدة من فبراير 1945 إلى قتل خمسين ألفاً آخرين فضلاً عن قصف طوكيو بالقنابل الحارقة فى شهر مارس 1945 التى أسفرت عن مقتل أكثر من مائة وعشرين ألف مدنى والتى تبعها القصف الجوى لهيروشيما بالقنبلة الذرية يوم 6 أغسطس 1945 الذى أسفر عن مقتل 120 ألف مدنى وناجازاكى يوم 9 أغسطس الذى أسفر عن مقتل ثمانين ألف مدنى.

وكان المخططان الرئيسيان لحملات القصف الجوى لألمانيا واليابان وهما أكبر مجرمى حرب فى العصر الحديث هما الجنرال الأمريكى Curlis lemey الذى قال إن الضحايا من المدنيين لا يزعجون ضميره لأننا لا نحارب جيشاً لكننا نحارب دولة بشعبها. وقال إن أكثر ما يحد من فاعلية الجندى فى الحرب هو قلقه على أسرته التى تتعرض للقتل فى الوطن. وكذلك قائد القوات الجوية البريطانى مارشال الجو Arthor Harris الذى خطط حملة القصف الجوى لألمانيا وقد شارك فى القصف الجوى لثوار العراق عام 1920 واستمر القصف الجوى الوحشى الأمريكى فى حروبها اللاحقة فى كوريا وفيتنام وأفغانستان والعراق إضافة إلى ما قامت به إسرائيل فى حرب الاستنزاف وفى غزة وفى لبنان.

رغم هذا لم يطرح أحد معاهدة لتحريم القصف الجوى بدلاً من الحديث عن منع الألغام الأرضية والأسلحة الصغيرة رغم أن من زرعوا الألغام فى الصحراء الغربية ويطالبون شعوب العالم بتحركها لم يتحركوا لنزع ما زرعوه.

أخيراً فإن الولايات المتحدة التى تدعى التفوق الأخلاقى وتبرر حملتها لنزع أسلحة دول العالم لتبقى الوحيدة المدججة بالسلاح وتبرر ذلك بأن الديمقراطيات تضع ضوابط لا تنصرم على ترساناتها من الأسلحة التقليدية وأسلحة الدمار الشامل هى الدول التى استخدمت كل أسلحة الدمار الشامل من القنابل الذرية فى اليابان والأسلحة الكيماوية فى فيتنام باستخدام ما أطلقت عليه Agent Orangc الذى أصاب أجيالاً من الفيتناميين والجنود الأمريكيين الذين تعاملوا معه والغازات السامة وعملية Tailwind فى لاوس والأسلحة البيولوجية فى حرب ضد الهنود الحمر بنشر جراثيم الجدرى بينهم.

لكنه حكم القوى الذى يريد أن يدجج نفسه بالسلاح وينزع سلاح باقى الشعوب ليحرمها من أية قدرة على المقاومة.

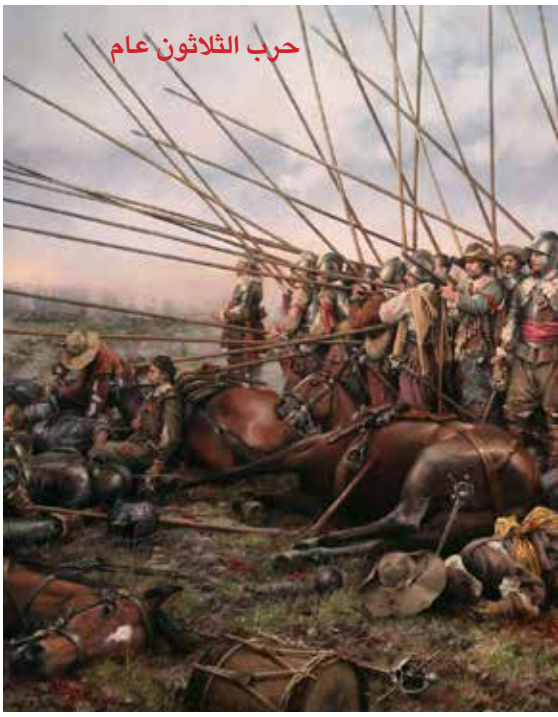

سد النهضة الاثيوبى وتاثيره السلبى على مصر و السودان

وضع رئيس وزراء إثيوبيا السابق ميليس زيناوى فى إبريل 2011 حجر الأساس لبناء سد النهضة الإثيوبى الكبير، الذى تقيمه شركة سالينى الإيطالية المتخصصة فى بناء السدود، والذى بدأ بسعة 14 مليار م3 مياه، ثم ازداد إلى 34 مليار م3 ثم أخيراً إلى 74.5 مليار م3 مياه سعة تخزينية وحجم بحيرة قد يصل بسبب التربة البازلتية والفوالق الأرضية إلى 100 مليار م3. ويقع تشييد السد فى منطقة بنى شنقول على بعد 20 كيلو متراً من نهاية الحدود الإثيوبية مع السودان على ارتفاع 600 متر عن مستوى سطح البحر (وجدير بالذكر أن هذه المنطقة كانت ضمن الأملاك المصرية خلال القرن 19).

والسد فى الواقع يقام فوق منطقة تغلب عليها الصخور المتحولة بسبب انتشار التربة البركانية البازلتية سهلة التعرية فى حالة الأمطار الغزيرة، الأمر الذى يجعلها ضعيفة هندسياً لتحمل إقامة سدود عملاقة خاصة وأنه يقام على جزء من الأخدود الإفريقى العظيم وما يسببه هذا الأخدود من تشققات وفوالق ضخمة ونشاط بركانى وزلازل سوف تؤثر حتماً بالسلب على مشروع السد بعد بداية تخزين المياه أمام جسم السد. وبما لها من آثار ضارة نتيجة ضغط المياه المتزايد على التربة والفوالق الأرضية، حتى مع افتراض إقامة ثلاثة سدود أمامه (وهى كارادوبى، ومندايا، وبوكو أوبو) لمنع الإطماء، أى أن السعة التخزينية الإجمالية للسدود الأربعة قد تصل إلى 250 مليار م3 من المياه.

هذا ويبلغ ارتفاع السد 170 متراً وبعرض 1800 متر، ومحطتان لتوليد الطاقة الكهربائية تبلغ 6400 ميجاوات طبقاً لآخر تعديلات فى 2017 (بتمويل البنوك الصينية). ويؤكد خبراء السدود والجيولوجيا أن الأخدود الإفريقى العظيم يمتد داخل الهضبة الإثيوبية بمسافة 560 كيلو متراً، وأن منطقة بناء سد النهضة والسدود الثلاث الأخرى أمامه تقع فى قلب منطقة الفوالق والزلازل والدوائر البركانية، وفى حالة الضغط عليها بأحمال غير طبيعية سواء من المياه المتراكمة المقرر تخزينها والتى تصل بعد الملء للسدود الأربعة إلى 250 مليار م3 مياه، بالإضافة إلى حوالى 136 مليون طن من الطمى المفتت من الصخور البركانية التى تمتاز بها التربة البركانية لمعظم هضبة الحبشة، الأمر الذى يؤدى قطعاً إلى انهيار السد.

سفير د .عادل السالوسي

dr.adelelsaloussy@hotmail.com

أولاً: مبادىء تنظيم الانتفاع بمياه الأنهار الدولية:

مفهوم مبدأ عدم الإضرار كأحد أهم الضوابط الموضوعية لإقامة المشروعات المائية على الأنهار الدولية:

1 - نشأت قواعد القانون الدولى للمياه، فى رحم الممارسات العملية والعرفية للدول النهرية على مستوى الأحواض الدولية منذ قرون خلت، وأصبحت قواعد قانونية ملزمة ومستقرة فى وجدان وضمير الجماعة الدولية. وتهدف هذه القواعد إلى تنظيم العلاقات بين دول الحوض الواحد فى شأن عمليات استخدام وتقاسم مياهه، وتلعب الضوابط الموضوعية دوراً مهماً فى ضمان تحقيق الاستخدام الأمثل والمنصف لمياه المورد المائى المشترك وتتمثل أهم هذه المبادئ فى مبدأ عدم الإضرار.

2 - هذا ويعتبر مبدأ عدم الإضرار من المبادئ الجوهرية فى مجال استخدامات مياه الأنهار الدولية، حيث بات مستقراً وتم إقراره فى العديد من الإعلانات والمواثيق والاتفاقيات الدولية. ومن الثابت أن هناك قاعدة قانونية قديمة استقرت فى القانون الرومانى نصها «استخدم ما هو لك دون الإضرار بالآخرين».

3 - ويعرف الضرر بأنه: انتهاك لحق قانونى، أو مادى بحق أو مصلحة مشروعة لأحد أشخاص القانون الدولى. وتدخل الدولة فى نطاق المسئولية متى تسببت فى إحداث ضرر، بحيث يترتب على هذا الضرر إنقاص لنصيب دولة متشاطئة من دول الحوض للمياه، أو ينتج عنه إحداث نقص فى كمية المياه المتدفقة نحو بقية الدول المتشاطئة.

4 - كما جاء مفهوم الضرر فى مؤتمر دوبروفنيك عام 1956 باستخدام مصطلح الضرر الكبير substantial harm خاصة فى موضوع الحديث عن التأثيرات البيئية الضارة.

5 - ووصف الفقيه أندراسى الضرر بالخطير عندما قام بصياغة المادة الرابعة من قواعد سالزبورج عام 1961 خلال اجتماعات مجمع القانون الدولى حيث أشارت إلى النص على مبدأ عدم إحداث الضرر بصورة عامة، وانتهى المجمع إلى استخدام وصف خطير serious كوصف للضرر.

6 - كما تجئ قواعد هلسنكى عام 1966 لتشمل الإنجاز الرئيسى من حيث الابتعاد عن مفهوم السيادة المطلقة لاستخدام مياه النهر (نظرية هارمون)، والاتجاه نحو الاعتراف بالشمولية المشتركة للدول المشاطئة. وهو ما أقرته لجنة القانون الدولى خلال اجتماعها فى هلسنكى عام 1966 وتوصلت إلى مجموعة من المبادىء المهمة والرئيسية منها:

- الانتفاع بمياه النهر على نحو معقول وعادل.
- عدم التسبب فى ضرر جوهرى.
- الالتزام بالتعاون بين الدول النهرية.

7 - ويتبين لنا مما سبق أن الممارسات الدولية قد كشفت عن تبنى مبدأ عدم إحداث الضرر، فى العديد من الممارسات والمواقف الدولية على كافة المستويات، مما يؤكد ثبات واستقرار هذا المبدأ باعتباره من المبادئ الرئيسية فى القانون الدولى للمياه، وباعتباره من الضوابط التى تحكم استخدام دول الأحواض المشتركة لمياه الأنهار الدولية.

8 - كما أن الثابت أن الوثيقة الصادرة عام 2007 عن الاتحاد الإفريقى والتى أطلق عليها الخطوط التوجيهية، وكانت تهدف إلى وضع الخطوط العريضة لأية اتفاقية يتم إبرامها فى المستقبل داخل القارة الإفريقية بشأن الإطار التعاونى للإدارة المتكاملة للأحواض العابرة للحدود (الأنهار الدولية التى تعبر أكثر من دولة)، حيث تبنت مبدأ عدم إحداث الضرر فى مجال استخدامات مياه الأنهار الدولية.

ثانياً:مبادىء الأمم المتحدة من خلال اتفاقية 1997:

أ.وهى الاتفاقية الخاصة التى أقرتها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى عام 1997 باستخدام المجارى المائية فى غير الأغراض الملاحية وذلك عن طريق تطوير تلك القواعد لتشمل مسئولية الدول فى الحفاظ على نوعية المياه، وليست كميتها فقط، وتطوير مبادىء ارتكز عليها القانون الدولى المتعلق بالأنهار الدولية حيث شملت المفاهيم الجديدة والمعرفة التى أتيحت للبشرية خلال فترة الثلاثين عاماً التى تلت الاتفاق على قواعد هلسنكى فى 1966 فى مجال البيئة والمناخ، والتنمية، وجدلية العلاقة بين هذه العناصر، وخاصة بعد مؤتمر قمة الأرض فى ريو دى جانيرو 1992، وإعلان أجندة القرن 21 للتنمية المستدامة ومن أهم هذه المبادئ:

1.حق دول المصب فى تسلم إشعار مسبق عن مشاريع الموارد المائية.

2.الدخول فى مفاوضات قبل البدء فى مشاريع على المجارى المائية.

3.منع الأعمال التى تسبب أضراراً كبيرة Significant Harm .

4.الاعتراف بالسبق الزمنى فى استخدام المياه (الحقوق التاريخية المكتسبة).

5.الحق فى الاستخدام المعقول والمنصف.

6.مبدأ عدم التعسف فى استخدام الحق (استخدم ما لك من حق دون الإضرار بالغير).

7.منع تلوث الموارد والمجارى المائية.

8.تطوير وسائل حل المنازعات بين الدول حول الموارد المائية.

ب.هذا وقد غلبت المادة الثالثة من الاتفاقية الرأى بأن الاتفاقيات السابقة أى القائمة حالياً قبل اتفاقية الأمم المتحدة لعام 1997 لا يمكن لها أن تتأثر بأية قواعد جديدة فى الاتفاقية الإطارية الجديدة.

ج.وحينما ثار انقسام جديد خلال مراحل الاتفاقية الجديدة بين دول المنبع والمصب حول مبدأ الاقتسام المنصف والعادل للمياه وعلاقة ذلك بمبدأ أو قاعدة عدم الإضرار، حيث أن مبدأ عدم الإضرار بالدول النهرية الأخرى يعد قيداً كابحاً لمبدأ الاقتسام المنصف والعادل لمياه المورد المائى، وقد أصرت دول المنبع أن يكون الضرر جسيماً لكى تطبق قاعدة عدم الإضرار، وتمسكت فى الوقت ذاته دول المصب أن يكون الضرر البسيط الذى يمكن أن يحدث نتيجة لإنشاء المشروعات التنموية على مجرى حوض النهر الدولى يكفى لكى يتم تطبيق قاعدة عدم الإضرار.

د.كما تقدم مندوب اليابان ياماها خلال اجتماعات المؤتمر بحل توفيقى وهو الضرر الجوهرى والذى يصيب مصلحة جوهرية لدولة نهرية أخرى بسبب مشروع قامت به دول أخرى، ولذلك يجب أن يكون هناك إخطار مسبق لدول المصب لإعطاء فرصة للتشاور ودراسة المشروع قبل البدء فيه.

هـ.وقد أشارت لجنة القانون الدولى

مينليك الثانى امبراطور اثيوبيا

سد النهضة الاثيوبى وتاثيره السلبى على مصر و السودان

المنبثقة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة صراحة إلى مبدأ التعويض إذا تسببت دولة نهرية فى ضرر لدولة أخرى.

ثالثاً: حقوق مصر التاريخية من واقع الاتفاقات الدولية:

1.بمـــا أن الأنهار الدولية تســـتخدم فى العديد من الأغـــراض، باعتبارها أحد المصادر الرئيســـية للحصول على المياه الصالحة للشرب والزراعة وتوليد الكهرباء، فضلاً عن كونها مصائد للأسماك، بالإضافة إلى الملاحة، واســـتخدامها كطرق دولية تربط بين الدول النهرية. ومن التناقض أن أغلب الأنهار التى تعتبر رابطاً بين مختلف الشعوب والثقافات والحضارات أصبحت تمثل حاجزاً، الأمر الذى جعل الأنهار الدولية تحتل اهتماماً متزايداً مـــن قبل المجتمع الدولى، بســـبب ما يحيط بها من مشكلات حول ندرة المياه وسوء التوزيع، بالإضافة إلى مطامع السيطرة والهيمنة على مصادر المياه، ولما لكل ذلك من آثار ســـلبية على الاستقرار والسلم والأمن الدولى.

2.وبالرغـــم من أن الـــدول الموقعة على معظـــم اتفاقيات نهـــر النيل كانت دولاً أوروبيـــة اســـتعمارية من أصحاب المســـتعمرات، وقد وقعت تلك المعاهدات باســـم الدولة أو الإقليم الإفريقى الخاضع لحكمها، ومع ذلك فـــإن القانون الدولى يعترف بســـريان مفعول هذه المعاهدات وفقـــاً لقواعد قانون التـــوارث بين الدول (اتفاقية فيينا لعام 1978). لا ســـيما وأن هذه المعاهدات لـــم تأت بمبادىء قانونية جديدة على خلاف القواعد العامة الحاكمة للنظام القانونى للأنهـــار الدولية. وإنما أكدت فحســـب المبادىء التى سبق للفقه والعرف الدوليين قبولهما، كمبدأ الاعتراف بالحقوق التاريخية المكتسبة، ومبدأ وجوب التعاون والتشاور والإخطار المسبق.

3.كما تكشف العديد من تلك الاتفاقيات عن التزام دول حـــوض النيل من الناحية القانونية بمنـــح الأولوية المطلقة للحقوق التاريخيـــة والاقتســـام الســـابق للمياه. فبمقتضى البروتوكول الموقع بين إيطاليا وبريطانيا فى روما عـــام 1891 التزمت فيها إيطاليا بضمان وصول حصص المياه

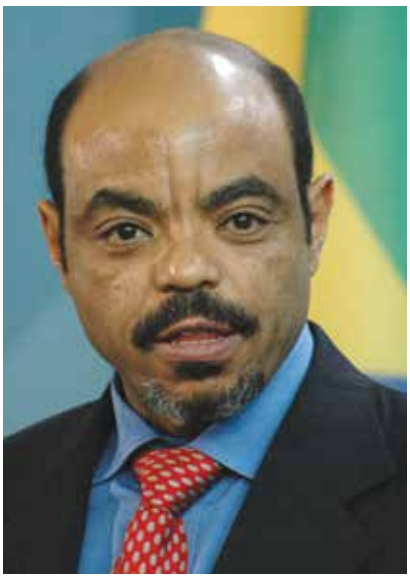

رئيس الوزراء الإثيوبى السابق ملس زيناوى

التاريخية التى تحصـــل عليها الدول التى تتلقى مياه النيل بعد مرورها من الحبشة، حيث نص البنـــد الثالث من المعاهدة على تعهد الحكومة الإيطاليـــة بعدم إقامة أى أشـــغال على نهر عطبـــرة لأغراض الرى يكون من شـــأنها تعديل تدفق مياهه إلى نهر النيل على نحو ملموس.

4.أمـــا اتفاقية 1902 التـــى وقعها إمبراطور الحبشـــة مينيلـــك الثانى مع بريطانيا فقد تعهد بمقتضاها بألا يصدر أية تعليمات تتعلـــق بأى أعمال على النيل الأزرق أو بحيرة تانا أو نهر السوباط يكون من شأنها اعتراض سريان مياهه إلى النيل.

5.كما تكشـــف الاتفاقات التى التزمت بها دول منابع النيل الاستوائية عن إقرارها باحتـــرام الحقوق التاريخية المكتســـبة. فقـــد قضت المادة 3 مـــن الاتفاق المبرم بين الكونجو وبريطانيا (ممثلة للســـودان المصرى) عـــام 1906 بأن تتعهد حكومة الكونجو المســـتقلة بألا تقيم أو تســـمح بإقامة أى أشـــغال على نهر سميليكى أو نهر أسانجو يكون من شأنها خفض حجم المياه التـــى تتدفق فى بحيرة ألبرت ما لم يتم ذلك بالتوافق مع الحكومة السودانية.

6.أمـــا اتفاقية اســـتعمال مياه النيل لأغراض الرى المبرمة بين مصر وبريطانيا عـــن طريق تبادل المذكـــرات عام 1929 والتى أبرمتها بريطانيا عن كل من السودان وكينيا وأوغندا وتنزانيا، فقد أكدت الحكومة البريطانية فى الخطـــاب الموجه لرئيس الحكومـــة المصرية محمد محمود باشـــا فى 7 مايو 1929 علـــى أولوية الحقوق التاريخيـــة للميـــاه حيث جـــاء بخطاب المندوب السامى البريطانى لرئيس وزراء مصر ما يلى: «أذكـــر دولتكم أن حكومة جلالة الملك سبق لها الاعتراف بحق مصر الطبيعى والتاريخى فى مياه النيل».

وهـــو ذات المعنى الذى أكدت عليه بوضوح تام اتفاقية الانتفاع الكامل بمياه النيل لعام 1959 بين مصر والسودان.

7.وتجدر الإشـــارة بأن إثيوبيا والتى كثيراً ما كانت تنكر الحقوق التاريخية فى المياه لمصر والســـودان هى ذاتها إثيوبيا التى تمسكت بالمادة 12 من اتفاقية فيينا للتوارث الدولى لعـــام 1978 فى مواجهة بعـــض المطالـــب الصومالية الخاصة بالحدود ورغبة الصومال فى تعديل بعض النظم العينيـــة فى علاقاتها بإثيوبيا وعلى الأخص فيما يتعلق بالحدود. وأيدت إثيوبيا تطبيق المادتين 11 و12 من اتفاقية فيينا لعام 1978 بضرورة احترام الدولة الخلف للالتزامـــات العينية التـــى قررتها الدولة السلف. وهو ما يعنى أن إثيوبيا تؤيد احترام الاتفاقات العينية التى تضع التزامات بشأن الحدود. ومن ثم فلا يجوز بداهة لإثيوبيا أن تتمسك بوجوب احترام هذه الاتفاقات فى مواجهة المطالب الصومالية وتنكرها فى حالة تمسك مصر بها تأكيداً على حقوقها التاريخية فى مياه النيل.

8.وفى الواقع إن تمسك مصر بحقوقها التاريخية فى مياه النيل ليس مرده ما ورد بشأن هذه الحقوق فى اتفاقيات نهر النيل لا ســـيما اتفاقيتى 1929 و1959 فحسب وإنما هو أبعد من ذلك بكثير فمرده أساساً استعمال ظاهر لمياه النيل لآلاف السنين لا يعوقه عائق على الإطلاق قامت عليه أقدم حضارة عرفها التاريـــخ دون وجود بديل حقيقى له. ودون أى اعتراض من أى أحد كان مقيماً طوال هذه الآلاف من الســـنين على ضفاف النهر. وبالتالى فإن تمســـك مصر بهذه الحقوق ليس تمســـكاً بما ورد فى شـــأنها من اتفاقيات النهر وإنما هو تمسك بمجمل تاريخ مصر ووجودها.

9.كذلك ليس مـــن المنطقى أن تتفق، الدول الإفريقية حديثة العهد بالاســـتقلال فى ستينيات القرن 20 منذ إنشاء منظمة الوحدة الإفريقية عام 1963، على التسليم بالحدود المتوارثة عن الاســـتعمار بالرغم مما بها من عيوب وتشـــوهات حفاظاً على الاســـتقرار فى العلاقات الدولية. كما تثير

بعض دول حوض النيل مسألة أن اتفاقات النهر هى اتفاقات استعمارية وأنها غير ملزمة لها متناسية أن حقوق مصر فيها ليس مردها إلى هذه الاتفاقات وحسب، وإنما إلى استعمال دائم ومستمر وظاهر ومستقر لآلاف السنين السابقة، وأن تكرار الحديث عن هذه الاتفاقات ووصفها بالاستعمارية يهدد فعلاً السلم والأمن والاستقرار والعلاقات بين دول حوض نهر النيل.

رابعاً: محكمة العدل الدولية ومشروعية اتفاقيات مياه الأنهار الدولية:

1.وقد ذهبت محكمة العدل الدولية فى أحدث أحكامها بشأن الأنهار الدولية فى النزاع بين المجر وسلوفاكيا إلى التأكيد على أن المعاهدات ذات الطابع الإقليمى ومنها الاتفاقات المتعلقة بالأنهار الدولية سواء فيما يتعلق بالملاحة أو استخدام مياهها فى غير أغراض الملاحة، هى من المعاهدات التى لا يجوز المساس بها نتيجة للتوارث الدولى، أى أنها من قبيل المعاهدات الدولية التى ترثها الدولة الخلف عن الدولة السلف، ولا يجوز لها التحلل منها لأى سبب من الأسباب، بل ذهبت المحكمة إلى حسبان المادة 12 من اتفاقية فيينا لعام 1978 بشأن التوارث فى المعاهدات بمثابة قاعدة من قواعد العرف الدولى الملزمة لكافة الدول والتى لا يجوز التحلل منها أو الخروج عليها. والأمر أن هذه القواعد إنما تطبق على علاقة دول حوض النيل بعضها ببعض فيما يخص القيود والحقوق التى تلتزم بها هذه الدول.

2.وحيث أن هذه المعاهدات والاتفاقيات إنما تتناول بالتنظيم مسائل تتعلق بالتزامات ذات طبيعة إقليمية وجغرافية، فإنها لا تتأثر من ثم بمجرد انتقال السيادة على الإقليم المحمل بالالتزامات الإقليمية (أى الإقليم محل الاتفاقات الإقليمية) من الدول المستعمرة (السلف) إلى الدول الجديدة (الخلف). وبعبارة أخرى فإن آثار تلك المعاهدات إنما تنقل إلى الدولة الخلف بحكم الواقع والقانون. ولا يمكن تعديلها إلا باتفاق جديد تقره كافة الدول المعنية.

3.حاصل الأمر أن سريان الاتفاقيات الخاصة بنهر النيل لا تتأثر بحصول دول حوض النيل على استقلالها، حيث تظل هذه الدول محملة بالالتزامات ومتمتعة بالحقوق أيضاً التى تضمنتها هذه الاتفاقيات وفقاً لقواعد قانون التوارث الدولى التى فندتها اتفاقية فيينا لعام 1978. وجدير بالإشارة فى هذا الصدد أن لجنة القانون الدولى المنبثقة عن الجمعية العامة للأمم المتحدة قد اعتبرت عند بحثها لمشروع اتفاقية فيينا بشأن التوارث الدولى فى مجال المعاهدات، أن المعاهدات المتعلقة بالأنهار الدولية هى من قبيل النظم الإقليمية وفقاً للمادتين 11 و12 من الاتفاقية. وأشارت على وجه الخصوص إلى اتفاقيات نهر النيل، واتفاقية الازروم بين العراق وإيران حول نهر الحدود بينهما فى منطقة شط العرب، والاتفاقية الموقعة بين فرنسا وسيام (تايلاند) حول الملاحة فى نهر الميكونج.

4.ومن الجدير بالذكر أن القارة الإفريقية قد شهدت العديد من النزاعات حول الأنهار، عرض القليل منها للتسوية، كالنزاع بين بنين والنيجر على حدودها فى قطاع نهر النيجر وعلى ملكية الجزر فى النهر، والذى حكمت فيه محكمة العدل الدولية عام 2005 بتبعية القناة الرئيسية لنهر النيجر لدولة النيجر، وبالتالى دخلت الجزر المتنازع عليها ضمن اختصاص دولة النيجر.

خامساً: آليات التعاون المصرى مع دول حوض النيل:

1.قامت مصر بإنشاء هيئة مشتركة دائمة لمياه النيل بين مصر والسودان فى إطار اتفاقية 1959.

2.كما قامت مصر بدراسة الأرصاد الجوية والمائية لحوض البحيرات الاستوائية (مشروع هيدروميت) عام 1967 بمشاركة مصر والسودان وكينيا وأوغندة وتنزانيا ورواندا وبوروندى والكونغو الديمقراطية وإثيوبيا مراقب. وبمقتضى هذا المشروع أقيمت محطات رصد فى مجمعات الأمطار الرئيسية (بحيرات فيكتوريا، وكيوجا، وألبرت) وقد حظى المشروع بتمويل دولى من الدول المانحة، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائى، ومنظمة الأرصاد العالمية.

3.الاتفاق على فكرة تكوين تجمع من نوع خاص كمكتب فنى إقليمى يضم مصر والسودان وإثيوبيا تحت مسمى «الانترو» عام 2001 بهدف بحث المشروعات المائية المشتركة للدول الثلاث من خلال إنشاء آلية لمراقبة الفيضان والإنذار وتحليل البيانات، بالإضافة إلى إقامة مشروعات استثمارية للرى والصرف والزراعة وإدارة الأحواض وتطهير البرك والمستنقعات فى أنهار الروافد مثل نهر السوباط.

4.كما أسهمت مصر بشكل واضح منذ عشرات السنين فى غالبية المشروعات التنموية فى إقليم حوض النيل إيماناً منها بدورها الريادى وإسهامها فى تحقيق آمال الشعوب الإفريقية فى النمو، وأن المساهمة فى هذه المشروعات تضمن لمصر حقوقها القانونية والتاريخية المكتسبة فى مياه النيل.

5.حرص مصر دائماً على حماية النهر، وتطهيره بجميع دول الحوض والذى ترجم من خلال المشاركة وتحمل الأعباء المادية فى جميع مشروعات الرى وتوليد القوى الكهربائية، وتقديم الخبرة الفنية والمعونة المادية ومنها إنشاء سد سنار على النيل الأزرق، ودفع تكاليف إنشاء خزان جبل الأولياء لتوليد الطاقة الكهربائية بالسودان، ومشروع حفر قناة جونجلى فى جنوب السودان الذى انتهى حوالى 75٪ منه لولا تداعيات الحرب الأهلية فى جنوب السودان، كما قامت مصر بدفع تكاليف سد أوين على بحيرة فيكتوريا لصالح أوغندة، بالإضافة إلى مئات الآبار الارتوازية فى كينيا وتنزانيا.

6.تقديم مصر المعونة الفنية لتطهير بحيرتى فيكتوريا وكيوجا من الحشائش والنباتات المائية فى كل من أوغندة وتنزانيا، وإنشاء مركز للبحوث المائية فى تنزانيا، كما تقوم أيضاً بتطوير إدارة الموارد المائية فى الكونجو بناء على طلب حكومة الكونجو الديمقراطية.

7.هناك اتفاقية إطار تعاون وقعت عام 1993 بين الرئيس الأسبق حسنى مبارك ورئيس وزراء إثيوبيا الراحل ميليس زيناوى، تعهد فيها الطرفان بعدم جواز أى من الدولتين بعمل أية إنشاءات أو نشاط يتعلق بمياه النيل قد يسبب ضرراً لمصالح الدولة الأخرى.

سادساً: المخاطر الحقيقية على مصر والسودان بعد استكمال سد النهضة أو انهياره بعد البناء:

1.إن انهيار سد النهضة مع مرور الزمن احتمال قائم بدرجة كبيرة جداً حتى ولو بعد 50 عاماً أو حتى 100 عام من إقامته وتشغيله، وذلك بسبب العوامل الطبيعية لموقعه فى منتصف منطقة الأخدود الإفريقى العظيم بما له من فوالق وتشققات، فضلاً عن إمكانية حدوث

سد النهضة الاثيوبى وتاثيره السلبى على مصر و السودان

زلازل وبراكين بسبب الضغط على القشرة الأرضية أسفل السد، حيث إن انهياره مستقبلاً سيعنى انهيار كل السدود المقامة على النيل فى السودان ومصر، لأن ذلك سيكون عاملاً مفاجئاً وتطوراً جيولوجياً سريعاً سيؤدى حتماً إلى تدفق المياه بسرعة كبيرة من ارتفاع 600 متر على السودان ومصر وسيجرف أمامه سدود الروصيرص ومروى وسنار والسد العالى.

2.مع الأخذ فى الاعتبار أن إثيوبيا لن تتأثر تماماً فى حالة انهيار السد، لأن السد يشيد فى نهاية حدود إثيوبيا مع السودان على هضبة ارتفاعها 600 متر عن مستوى سطح البحر، الأمر الذى سيحتم على مصر مستقبلاً ليس فقط حماية السد العالى ولكن أيضاً حماية سد النهضة من الانهيار المتوقع بسبب تراكم الطمى داخل بحيرة سد النهضة والمتوقع لها بعد انتهاء عملية الملء بأن تصل إلى 136 مليون طن طمى، وبسبب عدم وجود فتحات كافية عند القاع لتمرير المواد الرسوبية ما يزيد من احتمالات الانهيار، فضلاً عن زيادة معدلات التبخر والغازات المسببة للاحتباس الحرارى وتدهور المواصفات البيولوجية والكيميائية والفيزيائية للمياه.

وقد حذرت دراسة يابانية حديثة من استمرار إثيوبيا فى بناء سد النهضة بالمواصفات الحالية من ناحية الارتفاع والسعة التخزينية، موضحة مخاطر انهيار السد على كل من مصر والسودان. كما أن التأثيرات السلبية ستطال أراضى الدلتا الملاصقة للبحر المتوسط، بعد انخفاض مستويات المياه بنهر النيل فى حالة التشغيل والذى من شأنه أيضاً التأثير على نوعية المياه ومحطات الشرب، وزيادة نسبة الملوحة فى نهر النيل ومحافظات وقرى الدلتا بسبب تداخل مياه البحر المتوسط، ما سيؤدى حتماً إلى تآكل أجزاء من أراضى الدلتا وبوار الأراضى الزراعية بها والتى تمثل منذ مئات وآلاف السنين سلة الغذاء للشعب المصرى.

3.جدير بالذكر أيضاً أن تقارير فنية ألمانية بل وإثيوبية قد حذرت فى النصف الأول من عام 2017 من وجود عيوب هندسية فى تصميم السد ما أدى إلى ظهور بعض التصدعات فى أساساته، وأن ذلك يعود إلى أخطاء فى تركيبات مواد البناء والخرسانة الخاصة بأساسات السد، وقد أرجع بعض الخبراء المشرفين تفاقم تلك التصدعات بحتمية انهيار السد بالكامل، وأشارت إلى أن التربة تعتبر دائماً سبباً جوهرياً فى هبوط الأساسات وتصدعها. وبدورها قالت المصادر الإثيوبية بأن مواد البناء المستخدمة فى الخلطة الخرسانية تم حسابها بطريقة خاطئة من قبل المهندسين المشرفين على المشروع.

4.ومن الآثار الاجتماعية على مصر فى حالة ملء خزان السد فى ثلاث سنوات تبوير جزء كبير من الرقعة الزراعية، وتضرر نسبة كبيرة من المزارعين، الأمر الذى سيؤدى تلقائياً إلى تزايد الهجرة من الريف إلى المدينة وارتفاع معدلات البطالة. وهذا الأمر يفرض سرعة انتقال الملف من البحث فى حلول فنية إلى أخرى سياسية وقانونية تؤدى لسرعة العمل على إيقاف اكتمال بناء وتشغيل السد.

سابعاً: كيفية معالجة مصر للأزمة طبقاً للقانون الدولى وقانون الأنهار الدولية:

1.يلزم القانون الدولى كافة المنظمات العالمية، والإقليمية، والدول على فض كافة المنازعات الدولية بالوسائل السلمية حفاظاً على السلم والأمن الدولى. كما طالب ميثاق الأمم المتحدة فى الفصل السابع منه باللجوء إلى المنظمات الإقليمية لفض المنازعات الدولية. لذلك ينبغى ابتداءً استخدام كافة الوسائل السلمية المنصوص عليها فى القانون الدولى ومنها ما ورد فى الفقرة الأولى المادة 33 من ميثاق الأمم المتحدة التى نصت على: (يجب على أطراف أى نزاع من شأن استمراره أن يعرض حفظ السلم والأمن الدولى للخطر أن يلتمسوا حل النزاع عبر المفاوضات والتحقيق والتوفيق) وهناك أيضاً طريقة المساعى الحميدة عن طريق طرف ثالث سواء دولة أو منظمة دولية أو شخصية دولية معروفة، وأيضاً عن طريق المفاوضات المباشرة مع إثيوبيا بالاشتراك مع كافة أو بعض دول حوض النيل.

2.أو عن طريق لجنة تحقيق وقد تم تشكيل لجنة تحقيق دولية هى اللجنة الفنية الثلاثية وتضم مصر والسودان وإثيوبيا لتقييم الآثار البيئية والاقتصادية والاجتماعية لسد النهضة الإثيوبى، ولم تتعامل معها إثيوبيا بشكل جدى، حيث لم تنتظر إثيوبيا أن تضع اللجنة تقريرها بشأن الأمور الفنية وبادرت باتخاذ خطوات عملية بالإسراع فى بناء السد، بل وتحويل مجرى نهر النيل الأزرق، ما يدل على أن إثيوبيا لن تلتزم بتقرير وأعمال اللجنة الفنية التى لم تتعاون معها كما ينبغى حتى الآن. (وتجدر الإشارة هنا إلى الالتزام الشفهى لرئيس وزراء إثيوبيا السابق ميليس زيناوى عندما وافق على تشكيل لجنة خبراء مصرية - إثيوبية خلال بدايات السد فى 2011 للتأكد من أن سد الألفية لن يؤثر على حصة مصر فى مياه النيل، وإذا ثبت هذا الضرر سنقوم بتغيير التصميم، وذلك خلال لقائه الوفد الشعبى المصرى فى 3 مايو 2011).

3.لذلك يمكن لمصر حالياً تصعيد

الأمر إلى أكثر من جهة إقليمية ودولية كاللجوء إلى الاتحاد الإفريقى أولاً وإبراز أن ما تسعى إليه إثيوبيا من تعلية السد إلى 170 متراً ارتفاع وسعة تخزينية للمياه تتجاوز 74.5 مليار م3 بل فى الواقع سيصل حجم البحيرة الصناعية بسبب الفوالق الأرضية إلى حوالى 100 مليار م3 وهو أكثر بكثير من حاجة إثيوبيا، وأن السد بتلك المواصفات وهذا الموقع يتسبب فى ضرر كبير significant harm على أمن مصر المائى وشكل الحياة بصفة عامة على الزراعة والصناعة والعمران والاستخدامات المنزلية وغيرها، فضلاً عن تعريض الحياة فى مصر للجفاف والتصحر وتآكل الرقعة الزراعية.

4.كما يمكن عرض الأمر أيضاً على مجلس السلم والأمن الإفريقى، أو المحكمة الإفريقية وطلب رأى استشارى طبقاً للمادة الرابعة من بروتوكول المحكمة، ويمكن للأشخاص المصريين أو منظمات المجتمع المدنى التقدم بشكوى ضد إثيوبيا طبقاً للمادة السادسة من بروتوكول المحكمة. وطبقاً للمادة 25 من هذا البروتوكول يكون الحكم الصادر من هذه المحكمة نهائياً ولا يجوز الطعن عليه. كما نصت المادة 26 على أن تلتزم الدول الأطراف فى الاتحاد بتنفيذ الحكم الصادر عن المحكمة.

5.ويمكن اللجوء إلى الأمم المتحدة لاستصدار قرار ملزم طبقاً للمادة 24 من ميثاق الأمم المتحدة باعتبار أن بناء السد بالمواصفات الحالية يهدد السلم والأمن والاستقرار لدول حوض النيل.

كما يمكن لمصر أيضاً اللجوء إلى جامعة الدول العربية كى تتخذ موقفاً إيجابياً من ذلك بقرار يمثل ثقلاً سياسياً على إثيوبيا.

6.كما يمكن تقديم طلب إلى محكمة العدل الدولية لاستصدار فتوى أو رأى استشارى بشأن خرق إثيوبيا لمبادئ القانون الدولى العام والاتفاقيات والأعراف الدولية المتعلقة بطبيعة الأنهار الدولية، فضلاً عن طلب مصر من المحكمة تفسير اتفاقيتى 1902 بين إثيوبيا المستقلة وبريطانيا بشأن تدفق مياه النيل، بالإضافة إلى إقرار بريطانيا فى اتفاق 1929 بحق مصر الطبيعى والقانونى فى أهمية تدفق مياه النيل إليها دون عوائق.

ثامناً: تقدير الموقف السياسى والقانونى:

1.على ضوء تزايد قلق مصر فى ظل إصرار إثيوبيا على الاستمرار فى أعمال البناء للسد دون انتظار نتائج الدراسات الفنية المتعلقة بالتأثيرات البيئية والاقتصادية والاجتماعية لبناء السد على دولتى المصب، ورفضها الالتزام صراحة بحصص المياه لكل من مصر والسودان طبقاً للحقوق التاريخية المكتسبة والاتفاقات الموقعة فى هذا الشأن، وفى ضوء زيادة الشك وانعدام الثقة بين الأطراف، وأن مشروع السد برمته مازال مشروعاً خلافياً، فإن القواعد والأعراف والقوانين الخاصة بالأنهار الدولية المشار إليها سلفاً تقضى بأحقية مصر فى المطالبة بعدم استكمال بناء السد، بل والتوقف فوراً عن أعمال البناء لمخاطرها الحياتية على دولتى المصب، حيث تشير كل التقارير الفنية والسياسية والقانونية بأن البديل هو سد صغير لا يزيد عن 14 مليار م3 سعة تخزينية مع ضرورة ابتعاده عن هذه المنطقة الخطرة، وتعويض إثيوبيا عما أنفقته من أموال حتى الآن فى شكل مشروعات لتنمية الموارد المائية، وتوليد الكهرباء، بل وحتى تعويضات مادية، مع دراسة منح إثيوبيا تسهيلات فى أحد الموانئ المصرية على البحر الأحمر لتجارتها الخارجية، لاستعادة الثقة بين البلدين والشعبين، وأمام المجتمع الدولى.

2.ولما كانت مصر والسودان قد أعطتا إثيوبيا الحق فى التنمية والرفاهية لشعبها فى إعلان المبادئ مارس 2015 وتم الاتفاق على أن يكون حل المسائل الخلافية وفقاً لمبادئ القانون الدولى العام، مع الاعتراف للأطراف بالحق فى التنمية لكن دون الإضرار بدول المصب، على أن يتم اللجوء إلى الخبرات الدولية بشأن دراسة المشروعات التى يتم إنشاؤها. كما نصت أيضاً على ضرورة احترام قواعد القانون الدولى العام فى فض المنازعات، بالإضافة إلى عدم جواز ملء خزان السد إلا بموافقة الدول الثلاث. فلا يجب أن يكون ذلك مصيراً مجهولاً لمصر والسودان. ومع اقتراب موعد الانتهاء من أعمال التشييد وبدايات التشغيل المتوقع عام 2020، فمن حق مصر والسودان تعهد إثيوبيا كتابة بضرورة الحفاظ على تدفقات النيل الأزرق المشيد عليه السد على نفس مستوياتها قبل اكتمال أعمال البناء، مع ضرورة الاعتراف صراحة فى هذا التعهد بحصص مصر والسودان التاريخية المكتسبة عبر عشرات ومئات السنين ومن واقع كل الاتفاقات السابقة الملزمة وخاصة اتفاق 1902 الذى تعهد به منيليك الثانى إمبراطور إثيوبيا المستقلة بعدم الإضرار بمصر والسودان.

3.إن التعهد الكتابى للحفاظ على حصة مصر التاريخية هو القيد الحقيقى الكاشف لنوايا إثيوبيا فيما يتعلق بالاعتراف من عدمه بحقوق مصر والسودان التاريخية فى مياه النيل طبقاً لما جاء فى مؤتمر دوبروفنيك عام 1956، وقواعد سالزبورج عام 1961 من وصف الضرر بالخطير، وقواعد هلسنكى 1966 وبرلين 2004، وأيضاً ما ورد فى اتفاقية الأمم المتحدة لاستخدام المجارى المائية فى غير الأغراض الملاحية مايو 1997.

4.على مصر السعى فى الأسابيع والشهور القادمة إلى الدخول فى دبلوماسية نشطة تهدف إلى حشد رأى عام إقليمى ودولى لشرح عدالة الموقف المصرى خاصة فى ضوء اعتبار دول الاتحاد الأوروبى توقيع اتفاقية عنتيبى فى مايو 2010 دون موافقة مصر والسودان فكرة غير صائبة، فضلاً عن أن الانقسام فى الرأى لدى دول حوض النيل من شأنه زيادة التوتر الذى قد يؤثر على السلم والأمن والاستقرار فى منطقة البحيرات العظمى وهضبة الحبشة.

5.تحتاج مصر أيضاً خلال المرحلة القادمة إلى تعديل لغة وأسلوب التفاوض مع إثيوبيا كى يكون سياسياً وقانونياً أولاً، فضلاً عن التفكير فى عقد مؤتمر دولى للمياه فى مصر نهاية عام 2019 يدعى إليه كل خبراء دول العالم فى الأنهار الدولية والسدود، وسياسيون وسفراء وعسكريون وأكاديميون ورجال قانون دولى متخصصون فى الأنهار الدولية ونزاعاتها من معظم دول العالم لكى تتضح الصورة أكثر لدول حوض النيل وإثيوبيا، وأن يكون ذلك فى القاهرة وعلى ضفاف النيل الذى صنع للبشرية عبر آلاف السنين حضارة استمدت منها شعوب العالم القديم والحديث مبادئ نهضتها وتقدمها العلمى والعمرانى.

الانتخابات الفلسطينية القادمة

القدس.. العقبة الكبرى

أعلن الرئيس محمود عباس أبو مازن من فوق منبر الأمم المتحدة فى 9/ 9/ 2019 عن عزمه إجراء الانتخابات فى أول فرصة متاحة ليتمكن 2.2 مليون فلسطينى يعيشون فى الضفة الغربية «3.5 مليون بما فيها القدس - قطاع غزة 2 مليون» تم تسجيل 85٪ من لهم حق الاقتراع فى سجلات الناخبين.

وإجراء الانتخابات مطلب وطنى وإقليمى ودولى ليجدد الشعب الفلسطينى اختيار ممثليه فى هذه الظروف السياسية الصعبة التى تمر بها القضية الفلسطينية بعد انتهاء صلاحيات المؤسسات السياسية المختلفة.. مثل رئاسة السلطة التى تولاها أبومازن بعد انتهاء مدة ولايته الدستورية بسنوات طويلة وعدم انعقاد المجلس التشريعى الذى حلته المحكمة الدستورية الفلسطينية العليا والذى لم يجتمع بسبب أغلبية وجود ممثلى حركة حماس التى فازت فى الانتخابات الأخيرة بنسبة حوالى 63٪ وكذلك المجلس الوطنى الذى يحتاج تجديد عضوية الممثلين فيه، وحتى تتم المتابعة نقدم فيما يلى ملخصاً سريعاً عن كل من هذه الهياكل الفلسطينية السابقة:

أولاً: تعريف بالمؤسسات الفلسطينية المختلفة:

1- المنظمة:

هى منظمة التحرير الفلسطينية التى أنشئت عام 1965 ويعد الرئيس ياسر عرفات الرئيس الثانى لها منذ إنشائها وهى تضم 13 فصيلاً وحزباً واتحاداً، وتشكل حركة فتح التى تضم عشرات الآلاف من الفلسطينيين عمودها الفقرى والأغلبية فيها وهناك أحزاب وحركات لا يتعدى أعضاؤها العشرات ولم تدخلها قط حركة المقاومة الإسلامية حماس أو الجهاد الإسلامى.

2- السلطة الوطنية الفلسطينية:

التى أنشئت بموجب اتفاق أوسلو فى 13/ 9/ 1993 وصدق على قيامها المجلس المركزى الذى يعد الحركة الوسطى بين المجلس الوطنى 680 عضواً واللجنة التنفيذية 18 عضواً للمنظمة فى تونس وعين ياسر عرفات

سفير محمود كريم

رئيساً لها.

3 -المجلس التشريعى الفلسطينى:

وهو مجلس الفلسطينيين فى الداخل فى الضفة وغزة والقدس وكانت إسرائيل تريد أن يتكون من خمسة عشر عضواً فقط يختصون بالمسائل البلدية «النظافة والمياه والصرف الصحى.. إلخ» ولكن ياسر عرفات نجح فى أن تقبل إسرائيل تشكيل مجلس يتكون من ممثلى الضفة الغربية فى البرلمان الأردنى «عندما كانت جزءاً من المملكة الأردنية الهاشمية بعد أن ضمتها لها» وعدد أعضاء المجلس التشريعى الفلسطينى فى غزة الذى افتتحه أنور السادات خلال رئاسته لمجلس الشعب المصرى ونجح فى إضافة عضو للمجلس لم تكن إسرائيل لتعارض وجوده وهو رئيس الطائفة اليهودية السامرية فى نابلس «اليهود الفلسطينيون» وأصبح عدد أعضائه 88 عضواً وبعد وفاة عرفات تضاعف العدد إلى 176 عضواً.

4 - المجلس الوطنى:

هو مجلس الفلسطينيين فى الداخل والخارج فى مناطق السلطة الوطنية الفلسطينية وممثلى اللاجئين فى دول الجوار «5.5 مليون فلسطينى فى لبنان - سوريا - الأردن» وفى دول الشتات من شيلى إلى الولايات المتحدة وجميع أنحاء العالم التى ينتشر فيها 13 مليون فلسطينى ولا تقبل دول الجوار انتخابات للاجئين الفلسطينيين فيها ويتكون المجلس الوطنى بالتعيين حيث تعين مختلف النقابات ممثليها المدرسين - الصحفيين - الزراعيين - العسكريين - المحامين - المهندسين.. إلخ ويبلغ عدد أعضائه 650 عضواً يختلفون من دورة لأخرى وهو البرلمان الرئيسى لمنظمة التحرير الفلسطينية.

5- الحكومة الفلسطينية:

والمفروض أن تتكون من مختلف الأحزاب والفصائل الفلسطينية لكنها جميعاً باستثناء حركة فتح رفضت الاشتراك وشكلت فتح الحكومة الحالية «حكومة شتية» كما رفضت جميع الفصائل والمنظمات ترشيح وزراء لحكومة التكنوقراط «الفنيين» التى رأسها الدكتور/ الحمد الله ولم يكن فى اتفاق أوسلو وظيفة رئيس وزراء حيث كان يتولى الرئيس عرفات رئاسة «المنظمة - السلطة - الوزارة» لكن الأطراف الغربية رأت أنه متشدد وأنشأت وظيفة رئيس الوزراء ليتولاها أبو مازن اعتقاداً منها أنه سيكون متساهلاً فى الحقوق الفلسطينية عن الرئيس/ ياسر عرفات وسرعان ما دب الخلاف بينهما واستقال أبو مازن من رئاسة الوزارة.

ثانياً: المصاعب السياسية لإجراء الانتخابات:

1 - موقف الفصائل المختلفة:

تطلب حركة المقاومة الإسلامية «حماس» أن تجرى الانتخابات فى نفس الوقت لرئاسة السلطة وأعضاء المجلس التشريعى، وأعضاء المجلس الوطنى كما تطلب أن تجرى الانتخابات - بعد - وليس قبل إجراء الإصلاحات

اللازمة لمنظمة التحرير الفلسطينية التى هى ليست عضواً فيها وتريد أن تدخلها على أسس جديدة، كما تطلب أن تكون الانتخابات بعد إزالة الخلافات بين فتح وحماس.

2 – موقف حركة الجهاد الإسلامى:

وهو يتشابه مع حركة حماس إلا أنها لا تريد الانضمام للمنظمة وقد وافقت لأول مرة على الاشتراك فى الانتخابات.

3 –تقدمت ثمانية فصائل وأحزاب من فصائل المنظمة بمبادرة من أجل تسوية الخلافات بين فتح وحماس وقبلتها حماس ورفضتها فتح وتوافق جميع الفصائل الأخرى على إجراء الانتخابات.

ثالثاً: الانتخابات فى القدس:

تعتبر إسرائيل القدس عاصمتها الأبدية وقال بن جوريون أن إسرائيل بدون القدس تعتبر دولة ناقصة.

يتكون الفلسطينيون فى القدس الشرقية التى احتلت فى 5 يونيو 1967 من نحو 350 ألف مواطن وحوالى 20 ألفاً منهم حاصلين على جوازات سفر أردنية «للاجئين الفلسطينيين ومدته 3 سنوات» لكنهم مواطنون مقدسيون.

كما تحاول إسرائيل دائماً تقليل أعداد الفلسطينيين فى القدس ومحو الوجود الفلسطينى والتاريخ الفلسطينى فى القدس وادعاءاتها معروفة فى أن الهيكلين المقدسين اللذين تمت إزالتهما يقعان مكان الحرم القدسى «144 دونم» وتسعى لإعادة بنائهما على أنقاض الحرم «المسجد الأقصى – مسجد قبة الصخرة – باحة أو ساحة الحرم بما فيه من مكاتب وكتاتيب ومتحف وأرشيف فلسطيني» وذلك عن طريق حفر الأنفاق مثل نفق الحشمونائيين ونفق يوصل المستوطنات بحائط البراق «حائط المبكي».

وتعتبر إسرائيل سكان القدس غير معينى الجنسية State Iess وليسوا مواطنين فلسطينيين تحت الاحتلال مثل سكان الضفة وغزة وتصدر لهم وثائق طريق للخروج والعودة.

كما تحاول إقلال أعداد الفلسطينيين عن طريق هدم البيوت – سحب الهويات – القتل – التضييق فى السكن والتضييق فى الحياة الاقتصادية كما تحاول تشجيعهم على الهجرة أو الدخول «لبعضهم فى الجنسية الإسرائيلية».

رابعاً: تاريخ الانتخابات فى القدس الشرقية:

ينص اتفاق أوسلو على انتخاب ممثلين فى المجلس التشريعى لكن المقدسيين ليس لهم حق الانتخاب أو الترشيح كما تطلب إسرائيل.

وكاد اتفاق أوسلو يفشل لعدم الوصول إلى اتفاق بخصوص انتخاب مواطنى القدس حيث أصرت إسرائيل على أن يتم الانتخاب عن طريق إرسال بطاقات الانتخاب بعد استكمالها إلى الضفة الغربية لفرزها كأن الفلسطينيين فى القدس لاجئون لكن الفلسطينيين أصروا على أن يكون لأهل القدس حق الانتخاب والترشيح باعتبارهم فلسطينيين.

وتقدم الدكتور/ بطرس غالى باقتراح أن يصوت الفلسطينيون فى القدس فى مراكز الأمم المتحدة «مدارس الإنروا – مقر منظمة الأغذية والزراعة».

وتقدم الوزير/ عمرو موسى باقتراح أن يتم التصويت فى مراكز البريد الستة التى طلبت إسرائيل نقل أوراق الاقتراع من خلالها للضفة الغربية.

وقد حرص الرئيس الأمريكى السابق كارتر على حضور ومراقبة الانتخابات فى القدس فى المرتين اللتين تمت فيهما الانتخابات وذلك لمراقبة الانتهاكات الإسرائيلية لتدمير العملية الانتخابية وإكراه الفلسطينيين على عدم التصويت بدعوى أن من يشترك منهم فى الانتخابات الفلسطينية سيحرم من الخدمات البلدية «المدارس – الصحة – وغيرها» وذلك لأن بروتوكول الانتخابات فى القدس ينص على تسليم إسرائيل لقوائم الانتخابات الفلسطينية بعد إجرائها بدعوى أن الفلسطينيين فى القدس الشرقية يملكون حق الانتخاب للمجلس البلدى للقدس الذى يقاطعونه دائماً بنسبة كبيرة حتى ولو تولى فلسطينى الترشيح لهذا المجلس.

ثم سار جدل حول صناديق الانتخاب هل فتحتها من أعلى فتعتبر صندوق انتخاب أو من الجانب كما تصر إسرائيل على أنها صناديق بريد.

وقد أجريت الانتخابات الرئاسية الأولى بين السيدة/ سميحة خليل «من رواد العمل الاجتماعي» والرئيس/ ياسر عرفات فى الانتخابات التى مول قيامها والإشراف عليها الاتحاد الأوروبى وأرسلت مختلف دول العالم مراقبين لها وحصلت السيدة سميحة خليل على 10٪ من الأصوات.

ومن نواب القدس الدكتورة/ حنان عشراوى عن المقعد المسيحي ومهندس اتفاق أوسلو/ أحمد قريع «أبو العلاء» وحاتم عبدالقادر الذى رفضت إسرائيل وجوده فى القدس وأجرى السفير المرحوم/ محمد بسيونى اتفاقاً بين إسرائيل والنائب المذكور يتيح له البقاء فى القدس.

وكانت الانتخابات بنسبة 100٪ للأفراد على عكس الانتخابات القادمة التى ستكون تبعاً للقوائم فقط

تجدّد الحديث عن مكتبة الإسكندرية 3/1

أنشأ الإسكندر المقدونى قبل أكثر من ثلاثة وعشرين قرناً مدينة الإسكندرية القديمة، موطناً للملـــوك البطالمة العظام، ومكاناً لكليوباترا، وللعلماء والمفكرين، على هيئة رقعة الشـــطرنج، وقسّـــمتْ إلى أحياء، أهمها الحى الملكى الذى يضم المتحف أو دار الحكمة، ومكتبة الإسكندرية العظيمة، ومنارة الإســـكندرية العظيمة، والسيما، وهو المعبد الجنائزى الذى دفن فيه الإسكندر؛ ليمتـــد تاريخها متجدداً مـــن «كاليماخوس، إلى هيباتيا، إلى الطرطوشـــى، إلى البوصيرى، إلى كفافيس، ولورانس داريل»، وفيها نشـــأتْ مكتبة الإسكندرية، على أرجح الأقوال، حواليْ سنوات 300 - 288ق. م، أنشـــأها حاكم مصر»بطليموس الأول»، لتكـــون أكاديمية علمية تحتضن كبار العلماء والمفكرين، حين أنشأ متحفاً بالجزء الجنوبى الغربى من قصره، وأشرف عليها مشاهير شعراء العصر وعلمائه، وكانت من جزءين: المكتبة «الأم»، والمكتبة «الابنة»، متشابهة مع مكتبة «نينوى» الآشورية.

د. يوسف نوفل

شاعر وناقد

أستاذ النقد الادبى بجامعة عين شمس

youssfnofal@yahoo.com

مات الإسكندر الأكبر قبل استكمال بناء مكتبة الإسكندرية، فآل أمرها إلى «بطليموس ســـوتر» الذى عهد إلى الخطيب الأثينى، وتلميذ «أرســـطو» بتأســـيس دار الحكمة «ميوزيوم»، أو«الموسيوم»، أو «الأكاديمية»، التى من بين مكوّناتها مكتبة الإسكندرية فى الحيّ الملكى، حتى تمّ اســـتكمال بنـــاء المدينة فى عهـــد «بطليموس الثانـــي»، حيـــث تمصرتْ أســـرة البطالمة، حتى دالت دولتهم على يد الإمبراطور أغســـطس بعد معركتىْ أكتيوم سنة 30ق.م، وأصبحت مقراً للوالـــى الرومانى حتى الفتح العربى فى القرن الســـابع الميلادى، وقاوم الســـكندريون الحكـــم الرومانـــى، فساعدوا « فسباسيان» على الوصول للعرش ســـنة 69م، وكان البطالمة ينتقمون من الســـكندريين على نحو ما حدث أثناء حكم «ســـبارتاكوس أوريليـــوس» (161-180)، وظـــل التأثير اليونانى، ولغته مســـتمرين، وقد عانـــى الأقباط مـــن الاضطهاد الدينى وبخاصة فى عهد الإمبراطور»

بطليموس الأول

الإسكندر الأكبر

دقلديانوس»، الذى أطلق على عصره عصر الشهداء.

كانت الأكاديمية مركز دراسات وأبحاث، ضامة قاعات للمحاضرات، وغرفاً للدراسة، وأروقة ذات أعمدة، وقاعات للطعام، ومرصداً فلكياً، وحديقة حيوان، وحديقة لدراسة علم النبات، وكانت المكتبة جزءاً من الأكاديمية، وإنْ فاقتها شهرة، وزوّدتْ المكتبة بالكتب من جميع أنحاء العالم بطرق مشروعة، أو غير مشروعة، فاستعار بطليموس الأول من حكّام العالم المؤلفات، واستولى على كتب الوافدين إلى الإسكندرية بغْية نسخها، واستقدم خيرة العلماء للقيام بالترجمة، فصارت مكتبة الإسكندرية قبْلة العلماء والأدباء، ونافستْ الإسكندرية بها أثينا ثقافياً، وعلمياً، وفكرياً، بل تصدّرتْ ثقافة العالم، آنذاك، وبرز فيها علماء نابهون، وأدباء مبدعون، واحتوتْ، بمؤسساتها، 900 ألف لفافة متنوعة من المخطوطات، و90 ألف لفافة مفرّقة، حتى صارت أغنى مكتبات العالم، وتخرج فيها علماء كثْر، حتى مثلتْ الإسكندرية بها منارة فى عصرها الذهبى فى زمن الرومان واليونان، وتبوّأتْ مكانتها العالمية، منفتحة على الحضارات، لتتكون الحضارة الهلينستية Hellenistic، والعلْم الهلينستى، وضمّتْ داراً للحكمة، مضافة إلى مكتبات أخرى بمصر آنذاك مثل: مكتبات (أون - الجامعة المصرية القديمة، ومكانها جامعة عين شمس الآن، وسمّيتْ باسمها - وصا الحجر، وفيلة، وإدفو، ودندرة، والأقصر، وغيرها)، وظلتْ كذلك إلى أنْ نقل عمرو بن العاص عاصمة البلاد إلى الفسطاط، وكان من أساطينها هيبارخوس، أوّل من حسب طول السنة الشمسية بدقة، وإيرانستتيس، أول من حسب محيط الكرة الأرضية، وإقليدس الذى كتب أسس الهندسة، وأرشميدس العالم الطبيعى، الذى اخترع الطنبور أثناء زيارته لمصر، وكاليماخوس الأديب الشاعر، وأول من كتب سجلاّ للكتب مصنّفاً بالموضوع والمؤلف، ويعدّ أبا علم المكتبات، ومن علمائها: هيروفيلوس، الجراح الكبير، وهيبارخوس أعظم علماء الفلك فى العصر القديم.

ولاشك أن المسلمين الأول سمعوا بمكتبة الإسكندرية الشهيرة التى أسسها بطليموس فيلادلفوس الذى جعل من هذه المكتبة أكبر معهد أكاديمى فى العصر القديم، وجمع فيها عدداً ضخماً من الكتب والمخطوطات، يقول ابن النديم فى كتابه (الفهرست): «حكى إسحق الراهب فى تاريخه أن بطولوماوس فيلادلفوس من ملوك الإسكندرية لمّا ملك فحص عن كتب العلم وولّى أمرها رجلاً يعرف بزميره، فجمع من ذلك- على ما حكى- أربعة وخمسين ألف كتاب، ومائة وعشرين كتاباً، قال: أيها الملك قد بقى فى الدنيا شئ كثير فى السند، والهند وفارس، وجرجان، والأرمان، وبابل، والموصل، وعند الروم».

وفى ذلك ما يدلّ على معرفة المسلمين بمكتبة الإسكندرية منذ القديم، ويرجّح المؤرخون أن المأمون حين جمع فى مكتبة بيت الحكمة فى بغداد ما جمع من كتب وعلم، واستعان بالعلماء والبحوث والتعريب، رجّحوا أنه كان يضع مكتبة الإسكندرية فى اعتباره.

وإلى جانب تأثر المسلمين الأول بمكتبة الإسكندرية هناك سمعوا بمكتبات الفرس، وقيصرية، والقسطنطينية، ثم مدارس ومكتبات الرها، وقنسرين، ونصيبين، وحران، مما يؤكد ذلك التراسل العلمى والثقافى الفعّال الذى تمّ بين المسلمين والثقافات السابقة والمعاصرة لهم، وأنهم أفادوا منها فى مراكزها المتعددة ما بين إفريقيا وآسيا. وكان لذلك أثره فى النهضة المكتبية التى ستؤتى ثمارها على مر القرون.

سمع المسلمون بمكتبة الإسكندرية، لكنهم- بالقطع- لم يحْرقوها كما روّج بعض المغْرضين من أكاذيب وافتراءات، كما سنفصّل.

الهوية المصرية وأيامها المجيدة

السهام المسمومة من الإشاعات الهابطة والمغرضة، وتناقلها بصورة سريعة، فى الآونة الأخيرة يؤكد أن مصر مستهدفة، أعداؤها كثر، خارجياً وداخلياً، أعداء مصر، يعلمون قدر مصر، وقيمة أبنائها إذا اتحدوا، وتوافرت لهم سبل التنمية والنجاح، ومن هنا تكون الحرب الخفية لوقف النهضة الشاملة التى تشهدها مصر الآن، ويشيد بها العالم أجمع.

عادل عبدالصمد

adelabdelsamed@yahoo.com

واجهت مصر على امتداد تاريخها، تحديات متعددة، سواء فى الداخل أو الخارج، تمكنت مصر من مواجهتها وتخطت الصعاب، ولم تشل السواعد والعقول المصرية، بل استوعبت وتفاعلت مع حضارات متعددة، بفضل ما حباها الله من قدرات وسمات، وتصدت واستطاعت مواجهة كل التحديات وكشفت مخططات أعداء التقدم والنجاح، أعداء الحضارة التى كانت قدر مصر على مر التاريخ، فمصر عريقة، سبقت حضارات شعوب العالم، سواء بفكرها أو فنونها أو ابتكاراتها، لذلك اعتبرت مصر أم الحضارات الإنسانية.

ويحضرنى هنا قول الرئيس عبدالفتاح السيسى (إن تاريخ الأمم ليس حلقات منفصلة، أو جزراً منعزلة، بل هو سياق متصل يزدهر بالنضال والانتصارات، التى تولد من رحم الصمود والمعاناة).

وهذا ما تميزت به حضارة المصريين، الصمود والتصدى والإبداع،لأن حضارتهم أركانها السمو والسلام وقهر الصعاب، ويسجل المؤرخ والكاتب د. حسين مؤنس فى كتابه «مصر ورسالتها»:

(لو عرف المصرى، قدر مصر، فسوف يهون كل شئ عنده، فى سبيلها) ولكى يكون المصرى جديراً بمصر، عليه أن يعمل لها ليل نهار، وقد عاشت مصر تاريخها كله، على القلائل الذين فهموها جيداً وأحبوها فى عمق سواء كانوا عباقرة أم ناساً بسطاء، ويؤكد د. حسين فوزى فى سندباد مصرى، وسجله عاشق مصر د. جمال حمدان فى شخصية مصر، بأنه يحق للمصريين الفخر، بأنهم أبناء أطول الأمم تاريخاً، وأن مصرهم عاشت مستقلة، ما يعادل سبعين فى المائة من تاريخها.

وقارئ التاريخ البشرى عندما يفتح صحائفه يجد مصر فى المطلع الأول، فمصر دائماً فى مكانها الأول فى سلم الحضارة، وهذا يفرض علينا التمسك بقيمتها التى كانت فى الصف الأول لا من الناحية العسكرية فحسب بل من ناحية الحضارة، التى حمل شعلتها رموز مبدعون وشارك فى صنعها أعداد لا حصر لها من المثقفين والعلماء والمؤرخين والسياسيين والحرفيين وغيرهم من أبناء الشعب، وكان أثمن ميراث فى مصر رؤية المصرى المتحضر للإنسان، وحقه فى المعرفة والعلم.

عرف المصرى القديم، حقوق الإنسان ومبدأ المساواة، بين جميع المواطنين، بمن فيهم الأجانب المقيمين فى مصر، وكانت وصية الفرعون لوزرائه والتى سجلها فى كتابه الكاتب نبيل فرج «الديمقراطية فى فكر رواد النهضة المصرية»:

(عامل بالمساواة الرجل الذى تعرفه، والرجل الذى لا تعرفه، الرجل القريب منك، والرجل البعيد عنك، واعلم عندما يأتى إليك شاك، من الجنوب أو من الشمال، أو من أية بقعة فى البلاد، فعليك أن تتأكد أن كل شئ يجرى وفق القانون، فأعط كل ذى حق حقه ولا تنس أن تحكم بالعدل لأن التحيز يعد طغياناً).

مصر الحضارة هى التى حمت وحافظت على المعارف الإنسانية بعد تصديها للهجمات التتارية التى أسقطت بغداد، وكادت أن تقضى على حضارتها وحضارة العرب لولا وقوف المصريين، فى وجه الهجمات البربرية المتوحشة وتصدر المصريين لفتوحاتهم عند حدود الشام، فلم تتجاوز فتوحاتهم حدود العراق، وتم هذا على يد دولة المماليك فى أول نشأتها، وكان قدر مصر أن تحتضن من ظل على قيد الحياة من ملوك بنى العباس، ملوك بغداد فأكرموا وفادتهم.

مصر الحاضنة:

استوعبت أرض المحروسة من لجأ

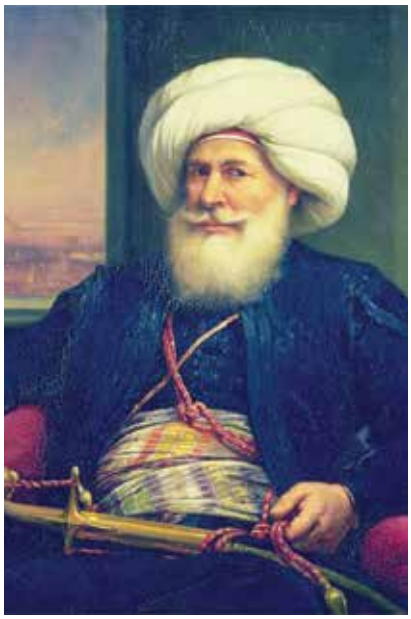

محمد على باشا الكبير

إليها، ضمت أجانب، وأغراب وتقبلت مختلفين وتسامحت مع مخالفين من ديانات وأعراق وألسنة وألوان وتقاليد، وتعايشت معهم، ولم تفقد صفاتها المجتمعية، واكتسبت نوعاً فريداً من المتانة، جعلتها قادرة على أن تكون مصر هى الحضارة التى ينصهر فيها كل، الثقافات الوافدة، وكان العامل المشترك الذى جمع كل من لجأ إليها هو مصر، وأصبحت هى المحور الأساسى لكل جنس عاش على أرضها واختلط وتمازج وكون الكيان للشعب المصرى عبر تاريخ طويل.

وظلت مصر موطن كل من وفد إليها، من العلماء والأدباء والمفكرين وأئمة الحديث والفقه والتفسير والنحو والبلاغة والتاريخ مثل: حجر العسقلانى - المقريزى - العينى - البلقينى- السخاوى - السيوطى وغيرهم من كبار العلماء وراجت فى مصر العلوم والثقافة أعظم رواج، وكان الأزهر يقوم بنصيبه فى هذه النهضة العلمية، وشارك فيها المدارس التى أنشأها سلاطين مصر، كالمدرسة الناصرية والكاملية والشيخونية والبرقوقية والأشرفية والظاهرية وغيرها من المدارس التى امتلأت بها مصر، ولن تتوقف مسيرة المعرفة والحضارة فى مصر إلا على يد البربرى المتغطرس رائد الجهل السلطان سليم، واستمر الظلام التركى العثمانى حوالى خمسة قرون، تم عزل مصر عن العالم وعن النهضة الأوروبية، وعم الظلام ولكن قدر الله عز وجل لمصر أن تشرق عليها شمس النور والمعرفة، بعد زوال الغمة العثمانية على يد أبناء مصر العظام، الذين قادوا حركة النهضة وتحملوا عبء حمل شعلة الاستنارة فى مصر.

وكانت مصر حاضرة بمفكريها ومؤسساتها المدنية فى نهاية القرن التاسع عشر، حيث عرفت الكثير من الجمعيات والمدارس التى تؤكد سمات المجتمع المستنير، منها جمعية المعارف 1868 م - دار الكتب 1870م - مدرسة دار العلوم 1871م - مدرسة البنات 1873م - الجمعية الجغرافية الخديوية 1875م - مدرسة الفنون والصنائع 1887م.

ومصر الحاضنة، لكل ثقافات جاءت إليها مع أجناس مختلفة، ظلت هى العامل المشترك، الذى يجمع كل من لجأ إليها، وصهرتهم لينتموا ويصبح الانتماء للوطن بالدرجة الأولى.

وكان حلم محمد على فى تحقيق إمبراطوريته، هو المصرى الذى كان مستعداً لينهض ويتمسك بروافد المعرفة وينهل بسرعة من أنهار الثقافة والعلوم، ونجد صيحات التنوير تسرى فى دماء المصريين، عرفت طريق التقدم والاستنارة، فنجد الشيخ محمد عبده مع بداية القرن العشرين ينادى بالاجتهاد للتوفيق بين الدين والدنيا، وكان يعتبر الاجتهاد واجباً شرعياً وقانوناً على الحاكم والمحكوم.

اعتمد محمد على وأولاده على المصرى، فى رؤيتهم لتحقيق طموحهم فى جعل مصر قطعة من أوروبا، فكانت البعثات لأبناء مصر لتحصيل العلم والمعرفة وكانت الحصيلة خيراً كثيراً، وخرجت النهضة المصرية الحديثة للدنيا وعلى رأسها عمامة، منذ كان الشيخ حسن العطار الإمام الأكبر وشيخ الجامع الأزهر فى عصره، يعلم تلاميذه الانطلاق نحو مفهوم حضارة العصر، حتى الشيخ أمين الخولى الذى حمل على عاتقه كيف نتصل بحضارة العصر، وبين الشيخين حسن العطار وأمين الخولى ما يقارب قرناً ونصف قرن من الزمان ولكنهما انشغلا بفكرة واحدة وكانت هى قضيتهما وهى تجديد حضارة الإسلام عن طريق تجديد الفكر الإسلامى فى مختلف أركانه والاهتمام بالتوفيق بين الدين والدنيا ووصل العلم والفن بالحياة حتى نكون ضمن عجلة الحضارة الحديثة مرتبطين بالحضارة العالمية، ولهذا كان محور التطور لمحمد على وأنجاله، العمل الدؤوب

عباس حلمى الثانى

كلوت بك

الشيخ محمد عبدة

ألهوية ألمصرية وأيامها ألمجيدة

بالحضارات العالمية شرقاً وغرباً، ولذلك حرص الشيخ حسن العطار على إرسال تلميذه رفاعة الطهطاوى إلى باريس ليتعلم ويدرس وبعث تلميذاً آخر من تلاميذه إلى سان بطرسبورج لينجراد الشيخ محمد عياد الطهطاوى أستاذ المستشرقين الروس.

وكان فى طليعة البعثات العسكرية إلى فرنسا عام 1818م عثمان نور الدين والذى أصبح فيما بعد رئيساً للعمارة البحرية المصرية بدلاً من محرم بك زوج ابنة محمد على، وتوالت البعثات أهمها بعثة 1826م تحت إشراف المهندس الفرنساوى جومار وكانت له إسهاماته فى موسوعة وصف مصر التى وضعها علماء الحملة الفرنسية، وأثبتت تفوق المصريين، ونبغ منهم رفاعة الطهطاوى مؤسس مدرسة الألسن وكان مدافعاً عن الآثار المصرية، وكان صاحب دعوة للمحافظة عليها ورفض أن يهدى الخديوى المسلات المصرية إلى الملوك الذين يزورون مصر، الأمر الذى أدى إلى بناء المتحف المصرى عام 1858م، وقبل افتتاح المتحف أصدر عباس حلمى فى 1897م أمراً علياً يمنع فيه التنقيب عن الآثار أو امتلاكها، وكان الطهطاوى هو المفكر الوحيد فى عصره الذى طالب بتعليم الصبيان مبادئ العلوم السياسية أو فن السياسة مع تحفيظهم القرآن الكريم ومن رواد البعثات، محمد مظهر باشا مهندس القناطر الخيرية، والذى عين ناظراً لمدرسة الطوبجية التى هى مدرسة المدفعية، وشيد منارة الإسكندرية عند جزيرة رأس التين وكتب التاريخ مزدحمة برواد مصريين وغير المصريين من الذين تمصروا أو عشقوا مصر الوطن، ومنهم حسن الإسكندرانى أسد البحار والذى تمصر وأصبح من أشهر قادة الأسطول المصرى. وكان مختار بك أول وزير مصرى للمعارف عام 1837م أما كلوت بك الفرنسى مؤسس مدرسة الطب واشتهرت بعثته بأوائل رواد الطب فى مصر ومنهم

الجمعية الجغرافية الخديوية

مسجد ومدرسة الناصر قلاوون

رفاعة رافع الطهطاوى

د حسين فوزى

أحمد الرشيدى وحسن الرشيدى ومحمد منصور وإبراهيم النبراوى الذى وصفه على باشا مبارك بأنه أنجب الجراحين واستحق لقب رئيس الأطباء وكان وفياً لأستاذه كلوت بك ومحمد على البقلى الجراح الشهير وأول مدير مصرى لمدرسة القصر العينى.

والحديث يطول والمصرى رائد ونابغ فى كل زمان ومكان وما على الإعلام إلا أن يفتح ملفات التاريخ ليقدم لشبابنا رواداً عظاماً حملوا مشعل النور والثقافة والعلوم على مدار التاريخ وهذا إرث يجب أن نفتخر به ويظل منارة للأجيال لتتعلم أن طريق النجاح والتفوق هو العمل الجاد، وعدم الوقوف على حواجز الزمن وكسر كل قيود أعداء النجاح وأن الإعلام مطالب بالكشف عن الروح التى اتسمت بها الحضارة المصرية والتى تنبذ التعصب والإرهاب والجهل وذلك من أجل إنعاش الذاكرة المصرية، وإذكاء الوعى فى شبابنا لحمايته من شرور التفسيرات الخاطئة للدين ومن الدعوات الضالة التى تدفعه إلى طريق العنف المدمر لحركات التنمية والتقدم والعمران.

قراءات ليلية

مصـــر هبة النيل

مثل شـــهير للمؤرخ الإغريقى المعروف «هيرودوت». لكنه لا يبين سر رخاء مصر إلا إذا أكمله المثل القائل «ساعد نفسك يساعدك النيل». فحتى العصر الحجرى الحديث، لم يكن نهر النيل يكون سوى الحدود الإجمالية لمصر. وكانت تتألف من رقع غرينية جففتها الشمس، وفروع النهر التى تتعرج وتنتشـــر وسط المســـتنقعات، وفى الصيف كانت المياه تغمر الأراضى المنخفضة تاركة الأرض المرتفعة جافة.

بذل الشـــعب فى مصـــر القديمة جهوداً جبـــارة حتى نظموا بســـرعة بناء الســـدود فى الوادى وسيطروا على الفيضان. وقد بدأ هذا العمل قبل ســـنة 3000 ق .م بزمـــن طويل، إذ تم عندما اتحدت مملكتا الشمال والجنوب فى عهد الملك مينا المؤسس الأسطورى لمنطقة منف. فلم تتكون هذه المملكة المركزية المنظمة إلا بالتوفيق بين السيطرة على رواسب الطمى، وتوزيع المياه على كل جزء من أجزاء المملكـــة، وجمع آلاف العمال المزودين بالفئوس والمقاطف فحسب. فإذا حدثت أزمة سياسية، اختل نظام توزيع المياه، وبعد فترة قصيرة من ذلك يختل الاقتصاد ويتدهور.

ولـــم يكن هذا العمل أمراً ســـهلاً، فكان لابد من إصلاح الأراضى بتســـوية الأكـــوام القديمة والجديدة وملء الحفر والمنخفضات وإعـــداد ضفاف النهر والجزر الجديـــدة للزراعة، وكانت هذه الجزر تتكون تدريجياً من الطمى الذى يجلبه النهر. ومـــع ذلك فلم تكن هناك مشكلة من مشاكل كثرة السكان تضطر المصريـــين إلى العمل فـــوق طاقتهم وإجهاد الأرض بكثرة الزراعة.

وقـــد احتفظ المصريـــون خلال العصور القديمة كلها بمساحات واسعة من أراضى المستنقعات لصيد الحيوان وصيد الأسماك وتربية الماشية وزراعة الفاكهـــة. ولكى يمنعـــوا ضياع المياه ويرووا أكبر عدد ممكـــن من الحقول، عمدوا إلى حفر الترع وســـط الأقاليم حيـــث كان مـــن الضـــرورى حفرها

السفير أشرف عقل

وتطهيرها وتخطيط مكان مرورها ليتم الانتفاع بها على خير وجه.

ولكـــى يوزع المـــاء بانتظام على الأراضى الصالحـــة للزراعة، والطمى الذى يجلبه النيل وقت الفيضان، شيدوا حياض الرى وأحاطوها بحواجز مرتفعة. وفى نهاية الصيف كانوا يفتحون عيوناً

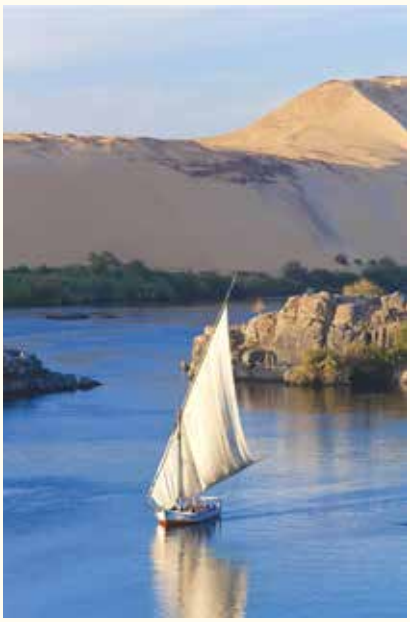

فى الســـدود فى أعلى النقط، وبعد أن تمـــر منها الكمية المطلوبـــة من الماء المحمل بالطمـــى، تغلق العيون. وبعد ذلك بخمسة عشر أو عشرين يوماً، يأتى «عيد فتح الحياض». فـــإذا ما امتلأت الحياض بالماء، بدأ العمل، وبذر الحب. وبطبيعة الحـــال، كان الوقت الذى يتم فيه هذا العمـــل، يختلف من مكان إلى آخر تبعاً لارتفاع الفيضان.

إلا أن الفرق بين الظروف القديمة والحديثـــة يتمثل فى أن الـــرى حالياً مستطاع أغلب شهور السنة، بينما كان فى الماضى لا يحدث إلا مرة واحدة فى العام، ماعدا فى البســـاتين القريبة من الأحواض التى يأتيها الماء بانتظام من مأخذ من النهر. وفى العصور القديمة كان البســـتانى ينزل على سلالم زلقة، فيملأ ســـقاءين كبيريـــن معلقين من طرفى قضيب خشبى يحمله فوق كتفيه، ثم يصعد بهمـــا إلى الحديقة فيفرغهما فى قناة تصب فى أحواض مســـتطيلة الشكل، ثم جرى اختراع الشادوف بعد ذلك.

مراجع :

1- معجـــم الحضـــارة المصرية القديمة لمجموعة من المؤلفين الأجانب، طبعة عام 1996م، القاهرة.

2- المعجم الموسوعى للمصطلحات الثقافيـــة، مكتبة لبنـــان، طبعة عام 1990م.

تقدمها نادية الريس

رابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين

كان اللقاء الشهرى الأول لرابطة زوجات الدبلوماسيين المصريين لهذا الموسم لقاءً ثرياً بكل ما تحمله الكلمة من معان.

كان لقاؤنا مع معالى وزير الخارجية السابق والنائب بمجلس النواب السفير/ محمد العرابى وأمل هانم العرابى.

شملت المحاضرة العديد من النقاط المهمة والموضوعات التى تهم الدبلوماسيين وزوجاتهم وقد غطت المحاضرة النقاط التالية:

1 - الوضع فى المنطقة.
2 - الإرهاب عبر الحدود.
3 - التقليل من قيمة الدولة المركزية.
4 - التقليل من قيمة الجيوش التقليدية.
5 - وجود تحالفات غربية محور روسيا وإيران وتركيا/ فى سوريا.
6 - تحالفات تكتيكية على الأرض.
7 - دولة محتلة من ثمانية جيوش.
8 - التواجد الروسى.
9 - انتشار القواعد العسكرية فى المنطقة بشكل غير مسبوق.
10 - بعض الدول الناعمة أصبحت دولاً ذات سياسة تتسم بالخشونة.
11 - إسرائيل تطير فى أجواء الدول العربية: العراق - سوريا - لبنان.
12 - تراجع الاهتمام بالقضية الفلسطينية.
13 - العالم العربى/ حرب استنزاف شرسة ستؤثر على عمليات التنمية للموارد والبشر.
14 - لن يتم إنهاء أى صراعات فى المنطقة.
15 - ما خلق على الأرض سيظل على الأرض.
16 - تفكك النسيج العربى/ قطر.
17 - التحالف التركى الإيرانى الروسى به اختلال.
18 - إنشاء حزام إرهابى جديد بين الساحل والصحراء والصومال وتشاد والنيجر ومالى.
19 - دور التكنولوجيا فى دعم الإرهاب.
20 - كل دول المنطقة أصبحت ترى أن الأمن القومى يبدأ خارج حدودها.

أولويات مصر:

1 - الغاز وتركيا والوضع فى البحر المتوسط والعلاقات

مع قبرص.

2 - حـــدود ليبيا، وإجهاض العمليـــات قبل وصولها لمصر.

3 - لم نتعامل مع إثيوبيا بشكل صحيح منذ البداية.

- حديث عن الدبلوماسية العامة «بالأمثلة».

- البرلمان والتجربة الحياتية فى السياسة بعد العمل الدبلوماسى الحافل.

ثم مناقشات حافلة بين العضوات ومعالى الوزير بعد وخلال الحديث الحافل الملئ بالمعلومات القيمة مع وعد بلقـــاء آخر فى نهاية هذا اللقاء التفاعلى الحافل باســـم جميع الحاضرات وباسمى أشكر معالى الوزير وأمل هانم على تشريفهما للقاء الشهرى الأول لهذا الموسم.

سفير
فخرى عثمان

(تكرار العناصر الفنيه بين التلميح والتصريح فى الطباعة الخشبيه)

الفنان حاتم الحلو

أقـــام الفنان د. حاتم الحلو معرضـــاً لأعماله الفنية فى مركـــز الجزيرة للفنون، والفنان الحاصـــل على بكالوريوس الفنون الجميلة (تخصص جرافيـــك) جامعة المنيا، وحصل على درجة الماجســـتير من نفس الجامعة، ودرجة الدكتوراة فى فلســـفة الفنون من قســـم التاريخ والآثـــار من جامعة أرســـطو ســـالونيك باليونان بدرجة امتياز أعـــد أبحاثاً فى التصميم الجرافيكى بالجامعة المجرية للفنون فى بودابست، وسبق له الاشتراك فى العديد من المعارض العامة والجماعية والخاصة وكذلك الدولية ومنها (بينالى بهارت بهافان الدولى، ســـمبوزيوم كندا الدولى لفن الجرافيك، بينالى فن الجرافيك فى بلجيكا، ترينالى طوكيو الدولى للأعمال الفنية الصغيرة، بينالى سابوزو للطباعة فى اليابان).

كما حصـــل الفنان على العديد من الجوائز وشـــهادات التقدير وله من المقتنيات لدى متحف الفن المصرى الحديث ومتحف ســـتدلجيك فى بلجيكا ومتحف تاونـــى فى اليابان ومتحف الفن المعاصر فى المنيـــا وغيرها من المتاحف فى ألمانيا وروســـيا والنرويج واليابان والمجر واليونان، وأنشر ثلاث لوحات للفنان التى تعبر عن رؤيته الشـــخصية لقضايا لا يســـهل للمتلقى التعرف على مضمونها ومدلولها، ولكنها تشكل تكوينات شكلية ومنظومات لونية متفاعلة فيما بينها ومع عناصر التشكيل والتى تصور بصمته الشخصية فهناك من الإبداع الفنى ما يستوقف المتلقى كثيراً.

للفنان احترامى وتقديرى.

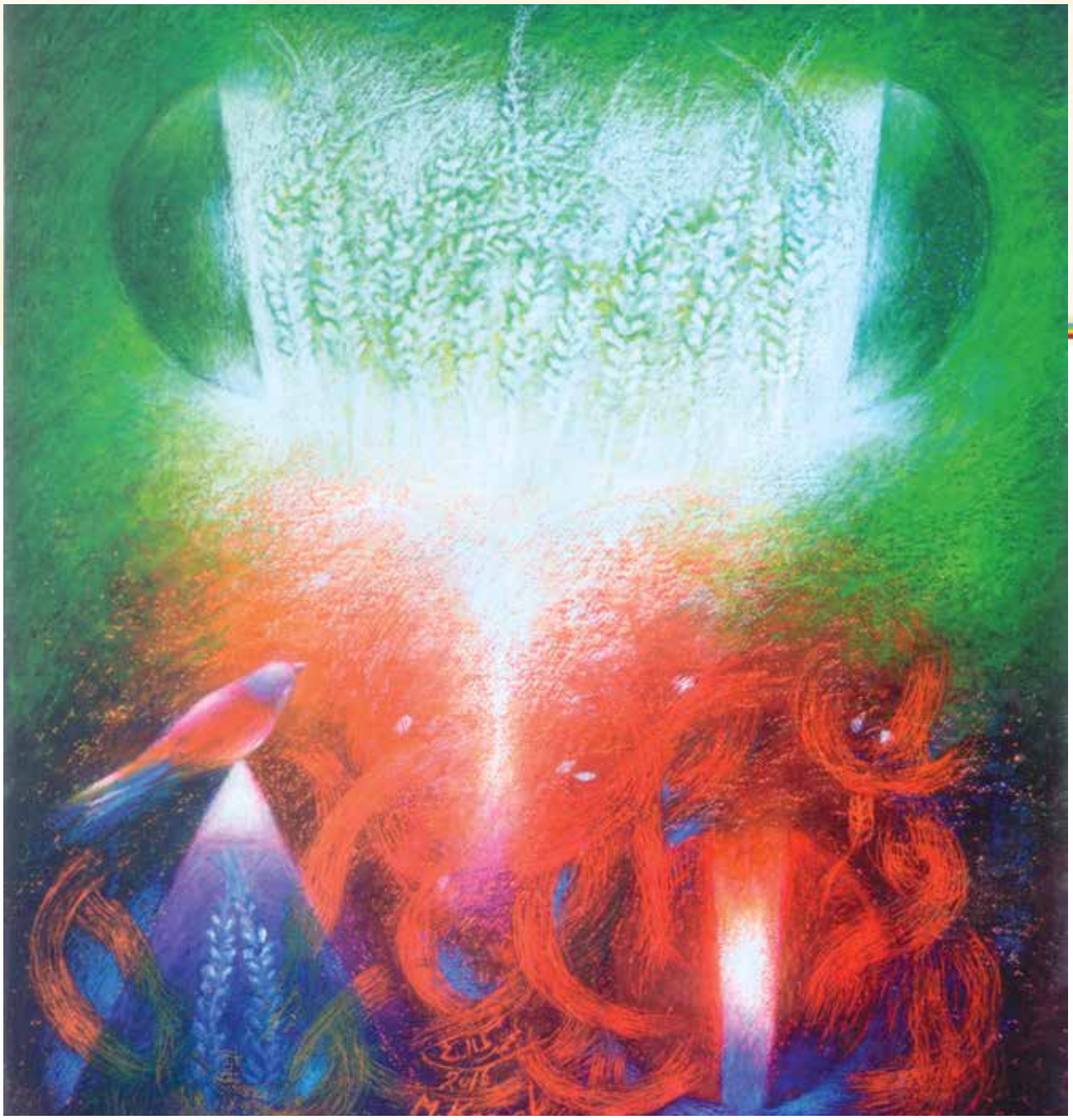

الفنان محمد كمال

أقـــام الفنان محمد كمـــال معرضاً لأعمالـــه الفنيـــة من اللوحـــات بخامة الباســـتيل الزيتـــى فى قاعة بيكاســـو بالزمالـــك، وكان موضـــوع اللوحات (ينابيع النور)، والفنان يمارس نشاطه فى الإبداع الفنى التشـــكيلى وكذلك النقد فى مجال النقد الفنى، ويشـــارك فى الحركة التشـــكيلية من خلال المعارض الخاصة والجماعية والمهرجانات والورش الفنية ولاســـيما ورش الأطفال، وقد شارك أكثر من مـــرة فى لجان تحكيم المســـابقات الفنية عضواً أو رئيســـاً أو قوميســـيراً . وسبق له الحصول على الجائزه الأولى من الجمعية المصرية لنقاد الفن التشكيلى عام 2003 فى مســـابقة تحـــت عنوان (حســـين بيكار فناناً وناقداً) كما أصدر عدة كتب فى النقد التشكيلى هى (وهج الشـــرق- طيور تأبى الرحيـــل - صياد النـــور- عرس الشـــهيد - ترانيم الماء - موسيقار الرمال).

وجاء إبداع الفنان الصديق يتراقص مع نقاء القلب والعقـــل وصفاء النفس والروح مبتهجاً متفاعلاً مع واقع الحياة فى تفاعل يتســـم بالسكون وحب الحياة والقيمـــة الجمالية أينمـــا وكيفما كانت والتى أبدعها الخالق لســـعادة الإنســـان الذى كرمه الله فى كل مكان وزمان.

وأرى أن الفنان قد اســـتمد طاقاته الإبداعية المتميزة من ثمار ما استقبلته حواســـه خلال طفولته ورحلاته الطائرة وعبـــوره فـــوق المـــدارس والمذاهب المختلفـــة الكلاســـيكية والصيحـــات الشـــبابية الصارخة العصرية فى ثبات ويقيـــن وحكمة لها جذورها الراســـخة المســـتقرة فأبدعـــت يداه الممســـكة بالفرشاة التى تحمل الألوان لتصبها على توال اللوحة وتترك حمولتها فى أشـــكال وتكوينـــات وخطوط هادفـــة تعبر عن الرقة والدقة والرومانسية. وإننى أسجل إعجابى بلوحة الحوار والجدال الصامت بين الديك والأرنب!

تهنئتى القلبية لأخى وصديقى الحبيب ومع كل تقديرى واحترامى

المستقبل آسيوى (2) Asian The future is

نعرض فى هذا القسم من الاستعراض عن المستقبل الآسيوى مفهوماً ضرورياً وهو:
أهمية الفهم الصحيح لآسيا
إن الموقف الصحيح لفهم الدينامية الآسيوية من الداخل للخارج، وتاريخ آسيا وواقعها لا يجب الاعتذار عنه أو توصيفه أو تحديد أى نظام لها من قبل الغرب أو النظر بعدم ارتياح غربى أوروبى لوجود ما يقرب من خمسة مليارات آسيوى أو الادعاء بأنه ليس لهم أهمية فى العالم بل العكس هو الصحيح.

سفير د. محمد نعمان جلال
galal_m@hotmail.com

فالولايات المتحدة بدأت التفكير والاهتمام بآسيا والاعتماد على المواهب الخارجية من آسيا Outsourcing وتآكل القاعدة الصناعية للولايات المتحدة من بين الأسباب البارزة التى تثير قلق بل وإحباط الطبقة العاملة الأمريكية، وهذا كله ما أدى بالرئيس دونالد ترامب للوصول للبيت الأبيض، وهناك الآلاف من الجنود الأمريكيين يعيشون لكسب أرزاقهم على الخطوط العسكرية فى العراق وسوريا وأفغانستان وشرق آسيا هو موطنهم/ بيتهم) حيث يزداد عدد الخبراء الأمريكيين فى اليابان وكوريا الجنوبية.

وآسيا باعتبارها المقصد الأول للطاقة الأمريكية بزيادة صادرات النفط الأمريكى عبر الباسيفيك بأكثر من 500٪ ما بين عام 2011 وعام 2016 خاصة للصين، بل إن عجز تجارة أمريكا مع الصين كان سيكون أكبر حجماً وأكثر خطورة ما لم تصدر أمريكا للصين البترول، خاصة وأن هذه الحقائق تتناقض مع اهتمام أمريكا بالتركيز على الداخل الأمريكى. ورغم التركيز الأمريكى الكبير على آسيا فإن الآسيويين يتطلعون للمزيد من الاكتفاء الذاتى عن أمريكا ومع هذا فقد زادت صادرات السلاح الأمريكى لكل من السعودية والهند واليابان وتايوان والتفسير الصحيح لذلك هو رغبة بعض الدول الآسيوية، لتعزيز دفاعاتها وحماية بلادها بمزيد من الإنفاق على واردات السلاح من أمريكا أو بالرغبة فى دفع الولايات خارج بلادها (حالة الصين) أو على الأقل تخفيض الاعتماد على أمريكا (حالة كوريا الجنوبية) وتعمل آسيا بقوة للوصول إلى مصادر الطاقة القطبية Arctic. ومن روسيا وآسيا الوسطى وإفريقيا أيضاً والاستثمار فى البدائل الخاصة بهم كمصادر للطاقة المتجددة مثل الغاز الطبيعى، والطاقة النووية، الطاقة الشمسية، طاقة الرياح، أو الطاقة البيولوجية Biomass وما زال الدولار الأمريكى هو العملة الرئيسية كاحتياطى عالمى. ولكن الآسيويين أصبحوا يتجهون لاستخدام عملاتهم فى التجارة والتخلص من بعض الاحتياطات الدولارية، وكثير من الشركات الأمريكية الكبرى مثل أمازون وأبل ومكاتب العديد من الشركات المشتركة Corporate الأمريكية تعتمد على آسيا ونصيبها من السوق الآسيوى وفى العالم، وهذا يعبر عن وجهة النظر الآسيوية بأن أمريكا ليست مجتمعاً متجانساً بل هى مصدر تزويد بالخدمات Service Provider فالسلاح الأمريكى ورأس المال الأمريكى والبترول والتكنولوجيا هى منافع فى السوق العالمى، وأمريكا هى بائع، وآسيا أصبحت أكبر عميل لها ومنافس فى نفس الوقت. وكانت أمريكا فى الماضى هى المصدر الطبيعى by Default للسلاح والأمن ورأس المال والتكنولوجيا، ولكن الدول الآسيوية أصبحت مصدراً متصاعداً لتلك السلع والخدمات لبعضها البعض، وأمريكا يتزايد التخلى عن الاعتماد عليها أكثر مما يتصور.

ولكى ترى العالم من منظور آسيوى ينبغى التغلب على عقود من الزمن متراكمة من عدم المعرفة بآسيا بل مازال العالم حتى الآن ينظر لآسيا من منظور غربى وحتى الأزمة المالية العالمية ليست عالمية Not Global فالنمو الآسيوى لم يتأثر بل زادت معدلاته فى كثير من الدول الآسيوية مثل الهند والصين وإندونيسيا وماليزيا وأوزبكستان عام 2018 رغم انخفاض أسعار الفائدة فى أوروبا وأمريكا، فإن الحافز لارتفاع معدل النمو مستمر فى آسيا ولم تتأثر آسيا بخروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبى ولا سياسة ترامب إذ أن حكوماتها تركز على النمو والسياسات الاجتماعية. وفى حين أن أمريكا وأوروبا يرون «الحائط» يرتفع فيما بينهم، فإن هذا الحاجز ينخفض فى آسيا كما أن معظم الآسيويين ينظرون للمستقبل ومتفائلون وينظرون للخارج بعكس الغرب المتشائم والذى ينظر للداخل.

ومفهوم المرآة الخلفية Back Mirror الأمريكية والغربية مازالت تسيطر على نظرتهم لآسيا وأقاليم أخرى ويرونهم غير قادرين على اتخاذ القرار بأنفسهم فيما يخصهم، وإنهم ينتظرون ما تقوله لهم القيادة الأمريكية. وعلى العكس من ذلك فإن الآسيويين يرون العقدين الماضيين سادهما عجز الرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش وعدم كفاءته ويرون باراك أوباما بنصف قلب فى اتخاذه القرارات، ويرون ترامب لا يمكن التنبؤ بقراراته.

وترى الولايات المتحدة أن قائمة التهديدات أمامها هى من جماعات الإرهاب ISIS وإيران وكوريا الشمالية والصين. ولم تطور أمريكا إستراتيجية شاملة ويلاحظ أن معظم التفكير الأوروبى حول آسيا يتركز على الصين للبحث عن من سيكون رقم واحد- وكثيرون يفكرون بمنطق بسيط يركز على ما يسمى مجموعة الاثنين G2 الولايات المتحدة والصين وهما يتنافسان على قيادة العالم. ولكن سواء العالم أو آسيا لا يساير التفكير فى قيادة الصين للعالم (Tianxia) Harmonious Global

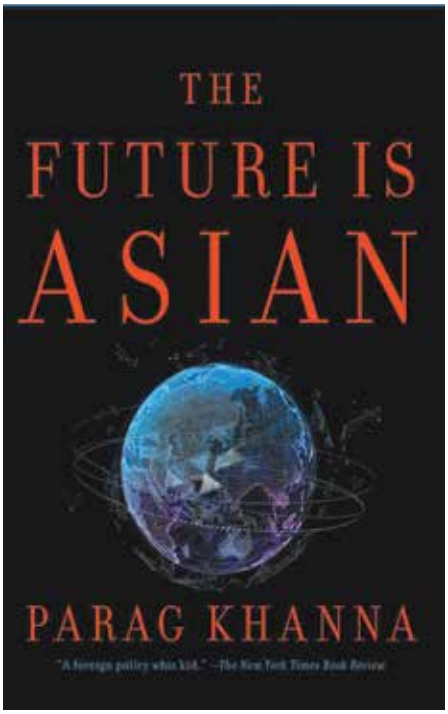

غلاف الكتاب

System أو مفهوم التناغم الكونفوشى Confucius رغم أن الصين حالياً لديها قوة ونفوذ أكثر من جيرانها وسكانها ثابتون Plateau ring وإن كان من المتوقع أن يصلوا للذروة فى عددهم عام 2030 من سكان آسيا البالغ 5 مليارات نسمة منهم 3.5 مليار ليسوا صينيين، وديونها كبيرة مما يقلق السكان وارتحام السوق الداخلى بالشركات الأجنبية المتنافسة على أسواق الدول الآسيوية الأصغر التى أكثر انفتاحاً من الأسواق الصينية للسلع الغربية. فالصين لديها ثلث سكان آسيا ولكن الناتج الإجمالى أقل من نصف الناتج المحلى الآسيوى وتقريباً نصف الاستثمار بالخارج وأقل من نصف الاستثمار الداخلى (المحلي) للصين فآسيا أكبر من مجرد الصين+ Asia More than just China Plus.

إن مستقبل آسيا أكبر بكثير مما ترغب الصين التى هى تاريخياً ليست دولة استعمارية وهى على خلاف الولايات المتحدة حذرة جداً بخصوص التورط فى الخارج. فالصين تريد الموارد والأسواق الأجنبية، وليست المستوطنات والمستعمرات الأجنبية، وجيوشها المنتشرة من بحر الصين الجنوبى إلى أفغانستان وإلى شرق إفريقيا مهتمة بحماية الخطوط العالمية لإمداداتها. والإستراتيجية الكبرى للصين هى العمل على إنشاء بنية أساسية عالمية تستهدف تخفيض اعتمادها على مورد أجنبى وحيد، وهو نفس ما ينطبق على استثماراتها الكبيرة فى الخارج وإطلاق الصين مبادرة الحزام والطريق لا يثبت كونها تسعى لحكم آسيا، ولكنه يستذكر أن مستقبل الصين مثل ماضيها مرتبط بآسيا، بينما الحزام والطريق ينظر له الغرب على أنه خطة للهيمنة. والصحيح أنه يستهدف تسريع تحديث وإنماء الدول مثلما فعلت الولايات المتحدة مع أوروبا وآسيا أثناء الحرب الباردة. ومبادرة الحزام والطريق BRI هدفها أن تدرك الدول الأخرى الشركاء فى المبادرة بما فى ذلك الصين كيف أن منطق الاستعمار انتهى إذ بانضمام الدول الآسيوية للمبادرة BRI يعنى أنها ضمناً اعترفت بالصين كقوة عالمية ـ ولكن الحاجز أمام مفهوم الهيمنة مرتفع جداً. ولكنه ليس مثل التدخل الأمريكى فلا ينبغى أن نسارع بافتراض أن الطموحات الصينية ستنجح بلا أية عوائق أو أن الدول الأخرى لن تكون جريئة فى تأكيد ذاتها. ونلاحظ هنا أن المؤلف لهذا الكتاب استفاق إلى حد ما من خضوعه اللاشعورى حول ما يراه الأمريكيون بالنزعة العدوانية للصين. وذلك بتأكيده أن الهند وروسيا النوويتين فى أقصى درجة من اليقظة لأى تدخل صينى فى سيادتهما ومصالحهما، ونفس الشئ ينطبق على اليابان وأستراليا رغم إنفاق الصين 50 مليار دولار ما بين عامى 2000 - 2016 على مشروعات البنية الأساسية والإنسانية فى الإقليم ولم تشتر الصين أية ولاءات ذات قيمة وعبارة «الصين تقود آسيا» China leads Asia لن تكون مقبولة لدى معظم الآسيويين بأكثر من كون عبارة «أمريكا تقود الغرب غير مقبولة» بالنسبة للأوروبيين اليوم. ولكن الصين تمتاز بأنها أول محرك فى تلك المناطق بينما المستثمرون الآسيويون والأوروبيون ترددوا، ورغم ذلك فهناك دول أكثر وعياً بالنسبة لاحتمالات عيوب الاستثمارات الصينية أو سياسة الميركينتالية الصينية، من الدول التى ظهرت بعد الاستعمار مثل باكستان أو بعد الاتحاد السوفيتى مثل جمهورية أوزبكستان أو كازاخستان فهم لا يحتاجون للإعلام الأوروبى لكى يحذرهم ويذكرهم بتاريخ الاستعمار السابق. ويلاحظ أن الدول المعنية تزداد فى التقدم بمقترحاتها بإعادة التفاوض حول المشروعات والديون الصينية ورغم أنها هى التى تساعدهم على تطوير دولهم، فهى من ناحية أخرى تعزز تعنتهم فى مقاومة أى افتئات صينى فى مستقبل بلدهم، بل إن التحرك الصينى حفز الدول على سباق لتعزيز البنية الأساسية من بعض الدول مثل الهند واليابان وتركيا وكوريا الجنوبية وغيرها حيث يسعون لمزيد من الاستثمارات لمساعدة الدول الصغيرة فى الترابط بينها ومواجهة المناورات الصينية، وفى النهاية لن يكون الموقف الصينى آسيوياً أو يسعى لهيمنة عالمية وإنما أداة اجتذاب لآسيا والأوروآسيوية لبناء نظام كبير. وفى تقديرى أن هذه الفقرة تعد عودة لمفهوم التوازن العلمى والبحثى فى نظرة المؤلف لمكانة الصين ودورها فى آسيا والعالم.

ولا شك أن تلك الدول الآسيوية وهى تنظر للمستقبل تحرص على تعدد الأقطاب والحفاظ على استقلاليتها، كما كانت فى الماضى بحضاراتها العديدة التى ولدت لديها الثقة فى الدخول فى تعاون مستقبلى مع الغرب وإقامة تعايش بناء مع بعضها البعض فنهوض آسيا سيكون فى البنية الأساسية ولكن بعضها سوف تظل كجيوب حول لندن وواشنطن ولن تعتمد فقط على الصين التى ستنمو ببطء فى المستقبل، أو قد تنفجر تحت ضغوط التنافس الوطنى. وفى تقديرى أن هذه الملاحظة ليست دقيقة أو ذات صلة لأن الدول الآسيوية تقلد بعضها البعض فى نجاحاتها فالجميع سيعتمد على التنافس فى دول العالم الأخرى وبذلك يصبح مفهوم آسيوة آسيا مثل آسيوة العالم.. وهذا سيذكرنا بسياسة أوربة العالم، أو أسلمة العالم كما تردد بعض الجماعات الإسلامية المتشددة.

Asianization of Asia like Asianization of the World or Europeanization of the World or even Islamization of the World as certain Fundamentalist Muslim Groups claim.

وهذا سيذكر بسياسات أوربة العالم Europeanization of the World بعد الحرب العالمية الأولى أو أمركة العالم Americanization of the World عندما أصبحت أمريكا القوة الرئيسة بعد الحرب العالمية الثانية. وهذا كله كان مقصوراً على بعض المستعمرات الأوروبية أو الإدارة الأوروبية أو بعض الجيوش الأمريكية أو الغزو الأمريكى من خلال المساعدات العسكرية وربط العملات الأخرى بالدولار الأمريكى، أو ربط بعض التنظيمات فى الدول الأخرى النامية بالقوى الناعمة فى أمريكا حيث ملايين البشر ارتبطوا بالثقافة الأمريكية وبالعلاقات السيكولوجية مع أمريكا ولديهم علاقات مع بريطانيا أو فرنسا وعائلات تعيش فى أمريكا أو كندا أو بريطانيا أو ينضمون للفرق الرياضية البريطانية ولا ينسون الأفلام والممثلين والممثلات الأوروبيات والأمريكيات ويتابعون الانتخابات الأمريكية.

ويرى المؤلف أنه فى القرن الحادى والعشرين فإن الأسيوة Asianization تظهر كطبقة جيولوجية للحضارة العالمية، وكما فى السابق فإن الأسيوة

تظهر فى صور متعددة وبوجه عام يتبع سلعاً للصين وبعض مهندسين من الهند وشراء بترول من السعودية وقضاء العطلة فى اليابان أو إندونيسيا واستخدام ممرضات من الفلبين واستقدام طيارين من كوريا والقيام بالتدريب المهنى فى الإمارات وينتقل رجال الأعمال الآسيويون فى مختلف أرجاء العالم ويحصلون على تأشيرات حرة. وكل من سنغافورة واليابان سبقتا الشركات الألمانية فى انتشار جوازات سفرها فى معظم الدول الأوروبية، وماليزيا بدورها سبقت معظم الجوازات الأوروبية وامتدت طبقة الأسيوة لتؤثر فى هوية الشعوب وحياتهم اليومية. وانتشر فى العالم تعلم اللغة الصينية واليابانية ورجال الأعمال من الدولتين وغيرهما، وهكذا أصبح الآسيويون يتدفقون على شواطئ عمان والفلبين والتزاوج بين الهنود والفلبينيين، وبعض الشباب يتحولون للإسلام، كما تعرض المسارح فى العالم الأفلام الهندية Bullywood. كما انتشرت الطريقة الآسيوية فى إنجاز الأعمال فى حكومات الدول. وحدث تزاوج بين التأثير الديمقراطى والتأثير التكنولوجى وأسلوب الحوار الغربى لم يعد يركز على مفهوم الحقوق بل أيضاً على الالتزامات والمسئوليات. وانتشرت المدارس التعليمية والجامعات الآسيوية فى العديد من الدول، كما أن سنغافورة وخاصة كلية «لى كوان يو» فى السياسة العامة انتشرت فى العديد من الأقاليم والدول.

وخلص المؤلف لمقولة إن انتشار الأسيوة فى العالم لا يعنى التخلى عن الأمركة أو الأوربة ولكنها أصبحت مثل طبقة من الطلاء أو الألوان على لوحة الرسم. وقد سبق وأبرز المؤرخ الإنجليزى أرنولد توينبى Toynbee Arnold أن الحضارات لا تحل محل بعضها ولا تتجاهل الأفكار المتنافسة ولا تستبدل ذلك بأفكارها كاملة. وبهذا المنطق فإن الأسيوة Asianization تستعير الكثير من الماضى حتى وهى تنشر مبادئها فى العالم فالأوربة فى القرن التاسع أخذت من فلسفات عصر الاستنارة ومن الإدارة الحكومية الحديثة، وهذا بدوره أدى لنشر الاستعمار ثم مفهوم الاستقلال وتقرير المصير وهو مفهوم نشرته أمريكا عبر المنظمات الدولية مثل الأمم المتحدة كما نشرت الرأسمالية والتصنيع.

والآسيويون أعادوا بصورة جديدة نظرية الميركنتالية Mercantilism فى التجارة والصناعة التى تحميها الحكومات بدلاً من نظرية حرية التجارة الرأسمالية. والأسيوة لا تسعى لاستبدال أو تغيير كل ما هو ماضٍ بصورة كاملة وإنما تعديله وتطويره، وهكذا لا تسمح بنموذج واحد وإنما بنماذج متعددة. والتطور يسعى للمزاوجة بين النماذج وتطويرها ومن ثم أحيانا لاستبدال نظريات الاستهلاك الأمريكية أو الديمقراطية الأمريكية بنماذج آسيوية حديثة. وهذا لا يعنى سيادة نظرية واحدة وإنما هى الطرق والوسائل الآسيوية لبلورة وتشكيل النظام العالمى والذى يشمل الكل وما يحدث الآن هو بداية لمرحلة الأسيوة عبر الحضارات العديدة كما فعل الغرب فى الماضى حيث تسللت الأفكار الأوروبية والنظريات عبر التطور بما فى ذلك الحروب والاستعمار وهذا ما أدى للأمركة والأوربة.

وهذا ما يمكن أن يحدث من الأسيوة على المستوى العالمى. فأمريكا نجحت فى جعل العالم وفقاً لنموذجها، وآسيا تفعل ذلك الآن، ويعمل العالم لكى يجعل الأسيوة جزءاً من ذاتيته. ويقدم المؤلف سيرته الذاتية ومسيرته المهنية من الهند للإمارات العربية المتحدة ثم لأمريكا وفى ركوب الطائرات فى الصفوف الأمامية وتأثره بمراكز الفكر الأمريكية. ويشير المؤلف إلى وجود الكثيرين من آسيا فى مواقع مهمة وقيادية فى أمريكا وألمانيا وسويسرا خاصة جنيف. والآن هو يعيش فى سنغافورة ويلاحظ أن كثيراً من الآسيويين يحرصون على دراسة آسيا وحضاراتها، كما أن كثيراً من الأمريكيين والأوروبيين يدرسون تاريخ حضارات آسيا ويشعرون أن الأسيوة مهمة لعالم اليوم وللمستقبل أيضاً، ولذلك ينبغى على العالم اليوم أن يسعى لمعرفة وفهم العهد الصحيح والجديد ألا وهو الأسيوة اليوم وغداً. وهذه الأسيوة تمتد من سوريا إلى إيران إلى الصين وكوريا الشمالية. وأيضاً ينبغى إدراك أن السياسات الاقتصادية الآسيوية اليوم تشكل الصناعة الأمريكية كما تأخذ مركزاً محورياً فى السياسة الأمريكية.

ويلاحظ أن كثيراً من القادة فى العالم لا يفهمون جيداً آسيا ونظمها الاقتصادية خاصة بعض قادة من أمريكا وأوروبا، وهم يعطون أولوية للصين دون معظم الدول الآسيوية الأخرى، ومع هذا فكثير منهم لا يعرفون جيداً المدن والأقاليم الصينية ولا أيضاً الدول الأخرى، رغم أن الصينيين ينفقون مليارات الدولارات للتنمية فى الكثير من الدول الآسيوية. ولديهم أنصار فى بعضها وردود فعل عكسية أحياناً فى البعض الآخر.

ويطرح المؤلف التساؤل المنطقى أين الهند والعرب والأتراك والفرس من الاهتمامات الحقيقية فى أمريكا وأوروبا؟

وختاماً: يوضح المؤلف أن الآسيويين يفهمون بعضهم البعض. ويدعو المؤلف لإعادة تنشيط الذاكرة عن تاريخ آسيا وطريق الحرير القديم وليس عبر القوى الاستعمارية. ويمكننى التعليق بأن المؤلف أيضاً يتسم ببعض ضيق الأفق الذى يعيبه على كثيرين فى العالم فهو يعتقد أن سنغافورة هى العاصمة غير الرسمية لآسيا وهذا به بعض الصحة والصدق ربما فى مرحلة سابقة على بروز نهضة الصين والهند وغيرها من دول النمور الآسيوية وباختصار نقول أنه عبر عن بعض الحقيقة فى تاريخ معين ولكن ليس عن كل الحقيقة. والمستقبل الآسيوى يتوقف على مرحلة زمنية تجاوزها العصر الحالى لأن الكثير من الدول الآسيوية تقدمت بل بحكم عدد سكانها وضخامة مساحتها تفوقت على سنغافورة التى كان يمكن وصفها بأنها االعاصمة الآسيوية غير الرسمية فى النصف الثانى من القرن العشرين لكن اليوم فإن مدناً مثل دبى ربما تفوقت على سنغافورة فى جوانب عدة. وهذا لا يقلل من دور وأهمية سنغافورة كنقطة تلاقى لخطوط الطيران الدولية وكملتقى لبعض الاجتماعات الآسيوية والدولية أحياناً، وكدولة جزرية صغيرة محدودة الموارد الطبيعية حققت نموذجاً للتقدم وإلى حد ما للديمقراطية وتبادل السلطة وعدم بقاء الحاكم فى المنصب بصورة أبدية أو شبه أبدية كما فى كثير من الدول النامية وخاصة الدول العربية الآسيوية والإفريقية. كذلك حققت سنغافورة نموذجاً لاستيعاب وتعايش الأعراق والعقائد المختلفة وأيضاً نموذجاً للبيروقراطية الأمينة والمنضبطة وكفاءة الموارد البشرية للدولة. ولعل هذا هو أحد عوامل نجاح النموذج السنغافورى مقارنة بالعديد من الدول الآسيوية والنامية الأخرى.

وتبقى كلمة أخيرة أين العالم العربى وحضارته مما يدور حوله من أوروبا أو أمريكا أو آسيا؟ وهل هو ينتمى لآسيا ومن ثم ينقسم العالم العربى ما بين آسيا وإفريقيا؟ ونعود لنظام الطوائف فى الأندلس وما لحق بها من كوارث فالتشتت العربى ظاهرة واضحة للعيان. ونختتم بطرح السؤال متى يفيق العرب؟

الجنة والنار اختيار

نعم.. وإلا لما قال خالق الوجود «منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة» (آل عمران: 152) وفى سورة الشورى يقول ذو الجلال «من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب» (الشورى: 20)

سفير د. فتحى مرعي

وليس معنى أن من يريد حرث الآخرة لا يهتم بالدنيا أو يوليها ظهره.. هذا ليس المقصود.. والمقصود هو أن من الناس من لا يهتم بآخرته ولا يعيرها التفاتاً، وهو غارق حتى أذنيه فى حب الدنيا ولا يبغى شيئاً غيرها.. مثل هذا الشخص يعطيه الله ما أراد ولا شىء غيره.. أما الذى يريد الآخرة ويسعى لها سعيها، ويعطيها ما تستحقه من اهتمام، فالله يبارك له فى دنياه وأخراه جميعاً.. فهو فى الدنيا فى أمان الله، وفى الآخرة هو من الفائزين بجنات عرضها السماوات والأرض «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين. والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين» (آل عمران: 133 - 136) فالله يدعونا أن نسرع إلى طلب مغفرته والفوز بجناته، بأن ننفق فى اليسر والعسر، أى نتصدق على من قدر عليهم رزقهم وشحت مواردهم، وأن نؤثر الحلم والصفح الجميل عمن أساء إلينا، والله يكافئنا على ذلك بمغفرة ذنوبنا «وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم» (النور: 22).

كما يوجهنا ربنا تبارك وتعالى إلى أنه إذا زلت أقدامنا وارتكبنا فاحشة، أو ظلمنا أنفسنا باقتراف السيئات أياً كانت، أن نذكر الله ونستغفر لذنوبنا، ولا نستمرئ المضى فى ارتكاب المعاصى، وجزاؤنا إن فعلنا أن يغفر الله لنا ويقيلنا من عثرتنا، وأن يدخلنا جناته خالدين فيها.. وتروون أن الله يفتح لنا أبواب رحمته ولا يوصدها دوننا.. وما علينا إلا أن نعدل عن ارتكاب السيئات التى اجترحناها، ونستغفر الله ونتوب إليه، ونقدم صدقات بين يدى توبتنا لمن يحتاجونها، ونعفو عمن أساء إلينا ولا نبادر إلى رد العدوان بمثله، فذلك أدعى أن يعفو الله عنا.

وواضح مما تقدم أن الجنة والنار اختيار.. والذى يريد الجنة يعمل لها ويسعى من أجلها، وطريق ذلك واضح بأن نتقى الله ما استطعنا، وألا نتعدى على غيرنا بأى شكل من أشكال التعدى،

ثم إذا تورطنا فى إثم أو معصية نعود إلى الله طالبين منه العفو والمغفرة. هل هذا أمر لا نبلغه إن كنا نريد الجنة بحق؟

أما الذى لا يكترث بالآخرة ولا يعيرها اهتماماً، وكل مناه أن يبلغ من الدنيا ما يتمناه، فهو قد اختار جهنم، وهو حر فى اختياره، وطالما أعرض عن آخرته فهو وشأنه، ولن تستطيع أن تفعل له شيئاً، حتى لو حاولت أن تثنيه عن طريق النار.. طريق الهلاك والدمار.. والله يوصى نبيه محمداً «صلى الله عليه وسلم» أن يعرض عن أمثاله «فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى. ولله ما فى السماوات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى» (النجم: 29 - 31).. فلن يصيبك منه إن حاولت معه إلا السخرية والرد غير الكريم.. هو لا يريد أن يذكره أحد بالآخرة، فهو منها فى شك، وصدق الله العظيم فى قوله سبحانه «ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين. وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شىء حفيظ» (سبأ: 20 - 21).

هؤلاء.. الدنيا تملك عليهم حواسهم جميعاً.. وهم مرتاحون فيها مطمئنون بها، ويقارن الله بينهم وبين من اختاروا الجنة بقوله تعالى «أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار. لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد» (الزمر:19 - 20).

لا تهزمى الحب

شعر: أحمد فضل شبلول

أتيتُ إليكِ ..
وكلى انتسابٌ لعصر الخيال
أتيتُ ..
معى عنفوانُ المحبةِ
صدقُ السؤالْ
أتيتُ ..
معى معجمى من لغاتِ النقاء
معى مفرداتٌ يتوقُ إليها الجمال
أتيتُ ..
معى خيرُ مصرَ
معى نبضُ مصرَ
معى إسكندريةُ .. عشقُ البحارْ
أتيتُ .. وكلى اعتزازٌ
وكلى فَخارْ
أتيتُ ..
دعينى أقولُ بكلِّ شموخِ السماء
«أحبك»
فلا تصمتى ..
فإنّا صمتنا طويلاً
ولا تيأسى ..
فإنا يئسنا كثيراً
ولا تلعنى ظلمةَ العصرِ
إن الشموسَ تدورُ إلى مقلتيكِ
ألم تلمحيها أمام مرايا الزمان
وإن الضياءَ يصلِّى على راحتيكِ
ألم تشعرى .. وهو يركعُ عند خطوطِ السفر
وإن البحارَ ترتّل أسرارَها تحت أقدامِك السندريلا
فلا تلعنى ظلمةَ العصرِ
إنى أحبك تبتسمينَ ..
وتنطلقينَ ..
وتستنشقينَ هواءَ الطفولةِ
إنى أحبك تنشرحينَ
وتمتلئين حدائقَ
تمتلئينَ نجوماً
وتمتلئينَ شموخاً
فلا تهزمى لغةَ الحبِّ فى عينِ هذا الوطنْ
ولا تلعنى ظلمةَ العصرِ
إنى أحبكِ فجراً ونهراً وبحراً ونصراً
لأعلو على دوّاماتِ المحن.

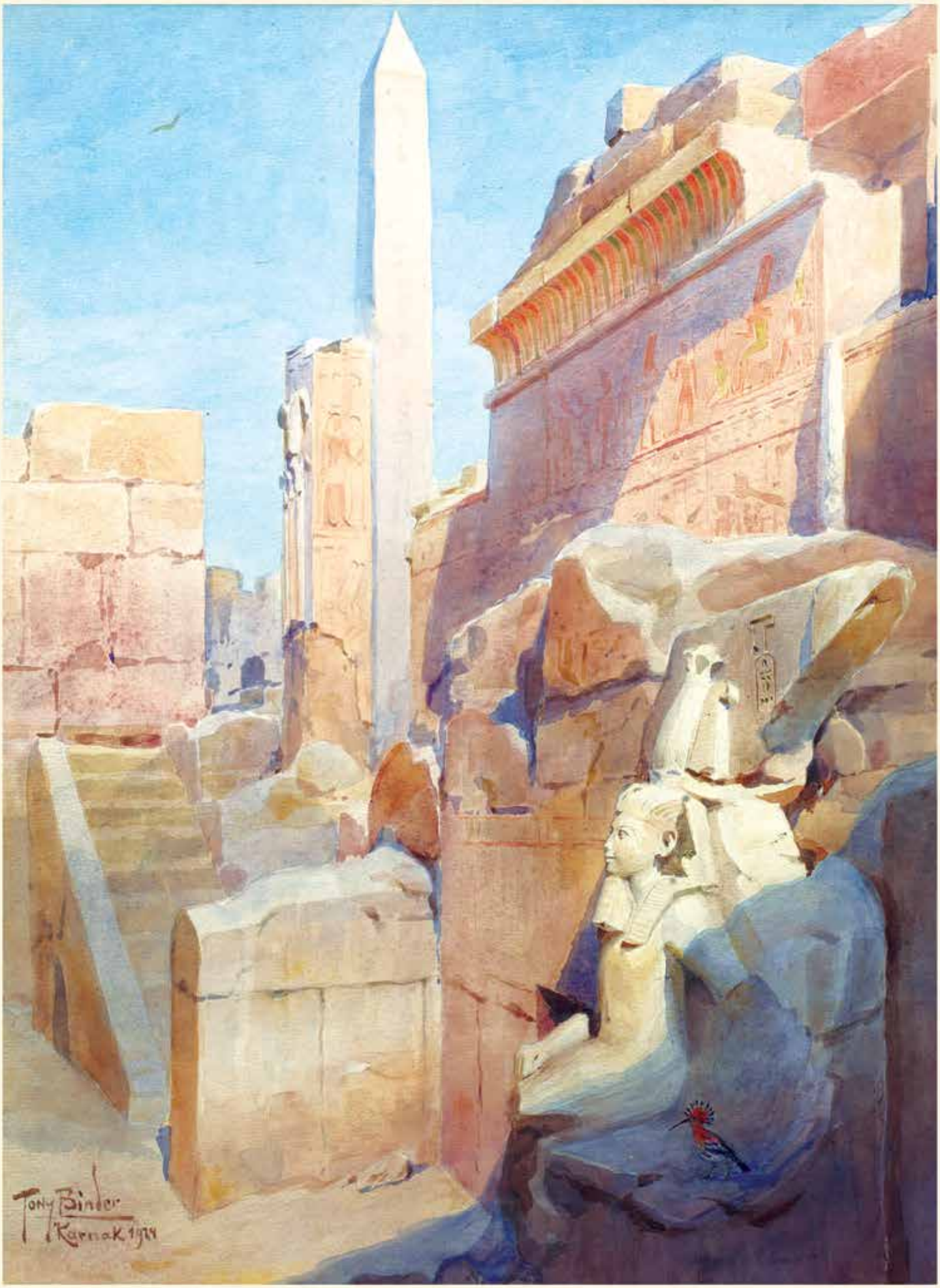
Tony Binder
Karnak 1974

مع CIB البنك
يجيلك مكان ما تكون

لأول مرة في مصر أحصل على موافقة مبدئية في نفس اليوم عند التقديم أونلاين على تمويل شخصي أو بطاقة ائتمانية، وكمان استمتع بخصم يصل إلى٥٠٪ على المصاريف الإدارية للتمويل، وبطاقة ائتمانية بدون مصاريف إصدار للسنة الأولى.

اكسب وقتك وراحة بالك، الخدمة متاحة أونلاين في أي وقت ومن أي مكان بخطوات بسيطة من خلال الموقع الإلكتروني www.cibeg.com

تُطبق الشروط والأحكام